# منبر الإسلام

العدد ٥ - السنة ٣٨
جمادى الأولى ١٤٠٠هـ - أبريل ١٩٨٠م
الثمن ١٥ قرشا

مع العدد هدية:
«مجلة الفردوس»

# منبر الاسلام

تصدرها: وزارة الأوقاف

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس التحرير الدكتور عبد المعطى محمد بيومى

مدير التحرير فؤاد هيبة


صورة الغلاف

قنديل جامع من الزجاج مدهون بالميناء ومموه بالذهب ، موطنه مصر ، عهد المماليك ، حوالى سنة ١٣٠٠ . وهو محفوظ فى برلين ـ دالم .

Stiftung Preussischer Kulturbesitz : Islamisches Museum. Berlin-West.


تصدر فى غرة كل شهر عربى

العدد ٥ السنة ٣٨ جمادى الأولى ١٤٠٠ هـ

أبريل ١٩٨٠م الثمن ١٥ قرشا

الاشتراكات :
١٦٠ قرشا فى جمهورية مصر العربية ـ ١٤٠ قرشا للعمال والطلبة تدفع مقدما ، ويضاف إليها البريد خارج جمهورية مصر العربية ، وما يساوى قيمة هذه العملة فى البلاد الأخرى تقبل كوبونات البريد الدولى ذات القرشين .

العنوان :
٣ شارع الأمير قدادار المتفرع من شارع التحرير خلف عمارة بحرى القاهرة تليفون : ٢٨١٥٦ ـ تلغرافيا : الاسلام ـ القاهرة .


بسم الله الرحمن الرحيم

## كلمة التحرير

فى هذا العدد يلاحظ القارىء عدة اتجاهات فى تحرير المجلة .

● فقد نقلنا صورة موضوعية لما دار فى جلسة مجلس الشعب المصرى وهو يناقش موضوع أراضى وأموال الأوقاف التى اغتصبت منها فى الماضى وتحاول الآن استردادها فى هذا العهد حتىيكون القارىء المسلم بجانب الأحداث ، ونعتزم ان شاء الله أن تكون منبر الاسلام صدى أمينا للأحداث الاسلامية فى مصر والعالم الاسلامى وسنحاول الخروج من قاعات التحرير الى مواقع هذه الاحداث فى كل ما يهم القارىء المسلم وكانه هناك دائما .

● بالاضافة الىذلك هناك اتجاه سلكناه منذ عدة أعداد ويبرز بوضوح فى هذا العدد اذ خصصنا جانبا من المجلة للابحاث الأكاديمية المتخصصة فى فروع الفكر الاسلامى لأساتذة متخصصين .

ففى الشهر الماضى لاحظ القارىء أننا بدأنا «نشر دراسة فى فكر الحكيم الترمذى» من واقع نصوص الترمذى ذاته .

وفى هذا العدد نتابع هذه الدراسة ، ونبدأ دراسة أخرى متخصصة ، لأصالة المفكر المسلم ابن باجة فى كتابه «تدبير المتوحد» وفى هذه الدراسة فكرة جديدة تماما ستغير كثيرا من الأفكار السابقة عن هذا المفكر الاسلامى العظيم .

واذا كان الصحفى يعمل دائما لاحراز السبق الصحفى فاننا نسعى فى الخطة الجديدة الى السبق العلمى أيضا ، لتكون المجلة أول من ينشر الأفكار الجديدة للعلماء والمفكرين الى جانب ذلك كله فاننا نعد لقارىء منبر الاسلام مفاجأة لن نعلن عنها حتى يراها قريبا .

كل ما نرجوه أن يبعث القراء الينا بمشكلاتهم وملاحظاتهم ويبعث الكتاب الكرام بأبحاثهم حول المشكلات الاقتصادية والاجتماعية الجديدة وموقف الاسلام منها لتكون صدى للواقع الاسلامى المعاصر .

( التحرير )

# من المسجد

# إلى الحياة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا وزعيمنا وقائدنا سيدنا محمد وعلى آله واصحابه أجمعين ٠٠ وبعد ٠٠٠٠

فسلام الله عليكم ورحمته وبركاته٠٠

فهذه فرصة أن اراكم هنا وأن نجتمع سويا صفوفا متراصة ، نتجه فيها الى الله سبحانه وتعالى ان يوفقنا الى خير الأعمال وأن يحسن لنا الختام واللقاء ٠

ولا اريد الآن ان أكثر من النصائح والمواعظ ، ولكن لى وقفة معكم ومع كل العظات التى تسمعونها فى كلمات قليلة أقول لكم أيها الاخوة ان الأفكار والأديان تقوى فى الأرض بقوة أصحابها ويعلو شأنها بعلو شأن المعتنقين لها ، والله سبحانه وتعالى قد كتب وسجل « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » فعزة المؤمنين مقترنة بعزة الله وعزة رسول الله وعزة كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

**الحياة خارج المسجد لابد أن تكون مثالا للحياة داخل المسجد :**

ولما كانت الفكرة أو الدين لا تقوى ولا تعز الا بعزة أصحابها والمعتنقين لها ٠٠ ولما كنتم جميعا من طلاب العزة والسيادة والنصر فان الأمر فى يدكم ، واذا كنا قد تكلمنا كثيرا وسمعتم كثيرا عن المساجد فاننا يجب ان نربط بين

# كلمة

# فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر

## وزير الاوقاف

# فى افتتاح مسجد بدر

## بحى الشيخ زايد بمدينة الاسماعيلية فى ٢٢/٢/٨٠

الحياة خارج المسجد وبين المسجد ، ومن هنا يمكن أن يكون للمسجد دوره العظيم فى بناء الأمة ٠

ان أهم شىء نسعى اليه هو أن نعيش فى داخل المسجد وفى خارج المسجد فى اتجاه الله وذكر الله ومراعاة الله وخوف من الله ٠

اذا انسجمت حياة الانسان داخل المسجد مع حياته خارجه فقد تم كل شىء للمؤمنين المهم أن تكون أرواحنا خارج المسجد كما كانت عليه داخل المسجد ٠٠ وان تنسق أعمالنا خارج المسجد بدروس المسجد وما استمعناه فى المسجد ٠٠ هذا هو أهم شىء ٠

**العمل هو الطريق الى العزة :**

ان الأمم لا تنهض الا بالاعمال ، والاديان لا تقوى فى الأرض الا بالاعمال ولذلك كان العمل هو الأساس ، اذا كنا نحن من طلاب العزة والقوة فلا طريق لنا الا بالعمل ومن فضل الله علينا ورحمته بنا أنه جعل عملنا فى كل مجال من مجالات الحياة عبادة ، فالانسان حينما يعمل فى « المتجر » انما يعبد الله متى اتجه الى الله سبحانه وتعالى فالعمل عبادة متى كان صاحبه يعمل ويتجه الى الله سبحانه وتعالى والاتجاه الى الله هنا ليس فى حاجة أن تتجه الى القبلة ولكن يكفيك أن ترعى الله حين تعمل فى قلبك ، يكفيك هذا مجرد ان تذكر الله فى نفسك وفى سرك ٠ ٠وان تتجه الى الله فى نيتك وهذا شىء لا يكلفك تعبا ولا ارهاقا مجرد أن تتجه الى الله سبحانه وتعالى وأنت فى أى مكان تعمل فى الأرض ، أو تطير فى السماء أو تجرى فى البحر ، فى أى مكان كنت فيه٠

فاننا فى عبادة تحصيل الرزق ومع ذلك نذكر الله ، تعمل لرفع البنيان

## فضيلة الدكتور الوزير يناشد المسلمين أن تكون حياتهم خارج المسجد صورة من حياتهم داخل المسجد .

وأنت عابد لله ، ، اساعد انسانا بأن أعبر به الشارع وهو لا يرى فأنا عابد . اداوى مريضا فانا عابد . ولو أخذت اجرا فأنا عابد .. فكسب العيش عبادة ، بناء البيت عبادة ، بنـاء المسجد عبادة ، والصلاة عبادة ..

من فضل الله علينا أن جعل حياتنا كلها عبادة ، وجعل حياتنا كلها كسبا لثواب الله ، المهم النية وضبط ( البوصلة ) بوصلة القلب ، هذا هو المهم ، الشعرة الخفيفة شعرة السلك التى تعطى لنـا النور فى هذا المسجد شعرة من الذكر لله فى قلبك تصلك بالله سبحانه وتعالى المهم أننا أمة تريد أن تنهض ، واننا أمة كما عرفتم فيها الكثير من المشكلات التى ورثناها من الماضى ، ومجرد الصلاة فى المسجد ثم الخروج بعد ذلك الى الشارع والى العمل وتطرح مرضاة الله وراء ظهرك ولا تراعى الله فى عملك هنـا لا يمكن بحال من الأحوال أن تصير مسلما بنـاء .

أننا الآن فى زمان تحملنا فيـه مشكلات ، مشكلات الحرب التى تحملنا أوزارها ومتاعبها طيلة سنوات كثيرة والانسان يمكن أن يتحمل وقد كتب عليه العناء ، والمسلم حينما يتصل بالله يكون أشد تحملا للمتاعب والعنـاء ، واذا دعى لعمل فلابد ان يتقنه . لقـد ورثنا مشـكلات كثيرة ولا يمكن ان نلقى السلاح ، اذا كان السلاح بالامس بندقية ومدفع ، فالسلاح اليوم عزم وتصميم واحتمال لا يمكن أن نقيم البناء ونستعيد الرخاء بمجرد ان تضع الحرب أوزارها بل انتهاء الحرب يعنى بدء البنـاء وبدء ظهور العزائم ، عزائم الرجال وعزائم الأمة ولن ننتظـر الرخاء الا اذا صنعناه نحن بأيدينا ، لن ننتظـر الاصلاح الا اذا ساهمنا جميعا بقوتنا وعزمنا فى هذا الاصلاح .

الاسلام بخير اذا عمل اتباعه .. المسلمون بخير اذا تضافروا على العمل واذا فعلوا ما يقولون ، واذا فعلوا خارج المسجد ما يسمعونه داخل المسجد .

« يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » .

الاسلام يريدنا أمة عملية فالأمة القوية تعيش فى الهواء كما ينطلق الكلام فى الهـواء . الاسلام يريد منا أن نكون أمة عملية والحياة تريد منا ان نكون أمة عملية والعمل لابد أن يكون متقنا . والاسلام يريد منا ان يكون عملنا متقنا ووصولنا الى عهد الرخاء يقتضى منا بذل الجهد والاسلام يريد منا أن نبذل الجهد ، وأن نكون صادقين فى بذل الجهد .

اذن المهم فى حياتنا الاسلامية ان يتصادق المسجد مع الخارج .

ولا يقتصر الأمر على المسجد وان كان المسجد هو مصدر الطاقة والشحنة لكن لابد أن تكون الشحنة بهـا اسلاك موصلة بالقلوب حتى تنير القلوب ، مركز الكهرباء لابد أن تمتد منه اسلاك الى البيوت ، وداخل البيت لابد ان تمتد

# كيف نصنع الجنة على الأرض .

الاسلاك الى الحجر ، وبهذا يعم النور مركز الاشعاع المسجد لابد أن تمتد منه أسلاك روحية الى قلب كل انسان فى أى مكان ٠

ومن هنا يستنير القلب ، ومن هنا نمشى على الهدى ، ومن هنا نتصل بالله ، ومن هنا نصنع الحياة ، ونقوى ونعتز فى الحياة فسبيل القوة التطابق بين المسجد وخارج المسجد ٠

أما ان نأتى الى المسجد ونظهر الخشوع ونصلى ونطيل الصلاة ٠٠ ثم نخرج من المسجد بغير ما كنا فيه فلا فائدة ترجى ٠٠

ومن هنا ألخص كلمتى لكم : التطابق بين المسجد والحياة العملية فان هذا هو الثمن لدخولكم الجنة ٠

كيف نصنع الجنة : ؟

الاسلام يريد منكم أن تصنعوا جنة فى الأرض قبل أن تأخذوا مراتبكم فى الجنة عند الله ٠ المسلم هو الذى يصنع من وطنه ومن بلاده ومن حياته جنة له بالخلق والعمل ، والمسلم الذى يفشل فى دنياه فاشل فى اخراه ٠

والأمة التى يرزقها الله التوفيق فى العمل والانتاج والقوة وهى موصولة بالله أمة مكرمة عند الله وتحقق وعد الله لأن الله وعد المؤمنين العاملين بالصالحات حياة طيبة فى الدنيا ، ووعدهم الآخرة بأحسن ما كانوا يعملون ، الدنيا التى تتوافر فيها راحة للضمير وسعادة كل الناس هى الدنيا التى يصنعها الاسلام ، اما دنيا السلب والنهب والحياة على أكتاف الغير ، وكسب المال عن طريق غش الغير وسلب أموال الغير ، اذا ترعرع المال فى يد هذا الانسان فهو شقى وكل يوم تمتد فيه يده أو لسانه بالاساءة الى الناس فانه يزداد شقاء ولو حصل أموال الدنيا ٠٠ الانسان الذى يحسن الى الناس بكلمة طيبة أو بمساعدة بمال ٠ هذا الانسان يعيش مستريح الضمير ، يعيش هادىء البال والله دائما يسنده لأن هذا وعد الله ووعد الله لا يتخلف ٠

ونحن طلاب حياة هادئة وحياة سعيدة وطلاب آخرة سعيدة أيضا والله أمرنا ان نطلب الدنيا وان نطلب الآخرة وان نعتز فى الدنيا ونسعد فى الآخرة ولقد رسم الله لنا الطريق وهو أن يحول المسلم أى مكان يوجد فيه ويعمل ويحوله الى محراب للعبادة بهذا؟ يمكن أن نقوى ويمكن ان نستمد عافيتنا يمكن أن نسعد فى دنيانا والاسلام حريص على هذا٠٠لأننى كما قلت لكم ان الاسلام لا يعز الا بعزة رجاله ، لا يقوى الا بقوة رجاله ، أما ان يكون أتباع الاسلام فاشلين ضائعين ، فان الاسلام يكره ان يكون اتباعه هكذا ٠٠

الأمة غير العاملة أمة عاجزة :

الاسلام يريد أتباعه أقوياء ، طريق القوة معروف ، لابد أن نثبت وجودنا فى الحياة ، لابد أن نثبت وجودنا وقوتنا امام الأمم حتى يقال ان مصر

## فضيلة الوزير يحذر من التفكك النفسى والانفصالية بين الدين والحياة .

الاسلامية أمة قوية اذا قامت خافها الناس أما ان نعيش نحن والأمم الاسلامية كما تعرفون وكما تعلمون الآن . الأمة الاسلامية تضيع الآن ولا تملك الا الحوقلة ولا تملك الا الكلام واخواننا هناك فى أفغانستان يداسون ويسحقون بالدبابات ونحن هنا لا نملك شيئا هذه أمة ضائعة ، الاسلام لا تشرفه أمة من هذا النوع أبدا بعد أن كتب الله العزة له ولرسوله وللمؤمنين وبين طريق العزة ، حينما نترك هذا الطريق نكون أمة ضائعة . لو أن المسلمين كانوا أقوياء لقلنا لروسيا كفى عن أفغانستان وقلنا للحبشة كفى عن اريتريا ولن يتأتى ذلك الا عندما تكون لنا هيبة وقوة ، أما الهاتفون الضائعون فليس لهم قيمة فى الأرض ، القيمة الآن فى الأمة التى تبنى نفسها وتبنى قوتها .

حذار من التفكك النفسى :

حياتنا المادية فى العلم فى البناء فى التشييد فى دبابة نصنعها فى صواريخ نصنعها هذه وسائل نعتز بها وبعد ذلك لا نخاف ولا نخجل من أحد ، لا نجارى أحدا بالباطل لأننا أقوياء لقد كنا نضاعف المجاملة لروسيا الملحدة على حساب ديننا لكى تعطينا السلاح ذلك لأننا ضعاف ليس عندنا مصنع يصنع الطائرة والقنبلة ولا الصاروخ . لقد تساهلنا فى ديننا وفى دنيانا وفى وطننا وذلك سر تخلفنا انه التفكك النفسى لسنا أقل من الألمان أو أمريكا أو كذا ، لسنا أقل منهم فى العقل ولا أقل منهم فى العافية ولكن التفكك النفسى الموجود ، مع ان امامنا ديننا الذى يحذرنا من التفكك النفسى ، حاذروا التفكك النفسى ، حاذروا التفكك الخلقى .

لا تفصلوا بين المسجد وبين الحياة هذه الناحية التى أحب أن أنبه اليها لأنه من خلالها ننطلق الى القوة فى الحياة .

أبنائى واخوانى فى المسجد فى كل مكان ، اذا كان المسجد قد حددت جدرانه فأرض الله كلها مسجد . المصانع مساجد والمزارع مساجد والشوارع مساجد والمتاجر مساجد ، الجو مسجد يعبد فيه الله ، البحر مسجد حينما تكون فى غواصة أو نحفر بحفارة تحت الماء لنخرج منه البترول ليكون المال فى أيدينا نحمى به أنفسنا من الذل والهوان .

الانسان فى كل وقت وفى كل لحظة يستطيع ان يكون فى مسجد ويستطيع أن يكون فى محراب وفى الوقت الذى يقترب فيه الى الله يبنى أمته بناء ماديا ، ولا تفرقة بين الدين والدنيا ، الدين هو الدنيا والدنيا فى نظر الاسلام هى الدين .

فاعملوا لدينكم تعملوا لدنياكم واعملوا لدنياكم تعملوا لدينكم والله سبحانه وتعالى لا يضيع أجر من أحسن عملا ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

# مع القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ

وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۞

صدق الله العظيم

## نظـــرات ودراســات

# تفسير سورة النساء

## الآيات من ١١٨ إلى ١٢٦

قصة ابليس وتمرده على الله

الاسلام والرفق بالحيوان حيث تدعو المدنية الغربية بالرفق بالانسان .

تفوق الاسلام على سائر الأديان باشتراطه العمل الصالح لتصديق الايمان .

مساواة المرأة بالرجل فى الجوهر لا تعنى المساواة فى الوظيفة ، مما أدى الى الفساد والانحلال .

ما الذى يعنيه دائما ملك السموات والأرض .

الأستاذ احمد حسين

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ
نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ
فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ
وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا
مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ
إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا
مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ
جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَعْدَ
ٱللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ
وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا
يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ
مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا
مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا
وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾

صدق الله العظيم

**لعنه الله وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا .**

لعنه : اى ابعده وطرده واخرجه من رحمته . وهذه هى الاشارة هنا لكون الشيطان المقصود فى الآية السابقة هو ابليس اللعين .

**وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا .**

**هذه اشارة لكل قصة ابليس كما وردت فى القرآن ، مما سيأتى تفصيله فى حينه ، ومما هو معروف ومشهور عندما طلب الله سبحانه وتعالى من الملائكة أن تسجد لآدم باعتباره خليفة لله فى الأرض ، فسجد الملائكة كلهم ، الا ابليس الذى تمرد على ربه ( لحكمة شاءها الله ) وأبى واستكبر أن يسجد لما خلقه الله من طين ، حيث هو ( أى ابليس ) قد خلق من نار ، فكان جزاء ابليس أن طرده الله من رحمته ، فطلب ابليس من رب العالمين أن يمهله ، حتى ينتقم من آدم وذريته ، بأن يوسوس لهم ليخرجهم عن طاعة الله ، فأجابه الله لسؤاله ليتم امتحان الانسان وابتلائه مما سنعود اليه عندما ترد الآيات الخاصة بهذا التفصيل ، أما نحن فحسبنا أن نفسر ما قاله ابليس فيما قاله عندما أصدر الله عليه عقوبته :**

**وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا .**

أى لأستخلصنهم بغوايتى وأضلهم بضلالتى .

## رأى الشيخ رشيد رضا :

**وقد نقل الشيخ رشيد رضا عن استاذه الشيخ محمد عبده ، أن نصيب الشيطان المفروض ، هو جانب الشر فى كل انسان ، ولكننا لا نأخذ بهذا الرأى فما من انسان الا ويعرض له ابليس ، ولكن كان الله سبحانه وتعالى قد وعد بنصرة عباده المخلصين على ابليس ، بأن جعله بغير سلطان على عباده المخلصين ، حيث الحديث هنا عن « نصيب مفروض من البشر » فدل ذلك على انهم الموصوفون فى القرآن ، بانهم أولياء الشيطان ومثواهم النار .**

**جاء فى صحيح مسلم أن الله سبحانه وتعالى يقول لآدم يوم القيامة :**

**« ابعث بعث النار ، فيقول : وما بعث النار ؟ فيقول من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين » .**

**وهذا هو نصيب الشيطان ، جعلنا الله من عباده الصالحين ، الذين لم يجعل للشيطان سلطانا عليهم .**

**ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله .**

فليبتكن : من الفعل « بتك » بتشديد التاء أى قطع .

ولأضلنهم : أى عن الحق ، واللام للقسم .

ولأمنينهم : اللام لام القسم ، وأمنى من الفعل تمنى ، يقال تمنى الشىء اذا أحب أن يكون له وان لم يتخذ له أسبابه .

والمعنى هو استمرار لتقرير ما سوف يفعله الشيطان ليأخذ الى جانبه « نصيبا مفروضا » وذكر عملين يزاولهما الشيطان فى كل زمان ومكان ، ومع كل انسان يقع تحت سلطانه ، وهو أن يضله أى يصرفه عن طريق الحق والاستقامة طريق الله ، وذلك عن طريق الوعود الكاذبة فى الثروة والشهرة والجاه ، والتمتع الجنسى ، الى آخر هذه المغريات التى يلوح بها الشيطان لأتباعه ، مع أن ذلك كله يمكن أن يصل الانسان من خلال العمل الصالح وبذل الجهد ، حقا قد يطول الطريق بعض الوقت ، وقد يحتاج الأمر الى مشقة ، حيث يعد الشيطان أولياءه الحصول على هذه الأمور فى يسر وسهولة بمجرد مرورها على الخاطر ، وهذا قوله « ولأمنينهم » وبعد هذا التعميم انتقل الشيطان الى تخصيص بعض « أوامره » وتوجيهاته التى وجهها الى عرب الجاهلية ، والتى سيظل يوجه اليها الى ابد الآبدين .

## افعال ذميمة نهى عنها القرآن :

**فليبتكن آذان الأنعام** ، وقد كان عرب الجاهلية يقطعون آذان الأنعام ، والأنعام هى الجمل والبقر والجاموس والغنم ، وأمثال ذلك ، وسنأتى الى سورة كاملة من سورة القرآن تسمى « سورة الأنعام » حيث سوف نتحدث بالتفصيل عما كان عرب الجاهلية يفعلونه بحيواناتهم ، بزعم أنهم يقربونها للآلهة ، فكانوا يقطعون آذانها ، ليكون ذلك علامة كونها قربانا للآلهة وكانوا يسمونها « البحيرة والسائبة » أى انها كانت تترك وشأنها ترعى حيث تشاء دون أن يتعرض لها ، حتى لو اتلفت الثمار وكل مايحتاجه الانسان ، بحجة أنها أصبحت مقدسة ، وليس هذا كله الا من ايحاءات الشيطان .

## النهى عن تعذيب الحيوان

وأريد ان الفت نظر الشباب الحديث الذى يخطف بصره ما يسمى بالمدنية الغربية ويعلم الله ان المدنية منها براء فهى ليست سوى مدنية اللهو والفجور والفحش والقسوة ، وان كان بها بعض التعاليم الصالحة فهى ليست سوى بقية من التراث الانسانى الدينى .

أريد أن يقف الشباب طويلا أمام نهى الاسلام من قطع آذان الأنعام واعتبار ذلك من تلبيسات الشيطان وقد تصور قوم ان النهى عن قطع الآذان ، انما يراد به مجرد التخصيص للأصنام ، وهى لذلك بالفعل ، ولكنها رأفة بالحيوان الأعجم فى ذات الوقت والحديث عن رأفة الاسلام بالحيوانات يطول ، حتى ليقول لنا الرسول ما معناه امراة دخلت النار لأنها حبست قطة وأخرى دخلت الجنة لأنها سقت كلبا ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « **أحسنوا الذبحة** » وطالعت فيما طالعت ويحضرنى الآن كيف أن امراة مسلمة كانت مسافرة وكانت فى عجلة من أمرها فراحت تستحث ناقتها على الجرى وبلغ من لهفتها ، أن نذرت ان أوصلتها الناقة فى الزمن المطلوب أن تضحى بها ، ونفذت نذرها ، فعندما ذكرت القصة لرسول الله قال لها : لبئس ما كافأتيها .

**وكما قلت أن الحديث يطول ، وانما أردت هذه الاشارة السريعة ، الى أى حد يأمر دين الاسلام بالرحمة والرأفة بالحيوان حيث لم يعد الانسان فى ظل المدنية المادية الغربية أصبح يعامل دون معاملة الحيوان حيث أصبح الأمر يحتاج مرة أخرى الى ما يسمونه « حقوق الانسان » ومن بينها أن لا يعذب أو يضرب أو يهان ، وما ذلك الا لأن البشر قد نسوا ذلك .**

**ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ..**

وهذا ضرب من ضروب ايحاء الشيطان لأتباعه أن يغيروا خلق الله .

**رأى القدامى :**

**والمفسرون القدامى يفترقون حيال هذا التغيير ، الى فريقين ، فريق يرى أن المقصود بالتغيير ، هو التغيير الحسى كعملية « الخصاء » أى قطع عضو تناسل الذكر ، حيث يرى فريق آخر ، أن المقصود هو تغيير خلق الله المعنوى ، فالايمان الصحيح ، هو الفطرة ، فيخرج الشيطان أولياءه وأتباعه من الفطرة السليمة والدين القيم ،** الى الشرك والانحراف وعندنا أن الآية يندرج تحتها الحسى وغير الحسي ، فعملية اخصاء الانسان فضلا عن كونها عملية قاتلة فهى تغيير لخلق الله ، كما أن حمل انسان مستقيم ويدين دين الحق بفطرته ، لخلق كذلك ، غير أن تغيير خلق الله المعنوى قد يمضى غير ملحوظ ، والملحوظ دائما ، وهو المقصود فى الدرجة الأولى ولكن تغيير خلق الله المادى ، هو المشاهد من الآية ، حيث وردت فى معرض الحديث عن تقطيع آذان البهائم .

**حديث شريف عن تغيير خلق الله :**

وفى الصحيح عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **لعن الله الواشمات والمستوشمات والنامصات والمتنمصات ، والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله عز وجل »** ولسنا نريد أن نسهب فى تفسير هذا الحديث وما قيل حوله ، وحسبنا أن نفسر الفاظه، فالوشم معروف وهو ما يسمى فى لغتنا الدارجة ( الدق ) والنمص هو ( النتف ) والفلج هو توسيع ما بين الأسنان ، وغنى عن البيان أن المقصود باللعن هو محاولة « تغيير خلق الله » .

**ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا .**

وأحسب أن هذه بديهية لا تحتاج الى مزيد ايضاح ، فانما هما طريقان :

« **وهديناه النجدين** » طريق الله وطريق الشيطان ، ويا تعس وخسارة من يختار طريق الشيطان .

**يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا ● أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا ● والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا وعد الله حقا ومن أصدق من الله قيلا .**

**وما يعدهم الشيطان الا غرورا :**

اى الا باطلا .

ومن معانى الاغترار تصور النفع فيما هو ضار .

**أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا :**

**محيصا :** اى مخرجا وبديلا ومعدلا .

**ومن أصدق من الله قيلا :**

قيلا اى قولا .

**والمعنى العام بعد ذلك مشرق ومضىء فمن يكون الشيطان سيده ومولاه باتباع وسوسته وما يزينه للانسان من احلام وأمانى كاذبة فمأواه**

**جهنم فى خاتمة المطاف لا محيص عنها ، أى لا معدل ولا مناص وكلها ألفاظ تأكيد .**

وكشأن القرآن كما أشرنا دائما ، لا يكاد يذكر جهنم وعذابها الذى تنخلع له القلوب ، حتى يبادر ويطمئن عباد الله الصالحين بأن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ويقارن الله سبحانه وتعالى بين وعده الصادق والمحقق والمؤكد ، وبين وعد الشيطان الذى لا يعد الا زيفا وتضليلا وقد روى الله سبحانه وتعالى ما يقوله ابليس يوم القيامة لأتباعه :

**« ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان » .**

## تفوق الاسلام على سائر الأديان :

لا تزيدنى معايشتى للقرآن ، الا ايمانا على ايمان ، وأنا اذ أشيد بالاسلام ، وأعلن امتيازه وتفوقه على سائر الأديان مما كتبت فيه أكثر من مرة ، فأنا لا أفعل ذلك لمجرد كونى مسلما ولدت هكذا ، ولكنى أقوله بعد دراسة مقارنة للاسلام وبقية الأديان وعلى رأسها المسيحية واليهودية ، وبعد استقراء التاريخ وأحداث الزمن ، وانى أومن ومر الأيام يزيدنى ايمانا ، ان الغلبة فى نهاية الأمر ستكون للاسلام كما يقرره القرآن ومصداق ذلك هذه الآية التى نحن بصددها ، كعشرات ومئات غيرها من الآيات ، فقد روى فى أسباب نزولها عن مجاهد وعن قتادة وعن السدى وابن عباس ( سوف نثبت ان شاء الله نص بعض أحاديثهم ) روى عنهم ، ان سبب نزول هذه الآية ، هو قيام التفاخر بين المسلمين وبين أصحاب الديانات الأخرى كل يعتبر دينه هو خير الأديان ، فنزلت هذه الآية لتقول ان العبرة ليست للأقوال والتمنى ، انما بالأعمال الصالحة **وقد حكى القرآن فى آيات أخرى ، نص ما كانوا يقولون .**

**« وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله وأحباؤه » .**

**« وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى » .**

**« وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة » .**

وسنرى فى الأحاديث بعض ما قالوا ، وغنى عن البيان أن المسلمين ردوا بما يعلى من شأن دينهم وهيمنته على سائر الأديان باعتبارها آخرها وان سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم هو آخر الأنبياء .

فنزل القرآن الكريم ليبين ، ان الأمر ليس أمر تفاخر وتمنى لمجرد الانتساب لهذا الدين أو ذاك ، وانما هو العمل الصالح الذى يؤكد الايمان .

**روى عن الحسن : « ليس الايمان بالتمنى وانما ما وقر فى الصدر وصدقه العمل » فالعمل والعمل الصالح وحده هو الذى يحقق الاسلام ويمنح المسلم الدرجات العلى ، وقد يتصور الكثيرون .**

ان هذا هو ما يأمر به أى دين ، ولكن الحقيقة غير ذلك وهو ما نزلت هذه الآية لتدحضه وتكذبه وتقرر ان من يعمل سوءا يجز به ، وهو تأكيد سنة الطبيعة من الفعل ورد الفعل .

وقد كان بعض زعماء المسيحيين الأول ( سانت بول فى أوروبا وبولس فى الشرق ) يريا ان المسيحية تقوم فقط على الاعتقاد بالمسيح وانه ابن الله الذى تجسد فى صورة انسان ... الى آخر الايمان المسيحى .

كان بولس يبشر ان هذا الاعتقاد فقط ينجى الانسان ، وليس سوى الكنيسة فى فترة متأخرة من قالت : انه لابد من العمل الصالح ، واتخذوا من التوراة دستورا لهم ( الوصايا العشر ) وأطلقوا على التوراة ، اسم العهد القديم ، ومن الانجيل اسم العهد الجديد ، الذى جاء ليصحح وينسخ ما جاء فى التوراة ، والمهم ان المسيحية فى صدرها الأول ، تلخصت فى الايمان فقط ، فلا عجب أن ظل بعض المسيحيين ، وسوف يظلون ان مجرد الأعتقاد بأن المسيح ابن الله كاف ، بغير حاجة الى اضافة أخرى لاستحقاق « ملكوت السماء » ومن قبلهم اعتقد اليهود **( ولا زالوا يعتقدون ) ان الله اختارهم من دون العالمين ليكونوا هم وحدهم محل رضائه ومحبته .**

## الاسلام وحده دين الايمان والعمل :

فليس سوى الاسلام وحده ، من جعل الايمان أو الاعتقاد وحده ( فضلا عن مجرد الانتساب ) لا يكفى للنجاة من النار واستحقاق الجنة ، بل قرن الايمان بالعمل وجعلهما صنوان لا يفترقان ، لا يساوى أحدهما شيئا بدون الآخر ، فلا ايمان بغير عمل ، كما انه لا عمل بغير ايمان ، وهذا هو سر تفوق الاسلام على سائر الأديان والى أبد الآبدين ، وهذه الحقيقة الخالدة هى ما تنطق به الآية التى نحن بصددها جاء فى أسباب التنزيل النصوص التالية : **« عن مسروق قال : اجتمع المسلمون وأهل الكتاب ، فقال المسلمون نحن اهدى كتابا ، وقال اهل الكتاب نحن اهدى منكم، فانزل الله هذه الآية » .**

وعن قتادة قال : **ذكر لنا ان المسلمين وأهل الكتاب افتخروا ، فقال أهل الكتاب نبينا قبل نبيكم ، وكتابنا قبل كتابكم ونحن أولى بالله منكم ، وقال المسلمون : نحن أولى بالله منكم ونبينا خاتم النبيين ، وكتابنا يقضى على الكتب التى كانت قبله ، فانزل الله « ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب » ، الى قوله « ومن أحسن دينا .. الآية »** فأفلج الله حجة المسلمين على من ناوأهم من أهل الأديان .

وعن السدى : **« التقى ناس من المسلمين ، واليهود والنصارى ، فقالت اليهود للمسلمين : نحن خير منكم ، ديننا قبل دينكم ، وكتابنا قبل كتابكم ، ونبينا قبل نبيكم ، ونحن على دين ابراهيم ، ولن يدخل الجنة الا من كان يهوديا ، وقالت النصارى مثل ذلك ، فقال المسلمون : كتابنا بعد كتابكم ، ونبينا بعد نبيكم ، وديننا بعد دينكم ، وقد أمرتم أن تتبعونا وتتركوا أمركم ، فنحن خير منكم ، نحن على دين ابراهيم واسماعيل واسحق ، ولن يدخل الجنة الا من كان على ديننا ، فرد الله عليهم قولهم فقال : « ليس بأمانيكم ... الى آخر الآية » .**

**وروى ابن جرير عن ابن عباس مثل ذلك من يعمل سوءا يجز به : وهذه هى القاعدة الأصيلة فى الاسلام ، ومثلها قوله تعالى : « ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » فالجزاء هو من طبيعة العمل لا يغيره انتساب الفاعل لهذا الدين أو ذاك .**

**وقد راعت هذه الآية سيدنا أبا بكر الصديق واخافته ، فقال للنبى صلوات الله عليه وسلامه : من ينج مع هذا يا رسول الله ؟ فقال له النبى : « ألست تحزن ، ألست تمرض ، أما يصيبك البلاء ؟ قال : بلى يا رسول الله قال : هو ذاك .**

أى ان الله سبحانه وتعالى يعجل الجزاء فى بعض الأحوال ، وهو فى الآخرة فى كل الأحوال ( الا ان يشاء الله ) .

**ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا .**

ومثله فى القرآن الكريم « ثم كان عاقبة الذين اساءوا السوءى » أى لا مفر ولا مهرب من جزاء السوء ، واذ كان القول متصل بما قبله ، فان ذلك يعنى ، ان لن يفيد المتشدقين بانتسابهم الى هذا الدين أو ذاك ، رسل هذا الدين أو انبياؤه ، فليس لفاعل السوء ( وهو كل ما يسىء ) سوى ان يتلقى جزاء ما عمل .

**ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا .**

**النقير : هو « النقرة » الصغيرة التى لا تكاد** تلاحظ على ظهر نواة البلح ويكنى بها عن الشىء المتناهى فى الصغر **ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى** لم يسبق القرآن سابق ، ولم يلحقه لاحق فى تسوية الذكر بالأنثى فى العمل الصالح ، ولا يقولن قائل ، ان المرأة وصلت ( فى الحضارة الأوربية التى امتدت شرورها الينا ) الى حد كادت تعلو فيه على الرجل ، فليس ذلك الا مظهر الانحراف والافلاس الذى أوشكا على تدمير أوروبا وأمريكا فالمساواة فى الجوهر ، لا يعنى بحال المساواة فى الوظيفة ، فتساوى الأجهزة فى جسد الانسان : الجهاز التنفسى ، والجهاز الهضمى ... الخ . لا يعنى بحال أن تتحول هذه الأجهزة الى جهاز واحد يؤدى وظيفة واحدة، وليس ما نشهده من قص المرأة شعرها لتكون أشبه بالرجل ، أو أن تلبس ملابس الرجال ، أو أن تنخرط فى ظل الجندية وتقوم بكل أعمال المقاتلين من الرجال ، كل ذلك ليس الا خلطا وفسادا وانحطاطا شقى به البشر وسيشقون ، حتى يعرفوا حقيقة الاسلام الذى ساوى المرأة بالرجل ، ولكنه لم يعن بذلك على الاطلاق هذه الفوضى الأمريكية الأوروبية حيث اختلط الحابل بالنابل ، واهدرت المرأة عفتها ، التى هى جوهر أنوثتها وسبب أهليتها للكرامة والاحترام من زوجها وأولادها ، وآلها وذويها أهدر البعض هذه الصفة الأساسية من صفات المرأة التى فطرت عليها ، باسم المساواة بالرجل ، وهذا هو الامعان فى الفساد وصدق الله العظيم ، اذ يقول : **« وكذلك جعلناكم أمة وسطا » فهذا الذى وصلت اليه أوروبا وأمريكا ، ليس الا رد الفعل لما كانت عليه المرأة من هوان ، فتطلق عليها الكنيسة « أحبولة الشيطان » وتحظر عليها ارتياد دور العبادة « الكنائس » بل ليصل الأمر الى حد انعقاد مؤتمرات كنيسة للبحث فيما اذا كان للمرأة « روح » كالرجل .**

**وكان المجتمع الجاهلى اقرب ما يكون لهذه التصورات ، وما هو أشنع منها ، حتى ليدفن الرجل ابنته حية ، بمجرد وصولها الى هذه الدنيا ، تخلصا من عارها كما كان يقول البعض ، وهربا من اطعامها والانفاق عليها وهو ما يذكره عنهم القرآن « ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق ».**

**الاسلام والحقيقة :**
**وجاء الاسلام**

يرد كل هذه الأباطيل والأوهام والانحرافات ويعلن الحقيقة التى هى سنة الله فى الأرض من أن الرجل من المرأة ، ومحال ان يولد الكامل من

الناقص – أو الحسن مما هو أقل حسنا ) والمرأة من الرجل ، وأصل القرآن الكريم هذا الأصل من اشارته فى اكثر من آية (( **انا خلقناكم من ذكر وانثى .. الى آخر الآية ))** .

**ثم حرص القرآن الكريم ، على التسوية بين الرجل والمرأة فى الحقوق والواجبات فكان أمثال هذه الآية التى نحن بصددها : (( ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى ))** .

فعمل الصالحات هو واجب الاناث كما هو واجب الذكور ، ولكل من الجنسين اعمال صالحة ، تتناسب مع جنسه ، وثمة اعمال صالحة واجبة على كلا الجنسين بغير تفرقة .

ومن هنا اصبح من الأصول الفقهية ، ان كل ما خوطب به الذكر ، فالأنثى مخاطبة به ( ما لم يحل دون ذلك طبيعة خاصة **وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة** قلنا وكررنا لكى ينغرس فى قلب المسلم ان الاسلام يقوم على أساسين ، ويطير بجناحين (( الايمان والعمل )) فما ذكر الايمان الا وشفع بالعمل الصالح وكثيرا ما سبق لفظ الايمان لفظ العمل ، وقد اقتضى السياق هنا ان يكون الحديث عن العامل الصالح أولا ، فانظر يا رعاك الله الى هذه الدقة التى يستحيل أن تكون من صنع بشر ، فنصت الآية (( وهو مؤمن )) أى ان العمل الصالح ما لم يكن مقترنا بالايمان بالله لا يدخل صاحبه الجنة التى أعدها الله للمؤمنين به ، وهذا حق وعدل ، فالجنة جزاء من آمن بها وعمل للدخول اليها .

## ولا يظلمون نقيرا :

**فالله سبحانه وتعالى لا يظلم احدا ابدا ، من انس أو جن ، من ذكر أو أنثى .**

**فمن عمل الصالحات رغبة فى الشهرة ، فقد حصل عليها ، ومن عمل الصالحات للنجاح فى الدنيا فحسابه مع الدنيا ، أما من يعمل الصالحات ( وهو مؤمن ) أى مؤمن بالله والجزاء والعقاب والثواب فى حياة أخرى ، فهؤلاء يحقق الله وعده لهم فيدخلهم الجنة (( ولا يظلمون نقيرا )) (( ومن احسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا ))** .

## وحدة الدين :

وانتهز القرآن الكريم هذه المناسبة ليؤكد القاعدة التى قررها فى اكثر من مناسبة وبصور متعددة ، الا وهى وحدة الدين عند الله وهو (( الاسلام )) بمعنى اسلام الوجه لله ، اى التوجه له وحده فى العبادة والاخلاص له ، ثم الايمان بالغيب ورسله وكتبه واليوم الآخر ، وقد اعتبر القرآن ذلك كله هو (( دين الفطرة )) التى فطر الله الناس عليها .

## الدين والفطرة :

**(( شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ))** .

فالدين واحد وهو لا يمكن أن يكون الا كذلك ، ما دام المصدر واحد ، وهو الله ، والهدف منه واحد وهو عبادة الله بعمل الصالحات فى هذه الدنيا هذه الحقيقة الناصعة البسيطة هى ما يقررها الاسلام فى هذه الآية التى نحن بصددها وفى غيرها من الايات ، فوعاها المسلمون كل الوعى ، وجهلها اتباع اليهودية والنصرانية ، ومن هنا يتفوق الاسلام على سائر الأديان اذ يعترف بها كلها ويلقن المسلمين أحسن ما فيها كلها وهو جوهرها (( عبادة الله الواحد الأحد والعمل الصالح فى الدنيا ، ليتلقى الجزاء الحسن على ذلك فى الآخرة .

## فشل الاستشراق والتبشير بين المسلمين

ومن هنا فشلت كل وسائل الاستشراق والتبشير فى تحويل مسلم واحد من الاسلام الى النصرانية أو اليهودية ، فالمسيح عظيما ما عظم وابراهيم وموسى ويعقوب واسحق فكل هؤلاء رسل الله وحملة الوحى الالهى وايا ما قاموا به من معجزات وخوارق فقد فعلوه باذن الله لخدمة الله .

## لا يكمل ايمان اليهودى أو المسيحى الا بايمانه بمحمد .

وقد وهم اقوام فتصوروا ان اليهود والنصارى سواء بسواء والمسلمين ، آمنوا بسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ام لم يؤمنوا ما داموا يعملون الصالحات ، ونقول ان الايمان بسيدنا محمد هو الشرط الأساسى لكمال الايمان لأنه اذا كان من المتصور عقلا للملحدين الذين ينكرون الأديان جملة ، لأنهم ينكرون الله والوحى والبعث والحياة الأخرى ، فانه من غير المتصور أن ينكر مؤمن بكل هذا نبوة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام والتى لم تخرج رسالته عن هذا الاطار وقد بشر المسيح فى الأنجيل الا سيأتى بعده انبياء

كذبه فكيف يعرفونهم ، فأجابهم : من ثمارهم تعرفونهم وأى ثمرة أحلى واشهى وأصفى من ثمرة الاسلام التى ملأت الدنيا نورا وعدلا وها هو بعد أربعة عشر قرنا يبعث من جديد ليملأ الدنيا عدلا ومحبة واخوة بعد ان ملئت جورا وطغيانا وحقدا وتدابر وتقاطع وعلى ضوء ذلك ، تعالوا نقرأ ثانية الآية التى نحن بصددها :

**« ومن أحسن دينـا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا » .**

فيا أيها النصارى ويا أيها اليهود ويا أيها المسلمون ، لا تتفاخروا أى الأديان احسن فالدين واحـد وهو دين ابراهيم دين الفطرة التى فطر الله الناس عليها :

**١ ـ اسلام الوجه لله ـ أى التوجه لله .**

**٢ ـ احسان العمل ، أى بعمل الصالحات .**

واذا أراد أحد أن يعرف ماذا ينقص المسلمون اليوم ليعزوا ويسـودوا من جديد ، فما عليهم الا اتباع هـذين الأصلين ، التوجـه الى الله وخشيته واتباع أوامره والانتهاء بنواهيه فى كل صغيرة وكبيرة ( وهذا هو اسلام الوجه لله ) .

والأصل الثانى هو احسان العمل بكل فروع الاحسان واشكاله سواء كان لانفس والذات ، أو الأقرباء وذوى الأرحام أو الناس جميعـا ، وذلك باحسان صنعة الانسان واتقانها .

وهذا هو الايمان ذروة الايمان والتعبد قمـة التعبـد .

## واتخذ الله ابراهيم خليلا :

وسيدنا ابراهيم ( أبو الأنبياء ) كان معتقده ( ملته ) هو ما أملته عليه فطرته عنـدما هجر عبادة الأوثان ووحد الله ، والفطرة هى الالهام الالهى الذى يولد مع كل طفل ، وقد هدى الله سيدنا ابراهيم ان يساير فطرته ، فكان منه الذى كان ، فرضى الله عنه وأحبه وقربه اليه ، وعبر عن ذلك بكونه اتخذه خليلا وقد أعجبتنا مقـالة الشيخ رشيد رضا فى تفسير المنار حيث قال :

**« واتخذ الله ابراهيم خليلا »** أى اصـطفاه لتوحيده واقامة دينه ، ثم نزه الله عن المعنى المتبادر للذهن بأنها تعنى قدرا من المساواة بين الخليل وخليله ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا واختار ان يكون الخليل بمعنى الحبيب وقد كان ابراهيم وليس فى قلبه الا محبة الله فأحبه الله ، وهذا المعنى قد تكرر فى القرآن « يحبهم ويحبونه » وهذا هو شأن المسلم دائما ينزه الله عن أى معنى انسانى ذلك انه تعالى « ليس كمثله شىء » .

**« ولله ما فى السموات وما فى الأرض وكان الله بكل شىء محيطا » .**

**« وكان الله بكل شىء محيطا »** احاطة قدرة وتسخير وعلم وتدبير ، وهو تأكيد وتعزيز للشطر الأول من الآية من ان لله ملك السموات والأرض، فهو خالق الكل صانع الكل والمهيمن والمدبر للكل

## الكون والانسـان :

ولـما كان القرآن الـكريم ، كتـاب هداية وارشاد للوصول الى الله الخالق الواحد الأحد . الفرد الصمد ، ولـما كان قد جعل سبيله للاقناع والهداية ، الفطرة السليمة ، وما يؤدى له العقل البشرى والوجدان من تفكير وتأمل ، فما فتىء القرآن الكريم يوجه الانسان للتأمل فى حقيقتين :

**١ ـ السماء والأرض ـ أى الكون .**

**٢ ـ ذات الانسان والحياة والموت .**

وهو هنا بعد أن قرر ان الدين باعتباره طريق النجاح واحدا لأن المصدر واحد ، عاد ليؤكد ان ذلك طبيعى جدا ، فله ما فى السموات والأرض ، وطالما قلنا وأفضنا فى القول ، انه بحسب الانسان أن يتطلع الى السموات ، التى يبدو فيه النجم وكأنه نقطة مضيئة ، مع أن حجمـه قد يفوق ملايين المرات حجم الشمس وهو لا يبدو كذلك الا لفرط بعده عنا ، وقدر بعد ذلك كم من ملايين النجوم فى هذه السماء الدنيا التى نراها ، والتى يسميها العلم الحديث « المجرة » ثم يحدثنا عن المجرات الأخرى التى لا يحصيها العد وصدق الله العظيم عندما يقول لنا اننا عندما ننظر الى السماء « **ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير** » .

**فلندرك بقلوبنا عظمة الله وقدرته كلما رتلنـا «ولله ما فى السموات والأرض» من عوالم وأفلاك وسموات وارضين ، وجن وانس ، وملائـكة وكائنات نعلمها أو لا نعلمها والمهم ان ذلك كله يقوم باذنه ومشيئته وأمره « كن فكان » .**

# الإيحاء اللفظى فى القرآن الكريم

الدكتور عبد الكريم دهينة

**الايحاء من الناحية النفسية ، استهواء بالعبارة أو الاشارة ، تجعل الموحى اليه مأخوذا نفسيا ، فلا يجد مناصا من الاستسلام ، « وهو عمدة المعالجين النفسانيين » .**

**والايحاء اللفظى فى القرآن الكريم ، من لدن حكيم عليم ، فالقرآن شفاء للقلوب المريضة ، أو بالتعبير التفسيرى العلمى الجديد لأمراض النفس ، وان قامت العلاقة السببية « المجازية بين القلب والنفس ، فالقلب مصدر حياة النفس » ..**

### فائدة هذا الايحاء :

ويتألق هذا الايحاء فى اختيار اللفظ ، مراعيا ما بين الألفاظ من فروق دقيقة فى دلالتها ، يقرؤها الأديب ، ولا يفقهها المتأدب وشتان بين الاثنين فى التذوق اللغوى .

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد
وينكر الفم طعم الماء من سقم

فمن أراد التذوق القرآنى فعليه أولا أن يرتشف من نمير لغة العرب السلسل العذب ، حتى اذا استساغ اللغة وذاق طعومها المختلفة الألوان، فعليه بلغة القرآن ، فسيجد فيها ضالته ، اعجاز ما بعده اعجاز .

### كل كلمة فى القرآن تحمل معنى

**لا تكاد تجد فى القرآن الكريم ، مرادفات لفظية ، كالذى يعمد اليها الأدباء لتقرير معنى معين ، أو تثبيته فى الذهن ، وذلك ما نجده أيضا فى عصر نزول القرآن الكريم فى الأدب الجاهلى .**

بل ان كل كلمة فى القرآن الكريم تحمل الى الذهن معنى جديدا ، وتبعث ايحاء خاصا ، انظر قوله تعالى « **قالت الأعراب آمنا ، قل لم تؤمنوا ، ولكن قولوا أسلمنا** » ففى الأولى لاحظ

الأسلوب القرآنى ، ان دعوى الايمان بعيدة عن هؤلاء القوم ، فهو لا يرى التهاون فى استعمال اللفظ ، ولو على سبيل المجاز ، حتى لا يوهموا على الناس ، وفى الثانية ما يدل على الاستسلام الظاهر ، والايمان تعوزه علاقات أخرى ،وضحها الله سبحانه وتعالى بقوله استطرادا : « **ولما يدخل الايمان فى قلوبكم** » وقوله : « **انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون** » .

وانظر الى قوله تعالى « **لا تقولوا راعنا ، وقولوا انظرنا** » يرى الأسلوب القرآنى أن كلمة « **راعنا** » احتملت عند بعض ذوى القلوب المريضة معنى آخر ، فنهى الله سبحانه وتعالى المؤمنين عن استعمالها(١) .

## النحوى غير الأديب

— فى ترتيب الكلام ، فيجد بعض الألفاظ أو الحروف ، لا محل لها من الاعراب ، فيحكم بزيادتها سريعا . فحكمة منطقى ظاهرى لا يهتم بما بطن فى قلب الأديب ، فليس من شأن النحوى البحث عنخبايا النفوس، ولذا كان بين النحوى « رؤية بن العجاج » والفرزدق الشاعر لقاءات ، يسأله رؤية على ما رفعت كذا ، أو نصيب كذا ، فكان يجيب ، على ما يسؤوك وينؤوك ، علينا ان نقول ، وعليكم أن تتأولوا .

واذكر وأنا تلميذ صغير ، كنت اسمع على المرحوم الشيخ عبد العزيز شعلة قصيدة للمتنبى، فوقفت على مغانى الشعب طيبا فى المغانى ، ولم يفتح الله على فقال أكمل حتى نصل الى خبر المبتدأ مغانى ، وهو « الربيع من الزمان » فهو لم يخطئنى ، انما طلب منى « الكمالة » .

**« والنحويون » اذ يتجراون بان فى القرآن الكريم حروفا زائدة ، لا يقصدون انها مفتعلة** ( حاشا لله ) انما يقصدون انها لا محل لها من الاعراب ، ولذا كان علماء المعانى يسرعون بالرد عليهم تجد ذلك منبثا فى كتب التفاسير المتعددة أبو السعود ، القرطبى ، الزمخشرى ، الخازن .. الخ ..

* * *

(١) وهذا ما يشجعنى على القول بأن التلاعب فى الفاظ اللغة ذات المعانى المشتركة ، مدخل الى المروق فى الدين، والأولى الأخذ بالألفاظ الصريحة فليس فى الفاظ العقيدة أو الشريعة ظاهر وباطن ، كما يدعى بعضهم .

تعالى معى أيها القارىء الكريم ، نستعرض بعض كلمات القرآن الكريم الموحية لنشرب من كأس كان مزاجها كافورا .

ان درجة الايحاء فى الكلمة عند الأدباء تأتى من سهولة جريها على اللسان وخفة نطقها ، وجرسها الموسيقى ، الذى تهتز له الجوانح ، وعدم تعذر حروفها(٢) .

فمثلا — كلمة جحمرش ، تركها الأدباء ، وصفا للعجوز ، وكلمة مستشزرات تركت ، وصفا للمرتفعات ، والقناقن ، وهو مهندس المياه ، تركت واستعيض عنها بمهندس الرى .

## بلاغة القرآن وسبقه كل أرباب الفصاحة :

ولقد سار القرآن الكريم على هذا النهج ، بل وأوفى ، فلم يستعمل فى أسلوبه كلمة أرضين جمع أرض لثقلها على اللسان والنفس ، انظر قوله تعالى « **الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن** » ..

واختيار الكلمة فىموضع يتطلب اختيار زميلاتها السوابق واللواحق ، فلربما أسقطت كلمة ما فى قول الأديب جمعاء ، منحلاوة وطلاوة ، فالأسلوب يجب أن تكون ألفاظه كعقد نظيم ، لابد أن تنتظم مفرداته . كحبات الدر . فلا توجد حبة أخرى كحبة خرز مثلا ، فتشمئز النفس ، وتنفر من رؤية العقد ، وهكذا الأسلوب اللغوى .

**وربما يعمد بعض المتأدبين الى حشو ، لا يفيد معنى لائقا بجملته ، فيضحك الناس ، وينفر منه الأدب ، ويسقط .. انظر الى قول الشاعر :**

**مات الخليفة أيها الثقلان**
**فكأننى أفطرت فى رمضان**

**فما علاقة موت الخليفة بفطره فى رمضان ؟ !**

وقد يأتى الأديب بكلمة ينفر منها السامع اذا ذكرت مفردة ولكنه يرتاح اليها فى جملتها .

**ولعلك ايها القارىء قد شعرت بتكدر عبدالملك ابن مروان لما استفتح جرير قصيدته بقوله :**

(٢) ولذا كانت اللغة الفرنسية فى اواخر القرن التاسع عشر ونصف القرن العشرين ذات سيادة عالمية ، لخفة نطقها أولا ولعوامل سياسية ثانية ، ولما تغلبت الانجليزية لما صاحب الانجليز من فتح شرقا وغربا ، مع نشرهم للغتهم، واعتبارها للآن — مع الأسف — لغة العلم والتقدم الحضارى .. ليتنا نعتز بلغتنا ؟ !!

اتصحو أم فؤادك غير صاح
عشية هم صحبك بالروح

فعارضه عبد الملك مغيظا ..
بل فؤادك انت .

فواصل جرير قصيدته حتى اتى الى قوله :
الستم خير من ركب المطايا
واندى العالمين بطون راح

فاهتز عبد الملك طربا واستعاده مرارا .

**ليس فى القرآن تكرار :**

**والقرآن الكريم اذ يكرر بعض الآيات او يزيد بعض الحروف ، يحدث فى النفوس الكريمة هزات روحية ، واطمئنانا نفسيا ، فانظر يا « رعاك الله » الى سورة القمر** فيها تكرار « **ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر** » وسورة الرحمن : « **فبأى آلاء ربكما تكذبان** » وسورة المرسلات « **ويل يومئذ للمكذبين** » ويحكى عن أحد أئمة الفقه أنه قرأ فى تهجده « **هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ويل يومئذ للمكذبين** » فخنقته الغيرة ورددها طوال ليله ، وهو فى كل ترداد يلتمس ايحاء جديدا يبعثه على الترداد مرة اخرى .

**أما التصور القرآنى** ، المبنى على الحقائق ، فانظر الى الحقيقة المصورة فى قوله تعالى « **وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى ، وغيض الماء ، وقضى الأمر واستوت على الجودى ، وقيل بعدا للقوم الظالمين** » .

وتصور هذه الحقيقة وتذوقها جاءت فى عدة مراجع ، أرى أن الأديب القارىء لابد له من سادة اللغة ، وأنا لم أعد بعد أن أكون «مجاورا» للبلغاء والفصحاء منهم .

**فالتصور الحسى يبين لنا سرعة استجابة الأرض ، لذا عبر بكلمة « ابلعى ماءك »** وربما لو ذكرت هذه الكلمة مفردة ، اتهمك من يسمعك انك غير أديب ، فماذا لو قلت لصديق لك « ابلع طعامك » ولكن فى هذا الموضع القرآنى ، لا تصلح كلمة اخرى بدلا منها ، فسرعة زوال الماء ، عبر عنه بالبلع .

* * *

**وبنى الفعل على المجهول ، لان النداء لم يسمعه احد ، ونوديت الأرض بحرف « يا » للخفة بدلا من هيا ، واى ، وابا ..**

**وتكررت الأرض ، لحقارتها ، فما هى الا هباءة فى مجرة احدى السدم السابحة فى السماء الأولى** بين بلايين من سدم ، لا زالت تتجسس حولها المناظر ، والمكبرات ، وتدرس عنها قوانين الاشعة الضوئية لتحديد أبعادها وحجمها(١) .. الخ .

أما موضوع زيادة الحروف كما قال النحويون — ولقد أشرت سابقا الى معنى الزيادة — فانها تثير فى النفس تساؤلات عدة ، أو رغبة أو رهبة ، ألا ترى ان سابك احد ، أن تقول له ( طيب ) وقد تحرك الياء حركات عشر ، تحمل تهديدا ساترا ، وثارا لابد منه لهذا الفاحش فى القول معك ؟!

وقد نرى فى الأحاديث العامة العادية التى نستعملها فى قوام حياتنا ، من يقحم كلمة لابد ان تكون رقيقة ، أو العكس ، أو يزيد حرفا لا نرى الداعى اليه لغويا ، ولكنه يريد أن يبين أن فى نفسه الخفية ( **اللاشعورية** ) أشياء كثيرة يحتفظ بها وأبان عنها بهذه الزيادة التى قد لا يفهم السامع منها معنى ، الا اذا كان من أصحاب التذوق اللغوى النفسى فيؤولها ما شاء له التأول ، وقد يصل الى الحقيقة أو يقول ( المعنى فى بطن الشاعر ) .

**ولما ذكر الله سبحانه وتعالى قوله «وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاءوها وفتحت أبوابها »** وقوله « **وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاءوها وفتحت أبوابها** »

احتار النحويون فى الواو الزائدة كما يقولون فى الآية الثانية فى جواب الشرط وتعللوا بأن الكوفيين يجيزون زيادة الواو فى جواب الشرط ، وهذا فى رايى علة مرفوضة ، أو هو نوع من التبرير النحوى الذى كانت تدور حوله مناظرات النحويين فى عصوره الأولى ، باختلاق الأدلة للنجاح فى المناظرة .

وعلماء المعانى يشيرون الى ان وجود الواو هنا لحكمة غريبة ، فجواب الشرط محذوف للعلم به ، وان الجنة أعدت مفتوحة ، والواو هنا لمطلق العطف ، وحذف الجواب يبعث النفس على التفكير فى هذا اللقاء الأبدى الذى فيه مالا عين رات ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . وهكذا هذه الجولات البيانية تجعل القلوب تطمئن لا سيما اذا علقت بالنحو المنطقى ..

**للمقال بقية ص ٢٢**

(١) انظر قوله تعالى ( أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها ، وزيناها ، ومالها من فروج ) انها دعوة صريحة لدراسة الكون العلوى .

# لهذا

# الصحوة

## مقام ومقال

دهشة وتساؤل يسودان العالمكله خاصة القوى العظمى . والسبب: الصحوة الاسلامية ، ذات الحركة الايجابية السريعة .. فى أنحاء العالم العربى والاسلامى ، بل فى مواطن الأقليات الاسلامية فى أوروبا وأمريكا وآسيا .

ومظاهر هذه الدهشة تبدو للمراقب كما يلى :

● حكومات الدول العظمى تكلف خبراءها بدراسة الحركات الاسلامية المعاصرة وأثرها فى أحداث هذه الصحوة الخطيرة ، والتى تهدد باعادة ترتيب القوى فى العالم وتغيير ميزانها .

● الصحف والمجلات الكبرى تصدر اعدادا وملحقات خاصة تبحث أسرار هذه الصحوة وأبعادها ، من أشهر ما نذكره مجلة « نيوزويك » الأمريكية التى أصدرت كتابا بعنوان « أهل الكهف يخرجون بعد خمسمائة عام » ، فى أعقاب معركة العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣ هـ ( أكتوبر سنة ١٩٧٣ ) .

● الجامعات ومراكز الأبحاث العلمية ، تحاول أن تجمع أطراف الموضوع لتكون منها فكرة أقرب الى الواقع والحقيقة ، عن حقيقة الاسلام وأثره فى هذه الصحوة .

وأبرز ما نذكره على سبيل المثال قدوم الوفد الذى يضم نخبة من خبراء وعلماء الجامعات والمراكز العلمية فى السويد ، الى مصر فى هذا الشهر لعقد لقاءات مع أساتذة الأزهر ، لبحث موضوع « دور الاسلام فى هذا العصر » .

● هذا كله بالاضافة الى الحركات الدائبة والنشطة فى مختلف السفارات الأجنبية فى الدول الاسلامية ، حيث يعمل السفراء والملحقون الثقافيون فى هذه السفارات دون كلل لرصد الحركة الاسلامية ، ومحاولة التنبؤ بمستقبلها ، والاجتهاد فى تقديم

# كانت ... الاسلامية

بقلم : رئيس التحرير

الثورة لحكوماتهم ، لاختيار أمثل الطرق للتعامل مع العالم الاسلامى من وجهة النظر الملائمة لأصلهم وغالبا ما تكون هذه المصالح سياسية واقتصادية .

هذا هو المقام الذى يفرض نفسه هذه الأيام .

**أما المقال الذى يناسبه فهو يبدأ بتعليق بسيط نراه ضروريا فى هذا المقام ، لأنه يكشف أسباب الصحوة الاسلامية ، ويرسم فى موضوعية أبعادها المستقبلة ، وهو بهذا يريح كثيرا من العقول الهائمة وسط الأحداث ، من أن تقع نهبا للتخمينات والأباطيل .**

**وربما كان من الانسب ان نلخص هذا التعليق البسيط بعبارات مختصرة ، يسهل تذكرها واستيعابها ، لدى كل من يعنيه البحث عن أسباب الصحوة الاسلامية .**

**ان هذه الصحوة كانت نتيجة لابد منهـا فى هذا العصر لعدة مقدمات قاسية ومريرة هى :**

— **الاستبداد والقهر** الذى لم يعد بوسع الشعوب الاسلامية أن تتحمل منه أكثر مما تحملت .

— **طغيان القوى العالمية وأنانيتها** ، فى معاملة هذه الشعوب وتجاهلها لحقوقها الأساسية ، على الساحة الدولية ، بل على أرض الشعوب الاسلامية ذاتها .

— **فشل الحضارة الغربية بشقيها الرأسمالى والشيوعى** فى أن تقيم النظام المنشود للانسان المعاصر ، وتطلع العـالم الى نظام جديد يكفل للانسانية ما تحلم به من رخاء وأمن وسكينة واستقرار .

**واذا أردنا أن نتناول هذه المقدمات أو الأسباب بشىء من الشرح كان لنـا أن نقـول :**

**١ — فيما يتعلق بالسبب الأول فقد امتحنت الشعوب الاسلامية فى هذا العصر فى كرامتها مرتين** ، كان الامتحان فى كل مرة أسوأ من اختها . المرة الأولى : عندما

داست اقدام المستعمرين اراضى المسلمين وامتهنت كرامتهم واستنزفت خيراتهم ، واخذت بقوة السلاح والاكراه أعز ما يملكون دون أن يجدوا فرصة للحيلولة بين الاستعمار وما يريد .

**ولأول مرة فى تاريخ المسلمين رأوا انفسهم فى الهاوية امام الذين كانوا يخشون باسهم بالأمس ، وقلب الزمان ظهر المجن فتحول السادة الى عبيد وفى عقر ديارهم تلك الديار التى أصبحت أمورها تدار من خارجها بواسطة المندوب السامى وحاميته التى تحتل الثغور .**

وكان لابد أن تمر فترة من الزمن حتى يعيد المسلمون ترتيب أوضاعهم ، ويلتفوا حول دعوات الجهاد ضد المستعمر وتشتعل الثورات الوطنية هنا وهناك فى أرجاء العالم الاسلامى .

**ويدرك الاستعمار أن لا أمل فى البقاء ، وأن الأقوم أن يحمل عصاه ويرحل ليترك بلاد الاسلام لأهلها .**

ولكن المسلمين الذين شقوا طويلا ما ان فرحوا بنصر الله والحرية حتى امتحنوا فى كرامتهم مرة اخرى امتحانا أشدوأقسى لأن الامتحان كان هذه المرة على ايدى الحكام الوطنيين الذين آلت اليهم مقاليد البلاد بعد خروج الاستعمار .

**ومن سوء الحظ أو سوء التدبير الاستعمارى فان الحكام الوطنيين اشربوا ثقافة الغرب وروح الغرب وارادوا أن يكرهوا شعوبهم على غير منهج الاسلام فلما استعصت عليهم الشعوب المؤمنة بربها والتى لا تدين لغير منهجه لم يجدوا لهم طريقا الا أن يقهروا هذه الشعوب ويسلبوها الحرية التى كافحت من أجلها طويلا ، وبذلت المال والعرق والدم .**

ومرة أخرى وجدت الشعوب الاسلامية نفسها ترسف فى قيود الذل والعبودية والكبت على يد ابناء البلاد الذين اعطوا بلادهم « جزاء سنمار » وكان المسلمون كما قال الشاعر :

**والمستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار**

ولقصر نظر بعض هؤلاء الحكام فقد ظنوا ان الدبابات والطائرات والمخابرات تستطيع ان تقهر الشعوب وتؤمن مقاعد الحكم وغفل هؤلاء عن حقيقة فطرية وهى أن الشعوب قد تصبر الى حين لكن لا تصبر الى الأبد ، وانها اذا اجبرت على الاختيار بين الروح والحرية فانها لا تتردد فى اختيار الحرية وبذل الروح واذا اختارت الشعوب فان الدبابات والطائرات والمخابرات لا تغنى فتيلا ولا تنفع أصحابها كثيرا أو قليلا :

**وللحرية الحمراء باب بكل يد مضرجة يدق**

**ولقد دقت الأيدى المضرجة أبواب الحرية فى افغانستان وايران والفلبين واريتريا فى الوقت الذى هبت فيه شعوب أخرى واخذت تجمع ايديها لتدق الأبواب ونخشى ان تدق الرقاب قبل ان يفهم البعض حقيقة التحول الاسلامى الخطير .**

هذا التحول الاسلامى الذى لم يعد يقبل اتخاذ الاسلام مجرد واجهة سياسية كما لم يعد يقبل خداع الشعوب والمماطلة فى تحقيق أمانيها خاصة ان الاسلام لا يقبل من المسلم الخضوع للمذلة قال تعالى : **« ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك ماواهم جهنم وساءت مصيرا »** ( النساء ) .

وأولى للغافلين الذين ما زالوا ينامون على استعباد شعوبهم أن يتنبهوا لحقيقة ما يجرى ، وأن يعرفوا أن الحرية هى المدخل الى السلام الذى ينشدونه فى كراسيهم لأن سلامهم هم جزء من السلام الاجتماعى العام .

**وخير لهؤلاء أن يعرفوا ان التحول السلمى الى الاسلام أكثر فائدة لشعوبهم ، وهو الأكثر فائدة لأشخاصهم هم .**

**ونحمد الله أننا فى مصر قد حققنا قدرا من الحرية ، نراه يتدعم فى كل يوم ، ونرجو أن يتدعم أكثر ليكون مثلا للآخرين .**

**أما فيما يتعلق بالسبب الثانى فلا نعتقد أننا بحاجة الى شرح الأبعاد الفظيعة لطغيان القوى العالمية وانانيتها تجاه الشعوب الاسلامية وتجاهلها لحقوقها وتاريخها العريق ، فى ريادة الانسانية .**

**فها نحن الآن أمام قوة لا تريد أن تفهم أن مصالحها مع المسلمين انما يحرسها المسلمون أنفسهم ولا ينبغى أن تصطنع قوة أخرى لاخافتهم دون أن تدرك أن وسائل التخويف واصطناع الغير لفرض الارادة الأجنبية أصبح أسلوبا باليا فى معاملة الشعوب خاصة الشعوب الاسلامية فى تحولها الجديد الذى لم يعد ترهبها فيه هذه القوة .**

وقوة أخرى تظن انها بحفنة من العملاء والخونة من بقايا أحقاب التخلف تستطيع أن تفرض ارادتها وتبسط نفوذها على العالم الاسلامى جاهلة ان هذه أحقاب مضت وعفا عليها الزمن وأن السيل الجارف من الوعى واليقظة وعودة الروح سيجرف هؤلاء الخونة ويذهب بهم جفاء .

**ولقد أصبح المسلم المعاصر — رغم كل شىء — يزن موقفه من قوى الغرب بموقفها من القدس والمسجد الأقصى وموقفها من حقوق الفلسطينيين خاصة حقهم فى العودة ، كما يزن موقفه من قوى الشرق بتخليها عن تصدير الاشتراكية العلمية وكفها عن العبث بمصائر الشعوب الاسلامية خاصة شعب أفغانستان .**

**وسواء فهمت القوى العالمية أبعاد التحول الجديد فى بلاد الاسلام أو لم تفهمه ، (( فكل آت قريب )) .**

**أما السبب الثالث الذى كان مقدمة من مقدمات الحركة الاسلامية المعاصرة وهو فشل الحضارة الغربية عن أن تقدم النظام العالمى المستقر ، فهو موضوع يحتاج الى شرح طويل .**

ولكننا برغم ذلك نستطيع أن نقول فى عجالة لا تخطىء الحقيقة ان فشل هذه الحضارة أصبح واضحا لكل ذى عينين ، فاخبار الأزمات والصراعات ، وحوادث القلق تعتصر البشرية التى لا تنام ولا تصحو الا على التهديد بالدمار الشامل ، كل ذلك نذير بانتهاء هذه الحضارة ، وتحول البشرية الى نظام جديد .

وعسى أن يكون ذلك النظام هو الاسلام ، فهو البديل الوحيد المطروح .

**لقد دارت عجلة الاسلام .. ولن تكف عن الدوران حتى تصل الى غايتها ( ان شاء الله ) ..**

عبد المعطى بيومى

وان اختيار « حرف » قد يتجمع حوله الحسن، ويثير فى النفس أشجانا لذيذة من المعانى التى تريحها ، انظر الى قوله تعالى **« ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة ، كذلك كانوا يؤفكون ، وقال الذين أوتوا العلم والايمان لقد لبثتم فى كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث »** ان الفاء هنا تثير فى النفس استفهامات كثيرة وراحة أبدية ، فكان الذين أوتوا العلم ، يقولون لهم ، ألا تزالون مصرين على الانكار ؟ ألا تزالون تهزءون بنا وتسخرون منا ، الا تزالون تلمزوننا وتهمزوننا بالجنون ، لقد حقق الله وعده ، وقوله **« انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار »** .

**وانظر يا أخى رعاك الله ..**

ففى أول ورقة فى المصحف الشريف ، فى الصفحة الثانية ذكر القرآن الكريم كلمة **(يشعرون)** مرتين ، ويعلمون مرة واحدة ، وقد نقرؤها بدون تفكير ، وترتيل ، وهذا ما نهينا عنه ، اذ أمرنا الله تعالى بقوله **« ورتل القرآن ترتيلا »** .

**اما التفرقة بين استعمال كلمة يعلمون ويشعرون** ، ففى الأمور التى يرجع الى العقل وحده أمر الفصل فيها تجد كلمة **يعلمون** ، فهى صاحبة الحق فى التعبير عنها كقوله تعالى **«ألا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون »** فالسفاهة أمر مرجعه الى العقل ، أما ( **يشعرون** ) فان للحواس مدخلا فى شأنها كقوله تعالى **« يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون»** فالخداع أمر نفسى، يحس الانسان بمن يخادعه ، فلا مجال لحكم العقل فيه ، وقوله **« الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون »** نفى عنهم الشعور بأنهم فسدة ، وكذلك أصحاب المذاهب الهدامة ( التقدمية كما يزعمونها ) او الطوائف والفرق التى زعمت أنها ترفع راية الاسلام ولا تشعر أنها تهدمه بأساليبها البعيدة عن حقائق الاسلام .

**وهكذا لو قلبت تلتمس هذين اللفظين فى القرآن الكريم تجد الحقيقة ناصعة البياض فى أن وضع كل لفظ فى موضعه لحكمة ، وليس للتنويع كما يشير بعض الأدباء .**

**معانى قرآنية قيمة :**

**وانظر معى يا رعاك الله الى استخدام كلمة فؤاد ، ولب ، وقلب فالفؤاد** ، فى الاستخدام القرآنى ، يراد به تلك الآلة التى منحها الله الانسان ليفكر بها ، وسيسأل عن مدى انتفاعه بها يوم القيامة كالسمع والبصر . انظر قوله تعالى **« ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا »** ، وقوله **« ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ماهم مقترفون » .. الخ .**

**اما اللب** ، فلم يستخدم فى القرآن الكريم الا مجموعا ، ويراد به التفكير الذى هو من عمل « آلة القلب » انظر قوله تعالى **« ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب »** وقوله **« ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب »** وقوله **« وما يذكر الا أولوا الألباب »** .

* * *

**أما القلب** ، وهو أكثر هذه الكلمات دورانا فى الاستخدام القرآنى فهو بمعنى « أداة التفكير» انظر قوله تعالى **« لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها »** وقوله **« فانها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور** ، وقوله **« انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم »** ، وقوله **«ألا بذكر الله تطمئن القلوب»**.

**وفى القلب الارادة** ، كما يبدو ذلك فى قوله تعالى : **« وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام »** وقوله **« وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ، ولكن ما تعمدت قلوبهم »** .

**فالقرآن يستخدم القلب فيما نطلق عليه اليوم « العقل »** وليس المراد بذلك ، قطعة اللحم الصنوبرية ، التى ما تفتىء تهتز بين جوانحنا ليل نهار فى دقات منتظمة ، ان تعرضت للخلل بالزيادة أو النقصان فلا بد لها من طبيب ( فسيولوجى ) ليدرس سبب ذلك ..

فالعقل كائن معنوى « نور ربانى » لا زالت الأبحاث تدور حوله ، هل له علاقات بتلافيف المخ ؟ الخ ..

**ولما كان الانفعال أول تأثيره تحدث فى دقات** القلب ، لذا وضح الله سبحانه وتعالى هذا الجهاز العضوى وحدد مكانه بقوله **« ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور »** والعمى هنا مقصود به عدم الادراك المعنوى الذى يسببه اضطراب القلب « الصنوبرى » من اهتزازات سالبة للنور الربانى ، الذى أودعه الله فى الانسان للارادة والاختيار ، قال الله تعالى **« بل الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره »** .

# الحياة

في

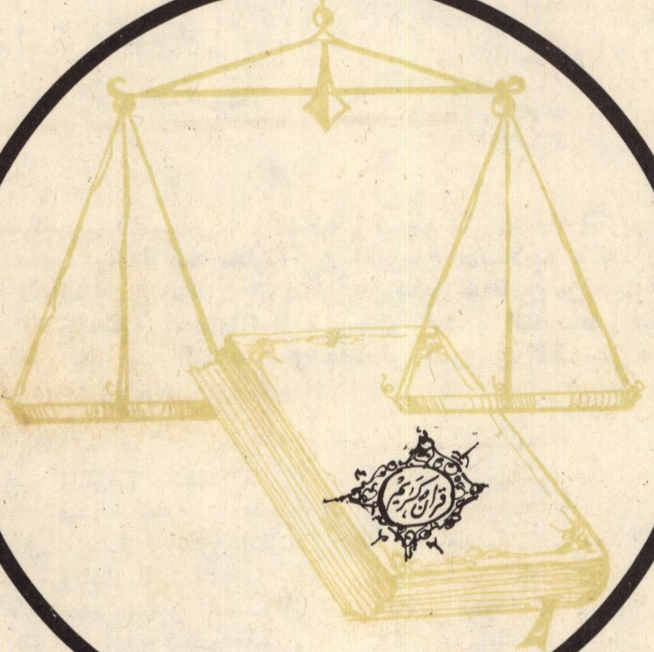

# ظلال التشريع الإسلامي

# مقارنة بين الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي

## في أصولهما العامة وفي جرائم الاعتداء على العرض خاصة

الدكتور محمود نجيب حسني

**الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله الكريم .**

**تتناول هذه الدراسة عقد مقارنة بين الشريعة الاسلامية والقانون الوضعى ، وتبدأ هذه الدراسة من منطلق عام فتقارن بين هذين النظامين من حيث الأصول العامة والسياسة التشريعية فى اجمالها ، ثم تتجه خطوة نحو التخصيص فتقارن بينهما فى المجال الجنائى على وجه التحديد ، وتتجه خطوة أخرى فى التخصص فتقارن بينهما فى جرائم الاعتداء على العرض خاصة .**

اذا سلمنا بأن التنظيم القانونى لعلاقات الناس فى المجتمع ضرورة لابد منها ، لأنه بغير هذا التنظيم تسود الفوضى فى المجتمع ، وتكون الغلبة للقوى لا لصاحب الحق ، وتنهار القيم الاجتماعية التى يتميز بها المجتمع المتحضر ، **فان السؤال الذى يعرض بعد ذلك هو : أى تنظيم قانونى نرتضيه لمجتمعنا ؟ أهو التنظيم الالهى الذى شرعه الله فأحكم قواعده فى كتابه الكريم ثم فصلها على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ، واجتهد الفقهاء المسلمون على مدى عصور متتالية فى أن يجعلوا من هذا التنظيم بنيانا متكاملا متسقا ؟ أم هو التنظيم الوضعى البشرى الذى يحكم المجتمع المصرى فى الوقت الحاضر** ، ويحكم كذلك معظم المجتمعات العربية والاسلامية المعاصرة ، وهو تنظيم مقتبس عن تشريعات أوربية ، يغلب عليها الطابع اللاتينى فى مصر وبلاد غيرها ، ويغلب عليها الطابع الانجلوسكسونى فى السودان بلاد أخرى ، وهذا التنظيم باعتباره بشريا يتصف بالنقص الذى هو سمة كل عمل بشرى ، ثم نتاج هو ظروف بيئة تختلف كل الاختلاف عن البيئة العربية والاسلامية ، وهو ثمرة قيم اجتماعية تختلف عن القيم التى تسود فى المجتمع العربى الاسلامى اختلافا كبيرا .

### التنظيم الالهى :

ان احتكاما سريعا الى المنطق ، ثم تحكيما للمصلحة الخاصة لكل فرد ، والمصلحة العامة للمجتمع يقودان بالضرورة الى تفضيل التنظيم الالهى على التنظيم البشرى :

**أولا : التنظيم الالهى كامل لأنه صادر عن الله سبحانه وتعالى ، والله هو الكامل المطلق ، اذ الكمال من خصائص الألوهية ومستلزماتها ، فالتسليم بالوهية الله جلت قدرته ، هو بالضرورة تسليم بكماله ، وما يصدر عن الكامل هو بدوره كامل : فالله تنزه عن أن يصدر عنه نقصان أو عمل ناقص ، خاصة وأنه بعباده رءوف رحيم ، يحب لهم الخير ، فهو ان أهداهم شيئا ، انما يهديهم الشىء المتقن الكامل الذى يحقق لهم مصلحتهم كاملة .**

أما التنظيم البشرى ، فهو بطبيعته ناقص ، لأن الانسان امكانياته محدودة : قدرته على العلم محدودة ، وقدرته على تصور مصلحته ومصلحة

غيره محدودة . والدليل على ذلك أن العلم البشرى فى تطور مستمر ، والتطور يعنى أن علم الماضى ناقص بالنسبة لعلم الحاضر ، وعلم الحاضر ناقص بالنسبة لعلم المستقبل ، فالنقص لن يزول الا اذا وقف التطور وتجمد العلم البشرى ، وهو ما لا يتصور .

وبديهى أنه عند المفاضلة بين كامل وناقص ، فان العقل البشرى يعطى الأفضلية للكامل .

**ثانيا : التنظيم الالهى له طابع الاستقرار ، ففيه مبادىء وقواعد اساسية لا يتصور أن يرد عليها تعديل : قاعدة أن للذكر مثل حظ الأنثيين فى الميراث ، وقاعدة الوفاء بالعهد فى العقود ، وقاعدة التزام الزوج بالانفاق على زوجته ، وقاعدة أن حد السرقة هو القطع ، هذه قواعد لا يتصور أن يرد عليها أى تعديل أو تبديل .**

أما التنظيم البشرى فلا استقرار فيه ، كل شىء فيه عرضة للتعديل : كل مشرع بشرى يعتبر نفسه أفضل من سابقه ، أكثر منه علما وتطورا ، وأكثر فهما لشئون الحياة ومشاكل المجتمع ، فيضع كل تنظيم سابق موضوع البحث ، ولا يجد فى نفسه حرجا أن يدخل عليه أى تعديل يراه .

والمجتمع فى حاجة الى الاستقرار حتى يفرغ أبناؤه لخدمته وتنميته ، ومن ثم يكون التنظيم الذى يتيح له الاستقرار أفضل من ذلك الذى يفرض عليه التقلب والتردد .

**ثالثا :** التنظيم الالهى هو ثمرة نظرة شاملة الى كل فئات المجتمع وطوائفه وطبقاته . فقد راعى الله تعالى مصالح الفئات جميعا ونسق بينها ، ووضع لها التنظيم الكامل الذى يرضى هذه المصالح جميعا ، ذلك أن الناس جميعا عباد الله وخلقه وعياله ، وهم متساوون لديه فى الحقوق والواجبات ، ولذلك يتنزه سبحانه عن أن يتحيز لفئة أو طبقة منهم ، فهو حكم عدل بينهم جميعا .

أما التنظيم البشرى فتضعه الطبقة الحاكمة ليسود فى المجتمع كله وباعتبار أفراد هذه الطبقة بشرا فانه لا يمكن أن يتجردوا من أنانية البشر ، فهم يضعون التنظيم الذى يخدم مصالحهم ، وقد يهدر فى سبيل ذلك مصالح الطبقات والفئات الأخرى . وهذا القول صحيح ، ولو كانت الطبقة الحاكمة هى الأغلبية الديمقراطية ، اذ لا تتردد فى أن تضحى فى التنظيم الذى تضعه بمصلحة الأقلية غير الحاكمة .

**رابعا :** التنظيم الالهى يحرص الناس على اتباعه بوازعين : خشية الجزاء الدنيوى الذى وكل الله تعالى الى الحاكم أمر توقيعه ، وخشية الجزاء الأخروى الذى ينتظر مخالفيه ، وهو أشد وأبقى . أما التنظيم البشرى ، فليس للحرص عليه غير وازع واحد ، هو خشية الجزاء الدنيوى المحال .

بل ان ثمة وازعا هاما فى التنظيم الالهى هو المكافأة التى تنتظر فى الدنيا والآخرة من يحرص على هذا التنظيم . ولا وجود لفكرة المكافأة هذه فى التنظيم البشرى .

وفى النهاية فان الله تعالى قد أمرنا باتباع التنظيم الذى وضعه لأنه لم يضعه عبثا أو لاعتبارات نظرية ، ويعنى ذلك أن تطبيق هذا التنظيم هو بمشيئة الله ، فهل يستطيع بشر وان عز نفوذه أن يدعى قدرته على التصدى لارادة الله ، فارادة الله هى الغالبة ولو بعد حين . بل ان الله توعد من لا يطبق هذا التنظيم ، فقال سبحانه : **« ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الظالمون »** ، وقال كذلك **« ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون »** ، وقال كذلك **«ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الفاسقون»** ويعنى ذلك أن المجتمع الذى لا يطبق ما أنزل الله من تنظيم هو مجتمع يحكم على نفسه بالظلم والكفر والفسق .

## النظام الجنائى الاسلامى :

وننتقل بعد هذه المقارنة العامة بين الشريعة الاسلامية والقانون الوضعى الى المقارنة بينهما فى المجال الجنائى خاصة .

يقوم النظام الجنائى الاسلامى على تقسيم الجرائم الى فئات ثلاث :

جرائم الحدود ، وجرائم القصاص والدية ، وجرائم التعزير .

**جرائم الحدود : هى الجرائم المعاقب عليها بحد . والحد هو عقوبة مقدرة حقا لله تعالى . معنى أنها مقدرة أنها محددة فى صورة لا تقبل تعديلا ، أى لا يرد عليها تخفيف ولا تشديد ، فليس للقاضى أن يتصرف فى نوعها أو مقدارها ، بل وليس للحاكم ذلك . ومعنى أنها مقررة حقا لله تعالى انه لا يرد عليها عفوا أو اسقاط ، فليس للمجنى عليه أن يعفو عن هذه العقوبة . وليس للقاضى أن يمتنع عن الحكم بها على من تثبت مسئوليته عن الجريمة المستوجبة لها .**

**وهذه الجرائم هى : الزنا والقذف والسرقة وشرب الخمر والحرابة والردة .**

ونشير بعد ذلك الى الحدود التى قررها الشارع الحكيم لكل جريمة منها .

حد الزنا هو الجلد مائة جلدة اذا كان الزانى غير محصن ، اى غير متزوج . وهو الرجم ، اى الاعدام عن طريق الحجارة اذا كان الزانى محصنا .

وحد القذف هو الجلد ثمانين جلدة .

وحد السرقة هو قطع اليد .

وحد شرب الخمر هو الجلد اربعين جلدة ، او ثمانين على خلاف فى الرأى .

وحد الحرابة نفصله على الوجه التالى :

اذا اخاف الجانى السبيل فحد جريمته النفى .

واذا اخذ الجانى المال فحد جريمته القطع من خلاف .

واذا قتل الجانى فحد جريمته القتل .

واذا قتل الجانى واخذ المال فحد جريمته القتل والصلب معا .

وحد الردة هو القتل .

اما جرائم القصاص والدية فهى جرائم ذات عقوبات مقدرة ، وهى حق للفرد ، مقدرة اى معينة مقدارا بحيث لا يجوز التعديل فيها .

وهى حق للفرد ، اى له العفو عنها .

وجرائم القصاص والدية هى القتل العمد والقتل شبه العمد والقتل الخطأ والجناية على ما دون النفس عمدا والجناية على ما دون النفس خطأ .

وجرائم التعزير وهى جرائم ترك تحديدها وبيان عقوبتها للقاضى وولى الأمر .

وبعد هذا العرض الموجز للعقوبات التى تقررها الشريعة الاسلامية ، نحاول فيما يلى تأصيلها باستظهار الأسس الفلسفية التى يستند اليها والأغراض الاجتماعية التى تستهدفها . تقوم فلسفة العقوبة فى الشريعة الاسلامية على أساس الجمع بين اغراض متنوعة لها ، وهو ما يتفق مع كون العقوبة نظاما اجتماعيا متعدد الجوانب ، ومتعدد الوظائف ، وهذا التعدد تبرره الأهمية الاجتماعية للعقوبة كنظام اجتماعى .

**وعقوبات الحدود ، هدف العقوبة فيها هو الردع العام ، اى انذار الناس كافة بسوء عاقبة الاجرام كى يجتنبوه ، وهذه الفكرة ذات أساس عميق من علم النفس : ذلك أن هذه الجرائم خطيرة جدا على المجتمع ، ويريد الشارع منعها باى وسيلة ، فهى جرائم تمس دعائم المجتمع الأولى ، ومن ثم كانت اعتداء على حق الله تعالى ، لأنه سبحانه يريد ان يبقى المجتمع الاسلامى محتفظا بدعائمه .**

## الأساس النفسى :

اما الأساس النفسى لهذه العقوبات فهو أن جرائم الحدود تبعث عليها نوازع نفسية قوية لأنها تجلب لمرتكبها لذة ومتعة قد لا يستطيع بمفرده مغالبتها ( وعلى سبيل المثال فان الزنا يجلب لذة بدنية ، والسرقة تجلب لذة حيازة مال الغير والاثراء السهل السريع ، والقذف يجلب لذة شفاء الحقد ، والخمر تجلب لذة السكر ) فأراد الله تعالى أن يواجه هذه النوازع الاجرامية بنوازع تتعادل معها أو ترجح عليها . فقرر هذه العقوبات التى تتسم بجسامة خاصة وتنزل بالمجرم ايلاما بدنيا جسيما يرجح على اللذة ويزيل اغراءها لدى المجرم فلا يكرر جريمته ، ولدى غيره فلا يقلده فيها .

**اما عقوبات القصاص :** فهى عقوبات من جنس العمل ، اذ ينزل بالمجرم ذات الأذى الذى أنزله بالمجنى عليه ، فيذوق المجرم بذلك الألم الذى أذاقه غيره ، فيعرف أن الشر الذى وجهه الى اخيه يرتد اليه فى نهاية الأمر .

وتستهدف عقوبة القصاص كذلك الردع العام ، وهى ذات الفكرة السابقة ، وتفصيل ذلك أن الجريمة تدفع اليها شهوة الانتقام ، وهى نزعة اجرامية قوية ، فأراد الله تعالى أن يقابل هذه النزعة بنزعة مضادة ، هى الألم البدنى المتولد عن العقوبة . ثم ان هذه العقوبة تتضمن تربية اجتماعية بتبصرة المجرم بأهمية حق المجنى عليه الذى اعتدى عليه ، وهذه تربية ملموسة محسوسة : حين يفكر فى قتل شخص أو جرحه فهو يقدر قيمة الحق الذى يريد الاعتداء عليه ، لأنه حق مماثل لحقه ، وهذا الأخير له أهميته البالغة لديه .

**وعقوبات التعزير :** الهدف الأساسى منها هو اصلاح الجانى باستئصال العوامل الاجرامية لديه ، ولذلك تلعب العقوبات السالبة للحرية دورا أساسيا فيها .

ويتضح من هذا العرض أن العقوبات التى

قررتها الشريعة الاسلامية متنوعة ، ولكل نوع اغراضه الخاصة به .

أما التشريع الوضعى فعقوباته كلها عقوبات تعزير ، اذ ليس فيها عقوبات حدود أو عقوبات قصاص .

الغرض الأساسى للعقوبة فى التشريع الوضعى ، بل الوحيد فى بعض الآراء هو الاصلاح والتأهيل ، وهو فى سبيل ذلك يغفل الشارع الوضعى الى حد كبير عن الردع العام ، فيتيح الفرصة لارتكاب جرائم خطيرة فى نطاق واسع كالقتل والزنا وما يلحق به من جرائم الاعتداء على العرض ، وهذه نقطة الضعف البارزة فى التشريع الوضعى .

**نظرة الشريعة :**

وعند المقارنة بين خطتى الشريعة الاسلامية والقانون الوضعى نقرر أن نظرة الشريعة أصوب ونستند فى ذلك الى الحجج التالية :

**أولا : تضع الشريعة الاسلامية فى اعتبارها الأغراض المتنوعة للعقوبة ، ولا تقتصر على الاعتداد بغرض واحد كما يفعل التشريع الوضعى .**

**ثانيا : تراعى الشريعة الاسلامية التفاوت بين الجرائم فى الطبيعة والخطورة : فبعض الجرائم شديد الخطورة على المجتمع ، وبعضها تدفع اليها نوازع قوية ، وثمرة هذه الملاحظة التى لم تفت الشريعة أن كل فئة من الجرائم يجب أن تقابل بعقوبات تتفق مع طبيعتها وتصدر عنها نوازع لا اجرامية فى ذات قوة النوازع الاجرامية.**

ويتضح من هذه المقارنة فى أن العقوبات الشرعية من شأنها الحد من نطاق جرائم الحدود والقصاص لأنها تواجهها بالأسلوب الصحيح المستند الى أسس سليمة من علم النفس : ذلك أنها تحدد النوازع الاجرامية التى تدفع اليها ، ثم تحدد العقوبات التى تصدر عنها نوازع لا اجرامية تواجهها .

والتجربة العلمية تؤكد ذلك ، حين طبقت العقوبات الشرعية التطبيق السليم فقد حدت من نطاق هذه الجرائم .

أما العقوبات الوضعية فهى لم تضع فى اعتبارها فكرة الردع العام ، وانما اقتصرت على فكرة الردع الخاص ، أى مجرد اصلاح المجرم وتهذيبه وتأهيله ، ونتيجة لذلك فهى لم تفلح فى الحد من نطاق هذه الجرائم ، ولذلك فهى ترتكب فى نطاق واسع فى البلاد التى تطبق فيها هذه العقوبات .

فاذا انتهينا من هذه المقارنة بين الشريعة الاسلامية والقانون الوضعى فى المجال الجنائى عامة ، فاننا ننتقل الى المقارنة بينهما فى نطاق جرائم الاعتداء على العرض خاصة .

يطلق على جرائم الاعتداء على العرض فى الشريعة الاسلامية تعبير الزنا .

**والزنا من جرائم الحدود ، ويعنى ذلك أن عقوبته مقدره على وجه ثابت ، لا يستطيع القاضى التصرف فيه والتعديل منه ، وهى حق لله تعالى ، فليس لولى الأمر أن يعفو عنها . ودلالة ذلك أنها فى الشريعة جريمة خطيرة جدا ، تمس الدعائم الأولى للمجتمع ، فلا يجوز التساهل فيها ، ذلك أنها تهدم العائلة ، والعائلة أساس المجتمع ، فهى تهدم المجتمع كله ، ودعائم المجتمع الاسلامى كما قدمنا تهم الله تعالى ، ومن ثم فهو جل شانه لا يسمح لأحد من خلقه بأن يتهاون فيها .**

**وحد الزنا هو الجلد مائة جلدة ، وذلك ثابت بنص صريح فى الكتاب ومن ثم لا مجال للاجتهاد فيه . يقول تعالى : « الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » .**

وللزنا ظرف مشدد اذا كان الزانى محصنا ، اذ يكون الرجم ، أى الاعدام قذفا بالأحجار ، وهذا التشديد ثبت بالسنة القولية والفعلية ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يحل دم امرىء مسلم يشهد الا اله الا الله وانى رسول الله الا باحدى ثلاث : النفس بالنفس ، والثيب الزانى ، والمفارق لدينه التارك للجماعة » . أما السنة الفعلية فقد أمر الرسول عليه الصلاة والسلام برجم ماعز والمرأة الغامدية .

**مقارنة تلفت النظر :**

**وعند المقارنة بين حد الزنا فى الشريعة وعقوبة الزنا** فى القانون الوضعى نلاحظ أن معنى الزنا مختلف بينهما اختلافا أساسيا ، ويتصل هذا الاختلاف باختلاف فى مدى حماية كل منهما للعرض ، والفلسفة التى يعتمد عليها كل منهما فى تقرير هذه الحماية ووضع قواعدها .

الزنا فى الشريعة الاسلامية هو « كل وطء فى غير حلال » او فى تعبير آخر هو « كل صلة جنسية لا يقرها الله » كل صلة جنسية ليست حلالا ( أو غير مشروعة ) هى زنا . ومتى تكون الصلة مشروعة فيقرها الله ، وبالتالى تكون الصلة الخارجة عن هذا النطاق غير مشروعة فلا يقرها الله ، ومن ثم تكون زنا ، وقد بين الله ذلك فى وصفه المؤمنين ، فقد قال تعالى « قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون ، والذين هم لفروجهم حافظون ، الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون » . ومؤدى ذلك أن كل صلة جنسية بين غير زوجين ، أى بين شخصين غير متزوجين تعتبر زنا . وهذا المفهوم واضح ، وبسيط ، وشامل . وتحديد الأساس المنطقى الذى يعتمد عليه لا يثير صعوبة وسنوضحه فيما يلى :

أما الزنا فى القانون الوضعى فهو أضيق نطاقا من المعنى السابق بكثير ، فهو يعنى الصلة الجنسية بين شخص متزوج وغير زوجه . فالزوجة تزنى أن اتصلت جنسيا برجل غير زوجها ، والزوج يزنى اذا اتصل جنسيا بامرأة غير زوجته . وعقوبة الزوجة الزانية فى قانون العقوبات المصرى هى الحبس الذى لا تزيد مدته على سنتين ( المادة ٢٧٤ ) ، وعقوبة الزوج الزانى هى الحبس الذى لا تزيد مدته على ستة أشهر ( المادة ٢٧٧ ) . ويعنى ذلك أن الزنا فى القانون الوضعى هو جريمة المتزوجين : المرأة غير المتزوجة والرجل غير المتزوج لا يرتكبان زنا .

ولكن ذلك لا يعنى أن نطاق حماية القانون الوضعى للعرض يقتصر على الزنا ، فثمة جرائم أخرى يحمى فيها القانون الوضعى العرض ، ونشير فيما يلى الى اهمها :

١ ـ الاغتصاب ، وهو يعنى اكراه الرجل امرأة على صلة جنسية ( المادة ٢٦٧ من قانون العقوبات ) ، وعقوبته الأشغال الشاقة المؤبدة أو المؤقتة . وبتوافر ظرف مشدد يرفع العقوبة الى الأشغال الشاقة المؤبدة اذا كان الجانى من أصول المجنى عليها او متوليا تربيتها او ذا سلطة عليها أو خادما لها .

٢ ـ هتك العرض بالقوة أو التهديد ( المادة ٢٦٨ من قانون العقوبات ) ويفترض اكراها على سلوك جنسى دون الصلة الجنسية ، أى فعلا مخلا بالحياء على نحو جسيم ، وعقوبته هى الأشغال الشاقة من ثلاث سنين الى سبع سنين .

٣ ـ هتك العرض دون قوة أو تهديد ( المادة ٢٦٩ من قانون العقوبات ) ويفترض أن سن المجنى عليه دون الثامنة عشرة ، وعقوبته الحبس الى ثلاث سنوات .

٤ ـ الفعل الفاضح العلنى ، ويفترض سلوكا مخلا بالحياء العام ، أى فعلا خادشا للحياء يرتكب فى مكان عام ( المادة ٢٧٨ من قانون العقوبات ) وعقوبته الحبس مدة لا تزيد على سنة او غرامة لا تجاوز خمسين جنيها .

**٥ ـ الفعل الفاضح غير العلنى ( المادة ٢٧٩ من قانون العقوبات ) .**

**٦ ـ جرائم الدعارة ، وهى جرائم الاتجار فى السلوك الجنسى .**

## الشريعة الاسلامية :

وعند المقارنة بين مدلولى الاعتداء على العرض فى الشريعة الاسلامية والقانون الوضعى نلاحظ ان الشريعة الاسلامية تحمى العرض بجريمة واحدة ذات نطاق عام شامل ، وهى بناء على ذلك لا تدع مجالا لفعل يفلت من نطاق الحماية الشامله للعرض .

**أما القانون الوضعى فهو يحمى العرض بجرائم متعددة ، كل جريمة لها اركانها ونطاقها ، ومن شأن ذلك أن يدع ثغرات بحيث نجد أفعالا ماسة بالعرض ، ومع ذلك لا يوقع عليها عقاب . وذلك راجع الى أن كل جريمة لها مجال ، والمجالات ليست متلاصقة ، ومن ثم يحتمل أن تفصل بينهما ثغرات . وهذه النتيجة خطيرة اجتماعيا لأن معناها أن المشرع يتسامح ( بل ويقر ) أفعالا تنافى الأخلاق تماما ، وتناقض مصلحة المجتمع كل التناقض . ومن شأنها اذا استشرت أن تقوض العائلة ، فتهدم المجتمع بالتالى .**

**ويفسر ذلك ـ من حيث فلسفة التشريع والعقوبة ـ اختلاف بين الشريعة الاسلامية والقانون الوضعى فى تحديد معنى العرض .**

العرض فى الشريعة هو نقاء وطهارة السلوك الجنسى ، هو قصر الصلة الجنسية على العلاقة بين الزوجين . ومن ثم يعتبر زنا كل سلوك جنسى غير نقى ، غير طاهر ، لأنه فى علاقة بين غير زوجين .

**للمقال بقية ص ٣٤**

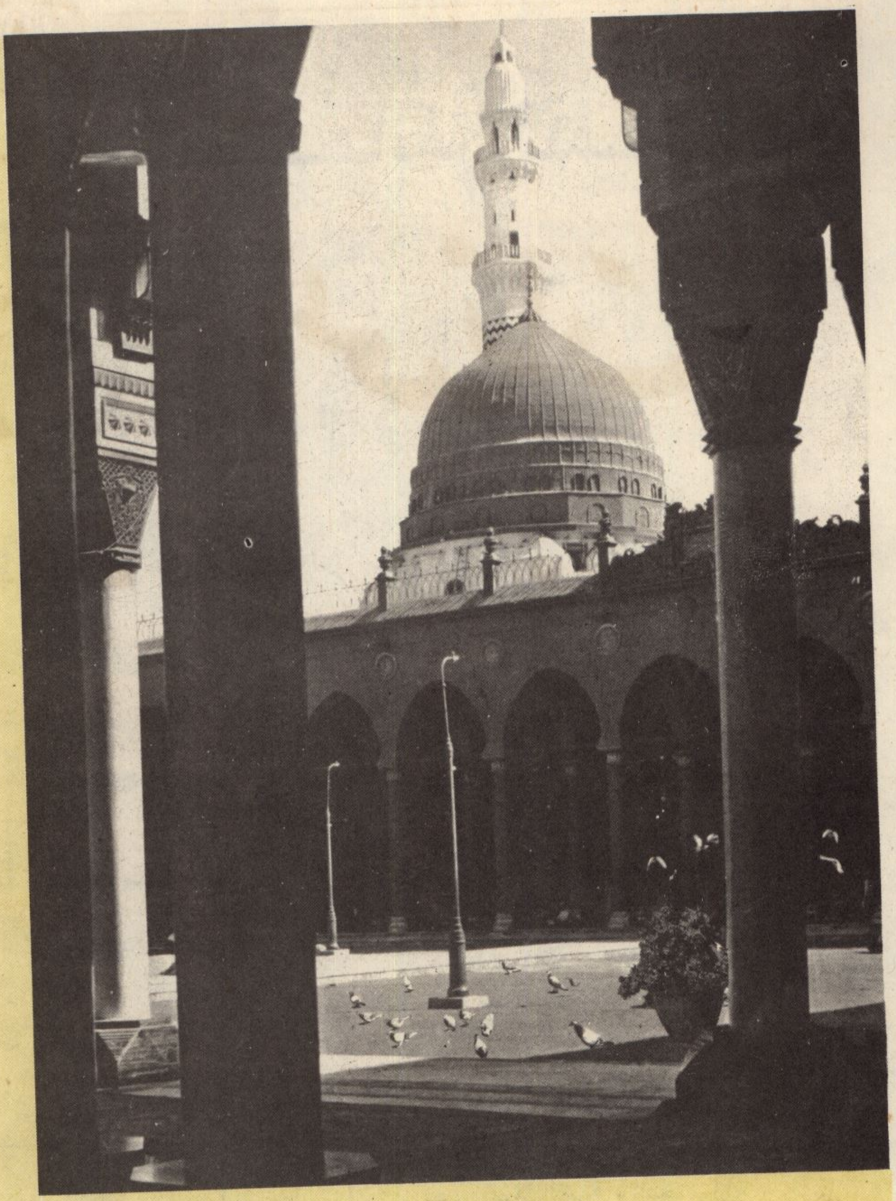

# السيرة

# طبقات النساء

# المحدّثات

الأستاذ عبدالعزيز سيد الأهل

## رغبة شريفة :

رغب الى الأصدقاء الكرام المشرفون على هذه المجلة الاسلامية ذات الشأن — تفضلا منهم — أن أعود الى الكتابة بها بعد انقطاع طويل دام أعواما ، وكان منى كأنه نوع من الزهادة ، بل ربما كان زهادة حقة : اذ اعترضنى رجل صادق التصوف — رحمه الله — وسألنى قائلا : ماذا تفعل وماذا تشتهى ؟ فقلت له : أكتب فى مجلة منبر الاسلام وأشتهى أن ارى أحلاما سعيدة .

قال : وما صورة الأحلام السعيدة فى تصورك ؟ قلت : من نوع ما يراه الزهاد .

فقال لى : لقد أسرفت على نفسك ، اختر من الأمرين شيئا واحدا ، فاما الشهرة بالكتابة واما رؤية الأحلام السعيدة .

وكان هذا أول درس ألقى على وأثر فى نفسى بعد الكبرة والدخول فى السن ، فامتنعت عن الكتابة لأنها شهرة وطلبت الأحلام لأنها فى سترة .

ومرت بى أيام طويلة على الصمت والنوم . ثم رأيت أنه لم يبق لى شىء مما كنت أفعل ، ولم يأتنى شىء مما كنت أشتهى ، اذ أمسك قلمى عن الكلام وأمسكت عنى فى نومى الأحلام .

وحدث أن تلهفت على تلبية ما رغب الى فيه اخوانى الفضلاء المشرفون على المجلة التى لم ينقطع عنى فضل الأولين منهم ولا الآخرين ، ورأيت — معهم — أن أفتح بابا جديدا غير ما كنت فتحته بها قديما من أبواب ، كانت فى حضارة الاسلام والشعر الدينى واشارات العلوم فى القرآن وما بين الفقه والتصوف من صلات ومفارقات وما فى الكتاب العزيز من نظائر وأشباه .

**والباب الجديد الذى طرقته ومددت اليه المفتاح بيدى كنت قد ملأت الغرفة من ورائه بما تمنيت عرضه وبيعه « طبقات للنساء المسلمات المحدثات » أى اللائى اشتغلن بحديث رسول الله — صلى الله عليه وسلم وأبلغته لمن وراءهن كما تلقينه ممن قبلهن من رجال ونساء .**

ولست أشك فى أنه باب عليه طلاوة ، وانه وان لم يكن غريبا على كبار المهتمين به وبمثله من علماء الحديث فى البلدان ، فانه سوف يفيد ويبهج من هم أقل اهتماما منها بالبحث أو أبطأ ميلا الى الاطلاع أو أعف نفسا عن التعمق .

**ولا ريب فى الاستفادة من هذا الجديد لأنه سيكشف الغطاء عن مآثر لنساء مسلمات غمرتهن بحور النسيان ، فلم تسمع بأخبارهن آذان . ولم تلمع أضواؤهن فى عيون . ولم تشم طيبهن أنفاس . ومن حقهن أن تسمع أصواتهن وأن تضىء شموسهن ، وكان أكابر المصنفين قد أمسكوا عن نشر واسع لأخبارهن ،** فلم يصبوا زيتا فى مصابيحها حتى تظل مضيئة فى العصور كما كانت مضيئة فى عصر النبوة ، حيث لم يغب عن مؤلف اسم واحدة من الصواحب أو كنية لها أو لقب . وحتى من لم تشتهر منهن باسم أو كنية فقد أشاروا اليها فى فصول سموها فى كتبهم : فصول المجهولات من النساء .

## طبقات النساء :

وكان للصواحب فضل السبق فى رواية الحديث مرفوعا الى النبى — صلى الله عليه وسلم — استماعا منه أو من الأمثال من افراد الطبقة رجالا ونساء . دون أن يكون اكثرهن من محترفات العلم أو عارفات بالقراءة والكتابة ، الا حظا سعيدا أصابهن لأنهن ظفرن برؤية الرسول الكريم ، وخلقهن القدر فى أسعد زمان .

ولقد وضح لكل من رأى أن عصر النبوة كان أسعد عصور النساء كما كان أسعد عصور الرجال فى الاتصال المباشر بالحديث استماعا ورواية ، ولم تكد واحدة من المبايعات أو الرائيات تسمع قولا أو تدرك لمحة أو ترى اشارة الا حرصت على روايتها وابلاغها عملا والتزاما بأمر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى قوله : « فليبلغ الشاهد الغائب » .

وكان من بعدهن للتابعيات فضل الرواية عنهن ، مرفوعا الى النبى — صلى الله عليه وسلم — أو موقوفا على الصحابة « وكذلك كان لهن فضل فى اقوالهن » حسبها علماء الحديث من المقطوع على التابعى ، والنساء فى ذلك محسوبة درجة كلامهن كرتبة كلام الرجال .

**ثم ظل اشتغال أصحاب الحظ الأوفى من النساء بالحديث وروايته والتعرض لتعليمه فى بيوتهن خاصة أو فى المساجد الجامعة ورحبات الحديث الواسعة ، فى القرون التى توالت بعد عصرى الصحبة والاتباع حتى القرن العاشر الهجرى .**

وبعد هذا القرن انقطع العقد ولم تتصل الحلقات حتى جاء فى عصرنا الذى نعيش فيه آحاد من النساء فى بعض بلاد المسلمين من عرب وعجم ، قد الهمن أن يعكفن على رواية الحديث أو دراسة ما يتصل به ، حبا فى الاحاق بأمثالهن من السابقات والتاليات ، وكل بلد يعرف صاحبته التى تفردت فيه .

**ومن الانصاف أن يذكر ما قاله شمس الدين الذهبى ورده ابن حجر العسقلانى فى كتابيهما ميزان الاعتدال ولسان الميزان ، اذ قال الذهبى : ولا أعلم فى النساء من اتهمت ولا تركوها .**

**وهذا أشرف ما أصاب المحدثات المسلمات من الانصاف ، فقد براهن عالم الأمة من الاتهام بالكذب والتدليس واللحن وعيوب التحديث .**

فاذا وصف قول واحدة منهن بالضعف فانه ممن روت عنه أو ممن روى عنهـا .

وكان عصر التابعيات قريبا من عصر الصحابيات أو داخلا فيه غير منفصل عنه ، ثم توالت القرون وتتابعت ، فجعل بعضها يتسع لصواحب الحظ من الروايات والمشتغلات بالحديث المنصرفات له ، فيذكر منهن عددا كبيرا أو عددا قليلا . وجعل بعضها يضيق ويختنق فلا يذكر غير عـدد قليل منهن أو نادرا أو لا يذكر أحدا .

وكأن ذلك الضيق يرجع الى حـال المجتمع الاسلامى حيث يعمى التعصب ويكون للتدين ضراوة وشرة وفترة تخرجه عن حد الاعتدال ، أو تنتشر الفتنة وتثور القلاقل فيشتد احتجاب النساء ـ من أنفسهن تحرجا وتصونا أو من صولة الرجال ـ أو كأنما كان تباعد البلدان وتمزقها تحت مختلف الأنظمة والحـكام سببا فى حبس الأخبار حين يكون فى بعض البـلاد من اشتغلن بالحديث ولم يجد عملهن من يدونه أو يذيعه فضاع بين أنياب الزمان .

وربما كان من انصراف المشتغلات بالحديث الى الزهد وترجيح ما انتقلن اليه من حـلاوة فى اقوالى لهن » حسبها علمـاء الحـديث من التعبد ، فآثرن ترك الحوار والأسفار ، والسير فى مهالك الخلاف والأكدار .

وهذه ظاهرة بينة ذكرها المصنفون فى أخبـار نساء آثرن الزهد فتركن الحديث بعد أن كان لهن فيه مشوار وأياد وآثار .

## مشـقة البحث :

**وقد يخطر ببال من لا يبالى ان مشرع الحديث يسهل وروده لكل وارد ، ولكنه ميدان يصعب على الراكب ان ينتظم فى فرسانه ان لم يكن فارسا مدربا سباقا ، فاذا لم يكن فانه سريعا ما يجد نفسه تحت السنابك او منحدرا الى الوديان المهالك .**

وقديما كم افلس فى طلب هذا الفن رجال وخابت آمال ، وانبرى الجهابذة يذودون عن حياضه حتى لم يبق محمودا أو مقبولا الا من أنجاه الله ووقاه .

وحتى تسطع أنوار الحديث للرائى يسرج له آلاته من علوم اللغة والتاريخ والفقه والقياس ، وآدابه من الحذر والخوف والقدرة على الاختيار والانتقاء ، ومع الآلات والآداب وهب من قوة الحفظ وسعة الفهم وهداية التأويل .

وما لم يلم الطالب الراغب بأكثر طرق الرواية للحديث الواحد فانه لن يكون الا كمن لم يطلب ، بل ويا ليته لم يطلب ولم يرغب . وها نحن أولا : نرى من حولنا من يرتطم فى الخطأ ويدعى المعرفة مرتكسا فى حسن الظن منتصرا بجهل العامة . وماذا يفعل العارفون بالحقائق وهم سائرون فى صحارى من التيه !

وطلب الروايات للحديث الواحد حتم لازم ، فربما كانت الزيادة فى ألفاظ رواية مصححة لفهم خاطىء من رواية نقصت فيها الألفاظ ، أو ربما كان الحديث تغير حكمه فى النهاية عنه فى البداية ولم يكن الباحث قد وقف على أزمنتـه فيظن فى الحديثين تضاربا ، حين نسخ الثانى الأول ، أو ربما اختلط فظن الخاص عاما والعام خاصا .

وكل هذه الأمور لهـا أمثلة حاضرة ـ نمسك الآن عن سردها ـ وندعو الباحث اللاهف الراغب ان ينفق فيها الأموال ويشق اليها الأهوال .

والمقدرة والشروط التى طلبت فى رجال الحديث هى ذاتها التى طلبت فى نسائه ليحسبن فى الراويات العارفات .

**وسوف نرى فيما ياتى من تفصيل الطبقات بمعونة الله ـ ان كثيرا منهن ـ وفى كل الطبقات قد نشات فى بيوت اذن الله أن ترفع ، وبيئات شاء لها أن تضيىء ، وكان لهن شركة وكسب من**

البيت والبيئة ، اذ عكفن على الحديث وظللن يؤدين حقه من التحمل والبث ، وكان أن طالت بالكثير منهن الأعمار وعمرت الديار .

وسوف يرى من لم ير من قبل — فيما نقص — عجبا ، وسوف يسمع من لم يسمع من قبل — فيما نغنى — طربا .فأنا نظمناهن فى عقود عشرة، وكل عقد لقرن من مائة عام ، اعتبارا من القرن الأول الى القرن العاشر ، وحيث يقصر حبل عقد وتقل خرزاته فى قرن ، أو يطول الحبل وتكثر خرزاته فى قرن آخر ، حسبما تجود بحاره بدرها وتلقى مناجمه بجواهرها .

وسوف لا يكون فيما نعرضه لكل طبقة الا ما يتصل بعلم الحديث دون غيره ، وعلى شرط ان يكون لمن نذكرها فى طبقتها عمل واضح فى الحديث يكفل أن يجعلها خرزة فى عقدها المنظوم .

فاذا لم يكن الا الاسم والاشارة الموجزة ، ثم عجزنا عن الاهتداء الى واسع من الأخبار فانه لا فائدة للناس الا فى ذكر من لهـا شأن يذكر وعلم يكتب ويؤثر .

والى الطبقة الأولى : طبقة الصحابيات — فى المقال القادم — وبالله العون ومنه الهداية وبيده التوفيق .

(( حديث شريف ))

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول اللهصلى الله عليه وسلم قال :

أن مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله الا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ، ويعجبون له ، ويقولون :

هلا وضعت هذه اللبنة ، قال :

فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين .

## بقية مقال المقارنة بين الشريعة الاسلامية والقانون الوضعى

والعرض فى القانون الوضعى هو الحرية الجنسية . ومن ثم كل صلة جنسية تعتبر ممارسة لهذه الحرية ليست جريمة ، ويقتصر نطاق التجريم على « الاعتداء على الحرية الجنسية » .

وخطة الشريعة الاسلامية أفضل لأنها تكفل اقامة مجتمع فاضل ، وعائلات متماسكة نقية ، وهى ترسم لكل شخص المجال الجنسى المشروع له ، وتقول له فى استنتاج منطقى سليم ، ان ما عدا هذا المجال محظور عليك لأنه غير نظيف ، غير نقى ، غير متفق مع سلوك الانسان الذى يحترم نفسه ويصونها عن دنس الدنايا .

وبالاضافة الى ذلك فان وجهة نظر القانون الوضعى ليست مستمدة من المنطق أو العدالة أو مصلحة المجتمع أو غير ذلك من الاعتبارات التى يسعنا التسليم بها وانما هى مستمدة من قيم وتقاليد خاصة بالمجتمع الفرنسى ، وربما شاركت فى تكوينها ظروف بيئية خاصة بهذا المجتمع ، ومن ثم فنحن لا نستطيع المشاركة فيها ، بل انها قد صارت موضع نقد فى هذا المجتمع نفسه . وهى بناء على ذلك لا تجد لها سندا فى مجتمعنا المصرى العربى الاسلامى .

وقد تخير الله سبحانه وتعالى حد الزنا فجعله الجلد ، وقد استند اختياره تعالى الى أساس من الاعتبارات النفسية التى تستند اليها فكرة « الردع العام » جوهر هذا الحد هو الايلام الجسدى ، والدافع الى الزنا هو اللذة الجسدية، فأراد الله أن يخلق دافعا مضادا يرجح عليها من نفس طبيعته وهو الألم الجسدى .

ويعنى ذلك أن هذا الحد لم يوضع اعتباطا ، وانما هو يستند الى أساس نفسى حدده عليم بخفايا النفس البشرية ، وقادر على أن يتبين مصدر اعوجاجها ، ويحدد لها العلاج الملائم تماما .

أما العقوبة الوضعية ، وهى دائما عقوبة سالبة للحرية ، فليس فيها ذلك المعنى النابع عن فكرة الردع العام ، وهى تبعا لذلك لا تستطيع أن تحقق الأغراض التى تحققها العقوبات الشرعية .

وخلاصة هذه المقارنة بين الشريعة الاسلامية والقانون الوضعى فى المجالات الثلاثة السابقة تقود فى غير شك أو تردد الى تفضيل وجهة النظر التى تمثلها الشريعة الاسلامية سواء من حيث الأسس الفلسفية والسياسة التشريعية والأهداف المتوخاة بالعقوبة .

**« ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ، ولكن الخير أن يكثر علمك ويعظم حلمك وألا تباهى الناس بعبادة الله ، وإذا أحسنت حمدت الله تعالى وإذا أسأت استغفرت الله تعالى »**

**« على بن أبى طالب »**

# مكانة السنة عند المسلمين

الدكتور محمد مبارك السيد

من المعلوم عند المسلمين فى كل العصور ان من أنكر حديث النبى صلى الله عليه وسلم قولا كان أو فعلا ، وكان الانكار نابعا عن حجود متعمد ، فقد كفر وخرج عن دائرة الاسلام وحشر مع من شاء الله من فرق الكفرة .

قال الامام الشافعى رضى الله عنه فى كتاب الرسالة ونقله عنه البيهقى فى كتاب المدخل له : قد وضع الله رسوله صلى الله عليه وسلم من دينه وفرضه وكتابه الموضع الذى أبان جل ثنائه . أنه جعله علما لدينه بما افترض من طاعته وحرم من معصيته ، وأبان من فضيلته ، بما قرن بين الايمان برسوله مع الايمان به .

فقال تبارك وتعالى : « **فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة ، انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه أنى يكون له ولد** » وقال عز وجل : « **انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه** » **فجعل كمال ابتداء الايمان الذى ما سواه تبع له ، الايمان بالله ثم برسوله معه .**

قال الشافعى : ففرض الله على الناس اتباع وحيه وسنن رسوله فقال فى كتابه : « **لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين** » مع آى سواها ذكر فيهن الكتاب والحكمة قال الشافعى : فذكر الله الكتاب وهو القرآن وذكر الحكمة ، فسمعت من أرضاه من أهل العلم بالقرآن يقول : الحكمة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال « **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم . فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول** » فقال بعض أهل العلم : فى قوله « **فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول** » : الرد الى قول الله تعالى ، والى قول رسوله صلى الله عليه وسلم . ثم قال الله بعد ذلك فى نفس السورة مبينا أن طاعة الرسول هى طاعة الله فقال : « **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما**

شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » . وقال ايضا : « من يطع الرسول فقد أطاع الله » وقال كذلك : « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم » وقال الله تعالى فى سورة النور : « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » الى غير ذلك من الآيات التى دلت على اتباع امر الرسول ولزوم طاعته ، فلا يسع أحد رد أمر الرسول لأن الله فرض طاعته .

**قال البيهقى : لولا ثبوت الحجة بالسنة لما قال صلى الله عليه وسلم فى خطبته بعد تعليم من شهده أمر دينهم « الا فليبلغ الشاهد الغائب فرب مبلغ أوعى من سامع » وقوله صلى الله عليه وسلم « نضر الله امرءا سمع منا حديثا فاداه كما سمعه . فرب مبلغ أوعى من سامع » .**

**قال الشافعى : فى شرح هذا الحديث : فلما ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى استماع حديثه ومقالته وحفظها وأدائها ، دل على انه لا يأمر أن يؤدى عنه ، الا ما تقوم به الحجة على من أدى اليه . لأنه انما يؤدى عنه حلال يؤتى ، وحرام يجتنب وحد يقام ، ومال يؤخذ ويعطى ، ونصيحة فى دين ودنيا .**

## استدلال من السنة

**وأورد البيهقى للاستدلال على ذلك من الاحاديث . حديث أبى رافع أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا ألفين أحدكم متكئا على اريكته يأتيه الأمر من أمرى مما أمرت به او نهيت عنه . يقول : لا أدرى ، ما وجدنا فى كتاب الله اتبعنا ، وروى أيضا حديث المقدام ابن معد يكرب أن النبى صلى الله عليه وسلم حرم أشياء يوم خيبر منها الحمار الأهلى وغيره ، ثم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يوشك أن يقعد الرجل على أريكته يحدث بحديثى فيقول : بينى وبينكم كتاب الله ، فما وجدنا فيه حلالا استحللناه ، وما وجدنا فيه حراما حرمناه الا وان ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله » .**

وروى البيهقى بسنده عن المقدام بن معد يكرب عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : **الا انى أوتيت الكتاب ومثله معه الا انى أوتيت** القرآن ومثله معه . الا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن . فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه : الا لا يحل لكم الحمار الاهلى ولا كل ذى ناب من السباع ولا لقطة معاهد » وروى البيهقى أيضا بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى قد خلفت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما أبدا : كتاب الله وسنتى ولن يفترقا حتى يردا على الحوض .

وأخرج بسنده عن العرباض بن ساريه قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ثم اقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل : يا رسول الله كأنها موعظة مودع فماذا تعهد الينا ؟ قال أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان تأمر عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة . فانه من يعيش منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين ، تمسكوا بها . وعضوا عليها بالنواجذ ، واياكم ومحدثات الامور ، فان كان محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وبين الأحاديث فى هذا المقام ما رواه أنس ابن مالك رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من أحيا سنتى فقد أحبنى ومن أحبنى كان معى فى الجنة ، ومنها أيضا ، القائم بسنتى عند فساد أمتى له أجر مائة شهيد » .

**الشافعى والسنة :**

**ويقول الشافعى رضى الله عنه : وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثلاثة أوجه : أحدها : ما أنزل الله فيه نص كتاب فسن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل نص الكتاب وثانيهما : ما أنزل الله فيه جملة كتاب فيبين عن الله معنى ما اراد بالجملة ، وأوضح كيف فرضها عاما أو خاصا ، وكيف أراد ان ياتى به العباد . وثالثها : ما سن رسول الله صلى الله عليه وسلم مما ليس فيه نص كتاب فمنهم من قال : جعله الله له بما افترض من طاعته وسبق فى علمه من توفيقه لرضاه أن يسن فيما ليس فيه نص كتاب،**

**للمقال بقية ص ٩٣**

# حضارة

# الإسلام

تحول

# تيار الأخلاق الاجتماعية

٤

# ركائز القيادة المصرية للأمة العربية والإسلامية

الأستاذ عبد العظيم منصور

تكلمنا فى مقال سابق عن احدى صور تحول تيار الأخلاق الاجتماعية وهى بطلان الحاسة الدينية والعاطفة الدينية ، الأمر الذى أدى بالمسلمين الى الاستهانة بالشعائر التعبدية والقيم الأخلاقية والبعد عن التصورات الاعتقادية الالهية والتعلق بفلسفات بشرية وضعية لا يرجى من ورائها للفرد كمال ، ولا للأسرة صلاح ، ولا لامالك استقامة وتمكين ، كما اختفت الأخوة الاسلامية بجلالها وروعتها وتمزقت الروابط بين الفرد والفرد وساءت العلاقة بين الفرد والأسرة ، والأسرة والفرد ، وضاع الحياء فى علاقة الفرد بنفسه وبغيره وحتى بربه ، واختلفت وجهات الدول الاسلامية ، فأصبح لكل منها وجهة فاستحال التلاقى بينها ، الامر الذى أصبحت بسببه كل دولة اسلامية لعبة فى أيدى الطغاة من أبناء الأنظمة الوضعية يتسلون بآلام تعذيب الأمم الاسلامية ، ويعملون على تعميق الخلافات بينها ، وابعادها عن ضميرها فى العبادات والمعاملات والتشريعات والعقائد والأخلاقيات ، حتى أصبحت كل دولة اسلامية لا تدرى لها ماض ، أو حاضر أو مستقبل ومصير ، الأمر الذى يخشى معه على تلك الدول من أن تنمحى فى غمار الغاصبين ، فتظل تائهة ضائعة لعشرات بل لمئات من السنين .

•

**ليس للعالم الاسلامى الا مصر :**

ومن هنا كان لابد من زعامة للعالم الاسلامى والبحث عن دولة من دوله لعبت دورا بارزا فى التاريخ الانسانى والتاريخ الاسلامى على وجه الخصوص لتتسلم الزمام والقيادة وتتحمل تبعات القيادة ومسئوليات الامامة ولن تكون هذه الدولة الا مصر بماضيها الحضارى فى ظل الاسلام ، وبحاضرها القتالى المتتالى تطوعا من أجل عالم عربى آثر السلامة والرضا بالذلة والمهانة اكتفاء بمنازعة أهل الدنيا دنياهم والتمرغ فى الوحل

والطين دون وازع من ضمير أو بقية من دين ، وبما يمكن أن تكون عليه مصر فى الغد القريب ان شاء الله من سمعة عربية واسلامية ودولية ، تؤهلها للقيام بالتبعة والنهوض بالمسئولية اذا أخذنا فى الاعتبار بعض ما تملكه مصر من مقومات الامامة والقيادة .

**بالايمان انتصر المسلمون على اعدائهم :**

**ــ الايمان هو قوة العالم الاسلامى ، كان سلاح الأنبياء فى القتال ، وعدتهم فى الحرب ، حارب به المسلمون الجاهلية فأصابوها فى المقتل والصميم ، كما حاربوا به الفرس ، والروم ، فحطموا عروشا طالما تجبر أصحابها تحت سلطانها ، كما حاربوا به الصليبية العالمية عندما ألقت أوروبا بأفلاذ أكبادها وجاءت بنارها وحقدها ومكرها وخداعها وحديدها يحدوها أمل عريض فى الكيد للاسلام والمسلمين ولكن الله أوحى الى المؤمنين وقد توحدوا تحت قيادة صلاح الدين ليهلكن الظالمين .**

وانتهت الحروب الصليبية بدحر جيوش أوروبا على كثرتها الكثيرة وقوتها المنيعة أمام قوى الخير الاسلامية وومضات الايمان القوية التى انبعثت من قلوب المسلمين حارة قوية ، وفى كل مرة على مدار التاريخ الاسلامى وما أن رفع المسلمون السلاح عن ايمان بنصر الله وتأييده فى وجوه الجبلات الجاحدة الشريرة الخبيثة واللئيمة الا وكان النصر للمسلمين حليفا .

**تاريخ مصر لا ينكر :**

**ولا يستطيع أحد أن ينكر تاريخ مصر الايمانى فى الماضى والحاضر وما يمكن أن يكون عليه ايمان أبنائها فى المستقبل استنادا الى النزعة الايمانية القوية التى تليح لنا ملامحها فى الحاضر فى صورة شخوص حية تتحرك ، وبراعم رائعة تتفتح ، ونضج اسلامى كاد أن يبلغ مداه ، ووفاء للمنهج الالهى فى غيرة واستعلاء على كل قيمة .**

وكل وضع وكل تصور منبثق من اصل غير أصل الايمان ، استعلاء على أنظمة الأرض وعلى تقاليد الأرض ، وعلى مواريث الأنظمة الوضعية ، والشرائع البشرية .

**مصر تزدحم جامعاتها بابناء العالم العربى والاسلامى :**

**ــ العلم فى شريعة الاسلام ، هو كل ما يرتفع به الجهل ويزول ، والناس هلكى الا العالمون ، والعالمون هلكى الا العاملون ، والعاملون هلكى الا المخلصون ، ومصر تملك من الثروة العلمية فى شتى صور العلم وأشكاله ما لا يملكه الكثير من دول الأرض وشعوب البشر ، تتزاحم على أرضها مواكب العلماء فى كل فرع من فروع العلم ، وتزدحم جامعاتها بأبنائها وأبناء غيرها من دول العالم العربى والاسلامى ، وتنتشر معاهدها العلمية فى كل قرية ومركز ومدينة ،** ويساهم علماء من ابنائها فى صنع الحياة على اراضى دول سبقتنا فى التقدم المادى والعمرانى ، وفى الأرض والجو وفى البر والبحر ، وفى المجالين العسكرى والاقتصادى ، ولكن أجدبت قلوب ابنائها فأصبحت كجسم متورم يملأ العين مهابة ورواء ولكنه يشكو فى قلبه أوجاعا وآلاما وفى صحته انحرافا واضطرابا ، وهؤلاء العلماء ومن هم على الطريق يتزودون من العلم فى شتى فروعه هم من الكثرة الكثيرة كما وكيفا بدرجة لم تتوافر ولن تتوافر لغير مصر من الدول العربية والاسلامية .

**التاريخ يسجل بأحرف من نور تضحيات مصر :**

التضحية شيمة الأمم العزيزة ، وهى غريزة فى النفس وأصالة فى الفطرة ، وكم عرضت مصر ابناءها للخطر والقت بأفلاذ أكبادها وخرجت عن كل مالها مضحية بأرزاق أبنائها ، والتاريخ الحديث ومن قبله التاريخ القديم يسجل بأحرف من نور الحروب التى خاضتها مصر من أجل العرب والمسلمين أيا كانت نتائج المعارك التى خاضتها نصرا كانت أم هزيمة ، المهم أن روح التضحية تجرى مجرى الدم من العروق فى نفوس ابناء مصر ، فى أوقات السلم وأوقات الحرب على حد سواء .

**ولا شك أن أمة تملك روح التضحية المنبثقة من أصل ايمانى عميق ، لهى الأولى بالقيادة والامامة والزعامة والصدارة لتقود المسيرة الى الهدف الأسمى وهو التمكين لنظام الله فى الأرض واليقظة الدائمة لحراسته ، ودعوة البشرية اليه .**

**مصر باقية باصالتها وباسلامها :**

ــ استعصاء مصر على الذوبان فى غيرها ، كما حدث ويحدث لأمم غيرها ، فكم جربت من صنوف الاستعمار ، وذاقت من محنه ورزاياه ،

وعانت من مكره وخداعه وشراسته ، **ولكنها بقيت كما لم تبق غيرها ، بلغتها على أصالتها ، وباسلامها عذبا صافيا نقيا لم يداخله التغيير،ولم تفقدها محاولات الاستعمار عن فكرها الاسلامى الأصيل ، وقيمها الأخلاقية العالية** سواء ما تعلق منها بالأخوة الاسلامية التى تفرضها العقيدة ، أو ما تعلق بالأخوة الانسانية التى تفرضها وحدة النشأة ووحدة النهاية والمصير فى علاقتها مع غير أبناء الاسلام من أهل الديانات الأخرى . **ولعل أخطر ما تعرضت له مصر ذلك الغزو الالحادى الذى استقر فترة ليست بالقصيرة على أرض مصر تحت ستار الصداقة والمساعدة اذ لم يكن قادرا على السفور ، الى أن تكشفت نواياه ، وظهرت شروره وآثامه ومقاصده ومراميه ، فكان من شأنه ما كان على النحو المعروف تاريخيا فخرج أبناء الكفر والالحاد من على أرض مصر بطريقة لم يسبق أن خرجوا من على أرض دخلوها بمثلها بجرون أذيال الخيبة ويستبطنون الحقد لمصر وأبنائها** ويحاولون الكيد لها بكل وسيلة تقع فى أيديهم ، بعد أن كشفوا أنفسهم وافتضح أمرهم .

## شباب مصر من خير الشباب :

**ـ شباب مصر من خير شباب الأرض ، وهم يشكلون غالبية لا يستهان بها من الشعب المصرى وقد شهدوا المعارك التى خاضتها بلادهم** ، منهم من شارك بالسلاح ومنهم أخذ العظة والعبرة ، ومنهم من ينتظر فى لهفة ، ينتظر اليوم الموعود ليحققوا الهدف المنشود على قنطرة من جهاد ومتاعب مفضلين الآجل على العاجل ، والكثير المتصل فى الآخرة على القليل المنقطع فى الدنيا ، والغائب الموعود ، على الفائت الفانى ، من أجل عزة العرب والمسلمين ، مهما بعدت الديار ، وتناءت الأقطار ، لأنهم سبق أن آمنوا بأن المسلم أخ للمسلم وقد وحدت بينهم العقيدة وربط الايمان قلوبهم ، برباط يستعصى على أحد أن يوهن من صلابته ويضعف من متانته وقوته .

**تلك هى بعض الملامح الجد محدودة التى سقتها من بين كثير غيرها ترشح مصر للقيادة والامامة ، والزعامة والصدارة من أجل مستقبل مشرق يليق بنا كمسلمين أمناء على مواريث النبوة النابعة من السماء ، باعتبار أن نبينا هو آخر الأنبياء اختتم الله به عهد الوحى الالهى الى أن تقوم الساعة وباعتبار أن كتابنا هو آخر الكتب طوى الله به سجل الكتب السماوية الى آخر الدنيا** ، ومن هنا فان المسئولية جسيمة والتبعة خطيرة ، والحساب فى الدنيا والآخرة عسير بالنسبة لكل من قصر وتهاون ، أو رضى بأن يكون مع الخوالف ، أو اتخذ اعداء الله وأولياء الشيطان لخوانا من دون المؤمنين .

**فهل آن لنا أن ندرك حقيقة اسلامنا ومكانه وزمانه ، ومسئولية اقامته والتمكين لاحكامه ، وتحدياته واعدائه لنكون على بينة من أمرنا ونحن على الطريق الى الله وصدق الله تبارك وتعالى فى قوله لنا محذرا : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق ـ الى قوله تعالى ـ أن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم أيديهم والسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون » .**

**فهل آن الآوان وحل الزمان ، لنحتضن الدعوة الاسلامية من جديد من أجل عزة المسلم وكرامته ، ومن أجل رسم اطار عالمى لبنى الانسان تعيش فى ظله البشرية فى أمن وطمأنينة وسلام ، بعد** أن اضطربت أمامها السبل واشتبهت عليها معالم الجهات ، فى ظل أنظمة وضعية عاشت بسببها البشرية قرونا تائهة فى بيداء المهالك والضلالات لا تعرف لها ربا ، ولا تعلم لها مستقبلا ومصيرا ، **ويسألونك متى الخلاص من جحيم الشرائع الوضعية والفلسفات البشرية ، قل عس أن يكون قريبا وقد ظهرت بوادره ، ولاحت فى الأفق معالمه ..**

# كلمة

■ ملعون من يخون بلاده ، لمرض فى قلبه ..

ملعون من يبيع عقيدته بحطام يلتذ به .. !

« جمال الدين الافغانى »

# ضحايا

# الضيق والتضييق

الدكتور محمد كمال جعفر

من الناس من تبتلى بهم أممهم فترة طويلة دون ان تفطن الأمة الى آثارهم السيئة ، وجهودهم المدمرة الا حين تقع الكارثة المتوجة لنتائج هذه الجهود . والأمة الاسلامية ليست بدعا بين الأمم، فقد ابتليت كما ابتلى غيرها فى أزمنة متعاقبة بأناس أنتموا اليها دون أن يستوعبوا الروح المطاق ، ودون أن ينعموا بالأفق الرحب الذى فتحه الاسلام على العقل والقلب والسلوك . والشىء الغريب الوحيد فى مثل هذه الظواهر فى المجتمع الاسلامى أن من هؤلاء من أتيح لهم فى ظروف معقدة توجيه الثقافة ، وتطبيع المسار الحضارى بقوالب الجهود والضيق والضحالة ، فقد هالهم هذا التدفق الهائل للثقافات والحضارات من شتى الأمم والبقاع ، والايجابية الأخاذة التى حركت مواهب المسلمين وقرائحهم الى التعامل مع هذه الألوان المتباينة من الثقافات والحضارات وظنوا خطأ أن هذا السيل العرم ممكن أن يقتلع الرواسى الشامخة التى وضعها الله جل جلاله فى صلب الاسلام وجوهره .

## ماذا وراء التدفق الغامر ؟

انهم لم يدركوا حقيقة دقيقة تكمن وراء هذا التدفق الغامر ، وحكمة بالغة فى التوقيت المناسب لزحف هذه الحضارات وانسياب تيار هذه الثقافات ، ولو أدركوا ذلك لغيروا موقفهم ، ولأراحوا أنفسهم وأراحوا المسلمين من هذا العناء الطويل الذى بدد كثيرا من الطاقات ، وأضاع كثيرا من الأعمار — لا فى حل المشكلات وتيسير الحياة ، بل فى وضع العقبات واختلاق المشكلات المتكلفة الفارغة التى أنفق المسلمون فيها الكثير من الجهد والوقت ، منصرفين بذلك عن المهمة الأصلية للمسلم البصير ، وهى اعداد الزاد المناسب للجيل الذى سيخلفه ، والاسهام الايجابى فى صنع وتطوير الحياة .

## واجب المسلم التفريق بين الغث والثمين

اننا اذا تأملنا التوقيت المناسب والظروف المحيطة بدخول هذه التيارات الثقافية والحضارية بدا لنا أن الأمر لم يخرج عن كونه امتحانا وشحذا للهمم والعقول والقلوب والأخلاق الاسلامية فى شتى المجالات .

فلو افترضنا أن هذه التيارات تشتمل فيما تشتمل على الغث والثمين — كما هو الواقع — فما المانع من أن تكون هذه فرصة المسلم للانتفاع بالثمين وابرازه لينتفع به الآخرون ، ونبذ الخبيث مع بيان مبررات الحكم عليه — فيكون بذلك قد أدى خدمة لأخوته فى الدين ، ثم اخوته فى الانسانية وهذا هو ما يقصد اليه الاسلام على وجه التحديد . فالاسلام لم يأت ليصحح عقيدة العرب وحدهم ، ولا ليصبهم فى قالب من الدم واللحم واللغة ليتقوقعوا ويحصروا ذواتهم فى قوالب جامدة من التعصب والنعرة الجاهلية فلو شبهنا هذه الحضارة وتلك التيارات بأبدان

مقدمة الى شلة من خبراء الأطباء ، لكان من السخف أن نحذر الأطباء من فحص هذه الأجسام أو الأبدان بحجة أنها تعانى بعض الأمراض أو تشكو بعض العلل القاتلة ، وقد يذهب الأطباء ضحية هذه الأمراض وتلك العلل اذا أقدموا على فحصها لكن هذا هو الذى حدث بالفعل من هؤلاء فى البيئة الاسلامية لقد علت بعض الصيحات منذرة ومتوعدة ومتعقبة كل فرد يدنو من هذه الحضارات أو تلك الثقافات ، حتى وان لم يكلف أحدهم نفسه مشقة الاطلاع على هذه الثقافات وتلك الحضارات . فكانوا يصدرون الأحكام القاطعة ، وينزلون العقوبات الرادعة لكل من تسول نفسه الاشتغال بمثل هذه الحضارات أو تلك الثقافات .

## الناس أعداء ما جهلوا

واقصر الطرق واسهلها لديهم استخدام سلاح الدين بخبث ودهاء وجاهلية فى الوقت نفسه ، ولاتقل ان الجهالة لا يصحبها الخبث والدهاء ، فان الخبث ليس كما يظن نوعا من الذكاء — فان مثل هذا القول لا يصدر الا من قصار النظر والعجلين فى رؤية الأشياء والحكم عليها .

وأعجب ما ترى فى مثل هؤلاء أنهم روجوا لمقالة خرقاء جرت على ألسنة كثير من المؤرخين والنقاد والباحثين ، حتى أصبحت وكأنها قضية مسلمة ، مع أنها ليست فى الواقع الا تبريرا أعمى ، وتعلة مزيفة لموقفهم من الفكر والحضارة خارج حدود مجتمعهم . لقد أصبحت القاعدة التى ينطلق منها النقاد لتبرير موقفهم هى أن « الناس أعداء ما جهلوا » .

وتأمل هذه العبارة ، وسلط عليها نور الاسلام يتبدد ما فيها من باطل فاذا هو زاهق . اذ كيف يعادى الانسان شيئا يجهله ، أو يحب شيئا يجهله ، ان الحب والكراهية لا يتوجهان الا الى شىء معلوم ، أو شخص معلوم أما أن تحب مالا تعرف ، أو تكره ، مالا تعرف ، فهو أمر يرده العقل ويرده الشرع فمعاداة الكفار لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تكن عن جهل فهم كانوا يعرفونه « كما يعرفون » ، ومن اجل ذلك كانت الشهادة والبينة — واسمها البينة — والبرهان ، والعيان ، والرؤية ، والاختبار من الوسائل والموازين التى رتب عليها الاسلام سلامة الحكم وصدق النتيجة .

لكن هذه القاعدة الخبيثة خلطت بين **عدم الجرى وراء الشىء أو الشخص بمجرد ظهوره أو مواجهته لأول مرة ، وبين معاداته** :فالقرآن الكريم ينهانا **أن نتبع ما ليس لنا به علم** ، ويبين لنا أن وسائل التحقق من سمع وبصر وفؤاد — ويتضمن الفؤاد هنا ملكات الادراك العقلى بأسرها الى جوانب الملكات الوجدانية — هى موضع المساءلة من الله سبحانه لعباده من حيث طريقة استعمالها وغايات استعمالها . يقول جل شأنه فى سورة الاسراء :

**« ولا تقف ما ليس لك به علم ، ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا »**.

فالمنهى عنه فى الآية هو اتباع ما لم يظهر **دليله من سماع أو رؤية بصرية أو رؤية عقلية عن طريق العقل أو رؤية قلبية عن طريق البصيرة، لكنه لم يأمرنا بمعاداته أو محاربته** وهنا تبدو الدقة والروعة القرآنية فى استخدام هذا الفعل « تقفو » والاقتفاء محاكاة ومتابعة وتقليد . والاقتفاء فى حد ذاته ليس محمودا وليس مذموما ، لكنه يصير محمودا اذا كان عن بينة **وبصر بصدق جدواه وصلاحه ومنفعته** ويكون مذموما فى حالتين : اذا كان اقتداء بلابينة ولا علم ولا هدى ، واذا كان اقتداء بعد تبين فساده وعدم جدواه .

ولنضرب مثالا لكل هذه الحالات من القديم ومن الحديث .

ان اقتداء الصحابة برسول الله صلى الله عليه وسلم فيما صح من حاله أو مقاله ، واقتداء التابعين بأسلافهم لا يمكن ان أن يكون محمودا لأنه اقتداء بدليل بين صحيح على نفعه وصلاحه

فاذا حاول أحد من الجيل الذى ولى التابعين أن يقتدى بأحد التابعين فى شىء لم يجد لدى الرسول أو الصحابة ولم يجد له نظيرا فان الحكم الصحيح بالنسبة له التوقف ، حتى يظهر له دليل يرجح نفعه وصلاحه أو تفاهته وفساده. وليس له — وليس لنا — أن نعادى هذا الذى يريد الاقتداء ، ولا هذا الذى يراد به الاقتداء .

وفى العصر الحديث تجد أمور ومواقف لم تكن موجودة فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته وتابعيه ومن وليهم فيهب أناس

ساخطون شتامون عيابون فينهالون على من تبنى مثل هذه المواقف بالسب واللعن والوسم بالكفر أو الزندقة أو الالحاد وما الى ذلك من القاب أصبحت العملة السائدة بين هؤلاء الناس فى كثير من الأجيال الاسلامية .

ويظهر بلاء هؤلاء وبلاهتهم عندما يبدو فى أفق الحضارة أى جديد سواء كان مخترعا علميا ، أو مذهبا فكريا ، أو تيارا عاطفيا ، **وكأنما تصوروا أن تظل الحياة على انطوائها لا تفصح عما يكن فيها من أسرار ، وكأنما تخيلوا أن الكون محصور بين أعينهم . ولم يحسوا لحظة أن موقفهم هذا يشكل من سوء الأدب مع الله ، وسوء الفهم لدينهم ما يخجلون منه اذا بصروا .**

**لقد أدبنا الاسلام بأدب التريث والتثبيت والخلق الحسن فى المناقشة ، وسلامة المقصد والانطلاق من الرحمة بالناس أسوة برسوله الذى ما بعث الا رحمة للعالمين .**

**ان هؤلاء المساكين قد انحسرت فى قلوبهم وعقولهم وأعينهم مملكة الله وسلطانه حتى أضحت شريطا ضيقا يحتلون منه معظم المساحة ،ويطأون منه على الساحة .**

ولقد بلغ من سخف هؤلاء فى كل عصر انهم يزعمون أنهم جاءوا ليعلموا التوحيد لأمة التوحيد . وكأنما محمد صلى الله عليه وسلم لم يضع القاعدة الأولى والأخيرة فى هذا الصرح الشامخ . لقد حرم هؤلاء أنفسهم من الثراء الذى يمكن أن تنعم به عقولهم وقلوبهم اذا رأوا فى كل مسلم جانبا من الخير لا يستهان به ، واذا رأوا الله جل جلاله فى ضمير كل مسلم لا يمكن أن يناظر أو يعادل أو يماثل .

ولو فقهوا لعلموا أن الأمى البسيط ، والقروى الساذج — الذى قد يحقرون تصوره أو عقيدته — يحمل من اجلال الله وحبه مالا تفى به حيوات جميعهم منذ أن وجدوا حتى يبعثوا ، ولعلموا انه لم يوجد ، ولن يوجد مسلم يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله — ثم يخلط بين الله واحد من خلقه نبيا أو ملكا أو وليا أو صالحا أو جنا أو شيطانا — فتلك بدهية دينية .

ولو فقهوا كذلك لعلموا بأن وصفهم الاخوة فى الدين بالوثنية أو الشرك أو الالحاد يعتبر أشد شركا ووثنية وظلما من باب « من كفر مسلما فقد كفر » .

لقد أجدبت نفوس هؤلاء حتى لم يعودوا يرون الا الشكل والمظهر المحسوس الملموس ، وصدى هذا فى حياتهم وأنماط سلوكهم أنه طالما كان الانسان بينهم فهو حى يعمل له ألف حساب ، فاذا ولى لم يعد شيئا ، فتذكره أو زيارته فى قبره أو الثناء عليه أو الوفاء له أو محاولة مناجاته الى غير ذلك من ظواهر الاحساس بالعلاقة بهذا الراحل — كل ذلك يعتبر شركا ووثنية حتى بلغ من القحة وسوء التعبير أن يسموا من يود قربى رسول الله صلى الله عليه وسلم وآل بيته ، « بالقبورين » فهم لا يرون من الحسن والحسين أو السيدة زينب أو السيدة نفيسة الا قبورا وحجارة ، بل بلغ التطاول حتى لا يستحى أحدهم من الاشارة الى الحجرة النبوية الشريفة قائلا ليس هنا الا الحديد ، ولا نفع فى الحديد . بينما نسمع أقوال هؤلاء أنفسهم لبعض الأحياء من ذوى الجاه والسلطان بأن عصاه أو ماله أنفع له من هذه القبار أو هذه القبور .

وقد يلفت نظرك حقا أن ترى أن هناك **ترابطا طرديا بين نيل هؤلاء من أعلامنا ومواطن الاعزاز منا ، وبين نيلهم أو ذمهم لكل جديد أو طريف ، ولكن اذا فهم أن المنطاق هو الضيق ، وضحت المسألة** ، فالضيق — والضيق وحده — هى الذى يغلق منافذ العقل والقلب فلا يرى الا ما هو جامد محسوس ملموس ولا يرهق الذهن أو الفؤاد نفسه فى الجرى وراء هذا العالم مع أن القاعدة الأساسية فى كل دين حق هى الايمان بالغيب .

واذا حاولت أن تفهم أحدهم أن **هؤلاء الموتى عمروا الحياة بقيم أحبها الله ودعا اليها ، فهل تظن أن الله يضيع أجرهم أو يخفى ذكرهم ؟ ،** قال لك على الفور : **هذا النفع لأنفسهم ولا يعود على الناس منه شىء ،** فاذا قلت له : هل هناك مانع من زيارة مكان أفلح صاحبه فى التعامل مع الله ومع الخلق على أقبس من ذكره أو انتفع من عاطر سيرته ، ؟ قال لك : عليك بالكتاب أو المعلوم عنه ، ويكفيك ذلك عن زيارته ، وربما قال لك القرآن فيه الكفاية .

**ولا يفقه المسكين ان تعدد الأولياء والصالحين وكثرة مواضعهم انما هو شهادة صريحة ،وبرهان حاسم ، وحجة بالغة على صدق الرسول وأحقية دعوته الخالدة ، وثراء ما اتى به الينا من عند ربه . ان كل ولى لله كان بمثابة مرآة انعكس فيها من مكارم الاسلام ما سمح به صفاء المرآة وما جاءت به يد الاحسان الالهى .**

واذا كان الرسول صلوات الله عليه **لا يورث فى عرض الحياة حيث قال : «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ، ما تركناه صدقة » ، فانه صلى الله عليه وسلم يورث فى جوهر الحياة** وورثته هم العلماء بالمفهوم الاسلامى الدقيق والعميق .فليس العالم فى عرف الاسلام من استوعب العلوم وحفظها أو دونها فى كراريس حتى اصبح العلم غاية له فى ذاته ، بل العالم هو الذى تفتقت فيه الطاقات وانفتحت به منافذ العقل والبصر والبصيرة جزاء تصفية الفؤاد وتخلية القلب من الأطماع **والخبائث** ، وحصيلة جهاده فى تحقيق غايات علمه فى واقع هذه الحياة ، حتى ينسجم الفكر مع السلوك ويتساوق العلم والعمل ، ويتوازن النظر والتطبيق . ومثل هذا العلم الذى انفتحت بصيرته فأمدت عقله بما عجز عن نيله ، لا يزال مترقيا فى علمه وعمله ، اذ يتبادل علمه وعمله النماء والازدهار ، فاذا ازداد علمه حمله ذلك على **مضاعفة العمل لاكتشاف رؤى جديدة أمامه** ، وتطلب هذا الانكشاف نمطا أرقى وأشق من العمل ، ثم يثمر العمل بدوره فى انماء علمه وهكذا حتى يصل الى المكانة التى تتيحها له طاقاته ، وتقبلها لفضل الله واحسانه .

وعطاء الله سبحانه متنوع ، والذى يهمنا منه هنا عطاؤه سبحانه فى ميدان العلم . وهنا تفرض النظرة الاسلامية الصحيحة أن تنظر الى **مصطلح العلم فى معناه الواسع الشامل لمعرفة حقائق الأشياء ووسائل تسخيرها اما بطريق مباشر واما بطريق غير مباشر لنفع وسعادة الانسان** ، والشامل كذلك **لمعرفة غايات الأشياء** ومردها الى البارىء سبحانه .

وان شئت فقل ان هذا المصطلح فى ضوء النظرة الاسلامية يتسع لأبعد مما اصطلح عليه الغرب فى المفهوم الحديث الذى من لفظ Science يفتقر على ما أدت اليه التجربة المعملية .

**ولا جدال فى أن الفهم الاسلامى لمصطلح العلم بمعناه الشمولى يفى بما لا يفى به الاصطلاح الغربى الذى يقتصر على شق واحد منه . ويكفى أن تعلم أن الفهم الاسلامى يمنح الانسان نظرة كلية موحدة شاملة تجعل للحياة ذاتها معنى مفهوما وغاية منشودة ، من غير اخلال بوسائل كشف أسرارها فى صورتها الجزئية عن طريق المناهج التجريبية الحديثة ، التى هى ليست فى الواقع الا بعضا من كل ، وجزءا من كيان متكامل .**

**قول :**

**« من شغله القرآن وذكرى عن مساءلتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين ، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه »**

**حديث قدسى**

دراسات لغوية

# طريقة التوليد في العربية ومنزلتها بين اللغات

الدكتور عبد الغفار هلال

**الذى لا شك فيه ــ سواء بدات اللغة توقيفا أو اصطلاحا أو حكاية للأصوات ــ أن اللغات لم تنشأ دفعة واحدة ، بل ان بعضها حدث أولا ثم حدث بعضها الآخر ولا يزال يحدث شيئا فشيئا .**

**يقول ابن جنى : « وكيف تصرفت الحال وعلى أى الأمرين كان ابتداؤها فانها لابد أن يكون قد وقع فى أول الأمر بعضها ، ثم احتيج فيما بعد الى الزيادة عليه لحضور الداعى اليه فزيد فيها شيئا فشيئا »(١) .**

ويجدر ان نقول : ان جميع المتكلمين من بنى البشر قد نجحوا فى التعبير عن أغراضهم بطريقة فعالة مفهومة(٢) .

وقد تتبع علماء اللغة المسالك اللغوية لتوليد الألفاظ فى اللغات جميعها وأوضحوها لنا فى صورها الواقعية وكان ذلك فى القرن التاسع عشر(٣) فقد قسموا اللغات الى ثلاث فصائل تبعا لمسالك التوليد المتبعة فيها على النحو الآتى :

١ ــ الفاصلة Isolating (٣) أو المنفصلة(٤) أو العازلة Isolantes (٥) أو لغات التجميع أو لغات التركيب الكثير Polysynthetic أو

---

(١) ابن جنى : الخصائص ٢/٢٨
(٢) د. أنيس فريحة : محاضرات فى اللهجات واسلوب دراستها ص ٢٤ .
(٣) المصدر السابق ص ٢١ .
(٤) من مقال للأستاذ عباس العقاد بعنوان ( اللغة العربية بين لغات الحضارة العصرية ) بمجلة الأزهر عدد شوال ١٣٨٠ هـ ــ مارس ١٩٦١ ص ١٠٥٨ .
(٥) د. على عبد الواحد وافى : علم اللغة ص ١١٧ .

(١) اللغـات غير المتصرفة Monosyllabiques أو غير المرتقية(٢) .

**وهذا النوع من اللغات يتضمن أدنى اللغات بيانا وابسطها الفاظا(٢) وكلمات هذا النوع تلازم شكلا واحدا وتدل على معنى ثابت لا يتغير ( من ناحية المورفولوجيا )** ومن ناحية السنتكس توضع أجزاء الجملة بعضها بجانب بعض دون روابط ، وتستفاد وظائفها وعلاقاتها من ترتيبهـا أو من سياق الكلام(٣) .

« فالفاصلة هى اللغة التى لا يتغير فيها شكل الكلمة ( أو الجـذر ) ان وقـع فى التركيب أما العلاقات الصرفية والنحوية بين كلمة وأخرى فى الجملة فتتوقف على موقع الكلمة فى الجملة لا على تصريفها أو حالاتها الاعرابية واللغة الصينية من هذا النوع فان الضمير ( أنا ) لا يتغير شـكله كما هى الحال فى لغتنا العربية تبعـا للحـالات الاعرابية والصرفية بل يظل على شـكله الأول ، انما يتغير مركزه فى الجملة وهذا التغيير فى مركز الكلمة يدل على الحالة الاعرابية أو على الوظيفة النحوية التى تقوم بها الكلمة ، وايضاحا للمسالة نقول : ان فى لغتنا العربية يتغير الضمير ( أنا ) الى ( ت ) فى مثل : أكلت ، ويتغير الى ( نى ) فى مثل ( أجبنى ) ويتغير الى [ ى ] فى مثل : كتابى ، واذا أكدناه قلنا ، ( اياى ) أما فى الصينية فيقال : ( كتاب أنا ) ( كتب أنا ) ( أجب أنا ) وفى حـالة التأكيد : ( أنا أنا )(٤) .

**وهذه اللغات تعتمد ــ كذلك ــ على (التنغيم) لتنويع المداول والتمييز بين الصفات والظـروف وبين الأوقات والأجناس وغيرها من معانى الجمع والتثنية والأفراد(٥) .**

**ومن أهم صفاتها أن ألفاظها أحادية المقاطـع لا فرق فيها بين الاسم والفعل والحرف واللفظة الواحدة تكون اسما أو فعلا أو نعتا باضـافة ألفاظ أخرى ذات معان مستقلة (٦) .**

ومن هذه اللغات ــ غير الصينية ــ اللغـات الزنجية التى يتفاهم بها قاطنو جنوبى أفريقيـا والأمريكانية التى يتكلم بها هنود أمريكا والشمالية الشرقية الآسيوية والحامية(٦) .

ويرى بعض الباحثين أن هذه اللغات سارت على هذا المسلك لبدائية أهلهـا(٧) لأنها تشيع فى كثير من الأمم الأولية(٥) .

وسمى هذا النوع باللغات الفاصلة أو المنفصلة لأن الكلمة فيها تنفصل بصيغة واحدة لا تتغير حروفها وانما يتغير المعنى بضم صيغة منها الى صيغة أخرى بترتيب متبع أو بغير ترتيب يلتزم فى جميع الأحوال(٥) وسميت عازلة لعـدم وجود روابط فى جملها(٧) وسميت بلغـات التجميع أو التركيب الكثير لأن من فروع هذه اللغات ما تتكون أسماؤه وأفعاله من جملة تتألف من عدة مقاطع وأجزاء(٥) وسميت غير متصرفة لعدم تغير أبنيتها ومعانيها(٧) وغير مرتقية لتضمنها أدنى اللغـات بيانا وأبسـطها ألفاظا وانتشارها بين الأمم البدائية(٦) .

## اللغات اللصقية

٢ ــ اللاصقة Agglutinative (٥) أو اللصقية أو الوصلية(٨) أو لغات النحت وتسمى أحيانا باسم اللغـات الفروية فى اصـطلاح الأوربيين(١٠) ومرتقية(١١) .

ومن أهم صفات هذه اللغات أنها مؤلفـة من أصول جامدة لا تقبل التغيير فى بنائها مطلقـا ، وأن الاشتقاق يقوم فيها بالحاق أدوات لا معنى لها(١١) وتوضع هذه الأدوات أحيانا قبل الأصل فتسمى سابقة prefixes وأحيانا بعـده فتسمى لاحقة Suffixes ومعظمها كان فى الأصل كلمات ذات دلالة ثم فقدت معانيها ، وأصبحت لا تستخدم الا مساعدة للدلالة على تغير معنى الأصل الذى تلصق به ، أو للاشـارة الى علاقته بما عداه من أجزاء الجملة(١٢) .

**ويختلف أسلوب اللصق باختلاف اللغـات ، فبعض اللغات اللصقية تستخدم الحروف السابقة**

---

(١) المصدر السابق ص ١١٦ .
(٢) جرجى زيدان : الفلسفة اللغوية والألفـاظ العربية ص ١٠ .
(٣) د. وافى علم اللغة ص ١١٧ .
(٤) د. فريحة : محاضرات فى اللهجات ص ٢٢ .
(٥) من مقال الاستاذ العقاد فى مجلة الأزهر العدد السابق ص ١٠٥٨ .
(٦) جرجى زيدان : الفلسفة اللغوية والالفاظ العربيـة ص ١٠ والاستاذ عبد الله العلايلى : مقدمة لدرس لغـة العرب ص ١٢٢ .

(٧) د. وافى : علم اللغة ص ١١٧ .
(٨) د. وافى : علم اللغة ص ١١٥ .
(٩) د. فريحة : محاضرات فى اللهجات ص ٢٢ .
(١٠) مقال الأستاذ العقاد فى مجلة الأزهر العدد السابق ص ١٠٥٨ .
(١١) جرجى زيدان : الفلسفة اللغوية ص ١١ والعلايلى: مقدمة لدرس لغة العرب ص ١٢٢ .
(١٢) د. وافى : علم اللغة ص ١١٦ .

**كاللغة البنتوية(١) وبعضها يستخدم الحروف اللاحقة كالترجمة فـ « منزل » فى التركية مثلا يقال له او Ew فاذا ازدت أن تقول : خارج المنزل الصقت باخره دالا مكسورة ونونا للدلالة على المجاوزة فتقول : اودن Ewden واذا أردت جمعه الصقت باخره لاما مكسورة وراء فتقول : اولر Ewler واذا أردت أن تقول : خارج المنازل ألصقت باجمع الدال والنون الدالتين على المجاوزة فتقول : اولردن Ewlerden وقد تجتمع الطريقتان فى لغة واحدة ، فتستخدم أحيانا الحروف السابقة وأحيانا الحروف اللاحقة ، وقد روى أنه توجد فى لغة الايروكويين(٢) كلمة واحدة تدل على ما يأتى : « أطلب نقودا من هؤلاء الذين جاءوا ليشتروا منى الأقمشة » ويكثر كذلك هذا النوع من الكلمات الطويلة فى لغة الاسكيمو(٣)**

**ولذلك سميت باللصقية أو الوصلية(٤) وسميت بلغات النحت لتكون الأسماء والأفعال والصفات فيها بادخال المقاطع الصغيرة عليها أو الحاقها بها ، وباللغات الغروية لأن مفرداتها تلصق لصقا لتنويع معانيها كما تلصق أدوات البناء بالغراء(٥) .**

ومن أشهر لغات هذه الفصيلة — عدا ما سبق — اللغة اليابانية(٤) وغير التركية من فروع اللغات الطورانية والمنغولية(٦) وبعض لغات الأمم الأولية(٤) .

## اللغات المتصرفة

٣ — المتصرفة Flexional (٧) أو التحليلية Analytiques (٨) ويطلق عليها اسم المرتقية(٩) .

ويمتاز هذا القسم من ناحية المورفولوجيا بأن كلماته تتغير معانيها بتغير أبنيتها ، ومن ناحية الستتكس بأن أجزاء الجملة يتصل بعضها ببعض بروابط مستقلة تدل على مختلف العلاقات(٨) .

فاللغات المتصرفة هى التى يتغير فيها الجذر او تتغير حركته ، وقد يمتزج بعناصر اخرى أو عناصر أخرى تمتزج به فى أوله ووسطه وآخره ، وفى جميع هذه التغييرات يختلف المعنى(١٠) .

وسميت متصرفة لتغير أبنيتها بتغير المعانى ، وبالتحليلية لما تتخذه حيال الجملة من تحليل أجزائها وربط بعضها ببعض بروابط تدل على العلاقات ، مثل : ذهب محمد وعلى من المنزل الى الجامعة ، فالربط هنا بالواو ومن ، والى بمعان خاصة(٨) وتسمى هى والتى قبلها بالمرتقية لأنها تمتاز بسعة نطاقها ، ومنها لغات العالم المتمدن(٦) .

**وأحسن مثال على تصرف اللغات هو العربية** فجذورها تتصرف على أنحاء شتى للدلالة على المعانى ومن ذلك الجذر ( ك ت ب ) فمنه : كتب — كتب — بالبناء للمجهول — كاتب — مكتوب — استكتب الخ .

**واللغات المتصرفة تمتاز بقبول أصولها التصريف الحاقا وادراجا ومن الصفات المميزة للطائفة الآرية أنها مؤلفة من أصول قابلة للتصريف ادراجا وأن الاشتقاق فيها يقوم باضافة أدوات معظمها ذات معنى فى نفسها وهذه الأدوات تلحق غالبا فى آخر الأصل ، وأحيانا فى أوله .**

**مثال ذلك فى الانجليزية Thank ( شكر ) منها Thankful ( شاكر أو شكور ) ثم unthankful ( غير شاكر ) unthankfulness ( عدم شكر ) .**

وهكذا فى سائر التصاريف وعليه تجرى سائر اللغات الآرية(١١) .

## اللغات السامية

واللغات السامية تشارك الطائفة الآرية فى قبول الاشتقاق على طريق الالحاق ، لكنها لا تقبل الأدوات الملحقة اذا كانت ذات معنى فى نفسها ، وتمتاز بحصول معظم الاشتقاق فيها بواسطة تغيير الحركات(١٢) ، فاللغات السامية ( يعم فيها الفعل الثلاثى فى كل مادة ، وتجرى قواعد الصرف فيها على المخالفة بين الأوزان بحسب معانيها(٥) فهى « مؤلفة من أصول ثلاثية الأحرف ثابتة فى الاشتقاق اى أنه لا يؤثر على أحرفها بل هو يقوم فيها بتغيير الحركات التى يتوقف عليها نوع الدلالة مثاله فى العربية ( قتل ) وهو أصل يتضمن معنى

---

(١) يطلق اسم البنتوية Bantous على سكان القسم الجنوبى بأفريقيا الاستوائية ماعدا قبيلتى الهوتانتوت والبوشيمات وترجع لغاتهم الى فصيلة واحدة على الرغم من اختلاف اصولهم الشعبية .

(٢) عشائر الهنود الحمر وهم السكان الاصليون لامريكا الشمالية .

(٣) د. وافى : علم اللغة . التعليق ص ١١٦ .

(٤) د. وافى : علم اللغة ص ١١٦ .

(٥) مقال العقاد السابق .

(٦) جرجى زيدان : الفلسفة اللغوية ص ١١ والاستاذ العلايلى : مقدمة لدرس لغة العرب ص ١٢٢ .

(٧) د. فريحة : محاضرات فى اللهجات ص ٢٢ و د. وافى : علم اللغة ص ١١٥ .

(٨) د. وافى : علم اللغة ص ١١٥ .

(٩) جرجى زيدان : الفلسفة اللغوية ص ١١ .

(١٠) د. فريحة : محاضرات فى اللهجات ص ٢٣ .

(١١) جرجى زيدان : الفلسفة اللغوية ص ١٢ ، ١٣ .

(١٢) المصدر السابق ص ١٦ .

القتل ، فبتغيير الحركات فيه تشتق عدة أفعال او اسماء أو نعوت تبعا لنوع ذلك التغيير ، فمنه : ( قتل ) فعل ماض معلوم و ( قتل ) فعل ماض مجهول و ( قتل ) مصدر و ( قتل ) — بكسر القاف وسكون التاء — بمعنى العدو ، و ( المقاتل ) و ( قتل ) — بضمتين — جمع قتول ، وقد تمد احدى هذه الحركات فيقال : قاتل وقاتل وقتيل وقتول وقتال وقتال — بكسر القاف وفتحها — وقتلى الخ(١) .

**« فتبادل الحركة يلعب فى السامية دورا أوسع مما فى الهندية الأوربية ، فخاصة هذه اللغات فى تعبيرها بالسواكن عن أساس الفكرة وعن تفرعاتها الثانوية بالحركات يجعلنا فى حل من القول بأن التصريف فى هذه اللغة يقع داخل الكلمات . الأصل فى العربية لا يتميز الا بسواكن، أما عن الحركات فكل ساكن من سواكن الأصل يمكن أن يتبع بالفتحة القصيرة أو الطويلة أو بالكسرة القصيرة أو الطويلة أو بالضمة القصيرة أو الطويلة أو بالصفر ، فعندنا سبع صور وكل واحدة من هذه الصور السبع تستخدم للدلالة على الوظيفة النحوية وذلك يسمح للغات السامية بصياغة عدد من الكلمات المشتقة دون حاجة الى لواصق »(٢) .**

فاللغات السامية تسمى لذلك لغات الاشتقاق، وهو من خصائصها الملازمة لها .

وتكاد اللغة العربية من بينها أن تنفرد بعموم الاشتقاق واطراده مع تحريك أواخر الكلمات حسب مواقعها من الجمل المفيدة(٣) .

فنحن اذا قارنا فى خاصة الاشتقاق نفسها بين العربية واخواتها فى الأسرة اللغوية كادت أن تنفرد باشتقاق مقصور عليها لا يضارعه اشتقاق العبرية أو السريانية أو الكلدانية أو الحبشية فى السعة ولا فى تقسيم القاعدة ولا فى تحكيم المتكلم فى التعبير عن اغراضه على حسب كل احتمال معقول(٤) .

وان اللغات السامية التى تشارك هذه اللغة فى قواعد الاشتقاق لم تبلغ مبلغها فى ضبط المشتقات بالموازين التى تسرى على جميع أجزائها وتوفق أحسن التوفيق المستطاع من مبانيها ومعانيها(٥) .

## بعض ما تمتاز به العربية

**واذا ما قارنا بين الاشتقاق فى العربية واللغات الأجنبية لاحظنا أن العربية تمتاز — كما سبق ايضاحه — بأصول — تسمى بالحروف الصامتة وهى ما عدا حروف المد — أثبت وأقوى وأبقى على اختلاف أحوال الكلمة وتصرفاتها وصيغها ومنها تتكون حروف الكلمة الأصلية الثابتة التى تدور معها أنى دارت ، وتثبت أنى تقلبت ، وهى التى تثبت أصل المعنى فى المادة اللغوية بثباتها .**

ولحروف المد فيها وظيفة تنويع المعنى الواحد والمادة الواحدة(٦) — بجانب الحركات التى تنوع المعنى ايضا(٧) — تبعا لأوزان مختلفة مثل: ينظر — ناظر — منظور — نظير — نظائر — نظارة — مناظرة — منظار — منظر — منتظر الخ فهذه الكلمات تختلف بين أسماء وأفعال وصفات وأفراد وجموع والذى فرق بينها هو الوزن(٥) « الذى لونته الحركة قصيرة وطويلة ، وهذه الحركات — مع ما يسمى بحروف الزيادة التى يجمعها قولهم « سألتمونيها » مما يعين على ذلك(٨) .

**بل تسمو العربية حين تعبر باختلاف الوزن والحركة عن معان دقيقة فهناك تفرقة واضحة بين ما هو حركة فى النفس وما هو حركة فى الجوارح يدرك مثلا بين : الكبر — بكسر الكاف وفتح الباء — والتكبر والعلم والتعلم والفقه والتفقه وما الى ذلك(٩) .**

وان وجود هذه القوالب الفكرية العامة فى اللغة العربية توفر على المتكلم والمتعلم كثيرا من الجهد ، ذلك أن فى عالم الفكر معانى كلية كالفاعلية والمفعولية .. والمكانية والزمانية والسببية والحدث أو الفعل والآلية ، ويمكن أن تزاد هذه المعانى الكلية أو القوالب الفكرية وأن ترد اليها جميع المعانى الجزئية والتفصيلية(١٠) .

واللغة العربية بلغت غاية الحسن بتقسيمها الحروف الى نوع صامت لتنويع أصول المعانى ، وحروف للمد تنوع المعنى الواحد على حسب أحواله ، وملابساته للفاعل والمفعول والصفة ، وللماضى والمستقبل ، واختلاف الحركة مع الاتفاق فى الحروف الأصلية يؤدى الى اختلاف جزئى فى المعنى كالمبنى للمعلوم والمجهول واسم الفاعل واسم المفعول الخ(١١) .

---

(١) جرجى زيدان . الفلسفة اللغوية ص ١٦
(٢) تندريس : اللغة ص ١١٣ ، ١١٤ .
(٣) مقال الأستاذ العقاد فى مجلة الأزهر . العدد السابق ص ١٠٥٨ .
(٤) العقاد : أشتات مجتمعات فى اللغة والأدب ص ١٠١ .
(٥) العقاد : اللغة الشاعرة ص ١٣ .

(٦) د. محمد المبارك : خصائص العربية ومنهجها الأصيل فى التجديد والتوليد ص ١٩ .
(٧) د. وافى : فقه اللغة ص ٢٤١ .
(٨) د. المبارك : فقه اللغة ص ١٥٢ — ١٥٤ بتصرف .
(٩) د. عثمان أمين : فلسفة اللغة العربية ص ٤٦ .
(١٠) د. المبارك : فقه اللغة ص ٩٨ .
(١١) المصدر السابق ص ١٥٤ ، ١٥٥ .

وبذلك نرى أن للعربية « نسقا مرفولوجيا مبتكرا داخل الكلمة يستبعد كل اضافة خارجية من المقاطع لأوائل الكلمات او أواخرها وينتج ثروة من الاشتقاق من الأصل الواحد »(١) .

## الكلمة العربية

« فالكلمة العربية تبدو كأنها اذيبت ثم صيغت وتوزعت أجزاؤها وحشيت أطرافها وأوساطها مع الاحتفاظ دوما بمادتها الأصلية ، فخرجت فى قالب معين ووزن محدود لا يختلف من مادة الى أخرى »(٢) .

**ولذلك كانت أبنية الألفاظ وأوزان الكلم العربي وحدات موسيقية ترجع اليها جميع ألفاظ اللغة العربية ، وكان الكلام فى حال تركيبه — شعرا أو نثرا — اذا أحكم تركيبه على يد حاذق لغوى كان الكلام يمثل وحدات موسيقية وكأنه زخارف الفن العربى »(٣) .**

وهذه الخصائص التى تتمثل فى أصول ثلاثية تشمل المعنى العام ويتنوع بالحركات قصيرة وطويلة ، وبقية حروف الزيادة المعروفة فى العربية بحيث تخلق اطارا عاما تجرى المعانى فى فلكه ، وتوفر على المتكلم والباحث جهدا طويلا شاقا قد يقضيه عند استعمال لغة أخرى . هذه المزايا لا تتوفر لغيرها من اللغات الأجنبية المتصرفة .

فالباحث فى اللغات اللاتينية يرى أنه « ليس فى مفردات هذه اللغات عدد من الحروف الثابتة ، فقد تتغير كلها أو أكثرها فى تصاريف الكلمة ومشتقاتها أو تحذف وقد تتغير أصواتها على مر السنين والأعوام ، وقد يقع هذا التغيير فى بعض مفردات المادة دون بعضها الآخر فتنفك الصلة بينها ، فالشين فى كلمة Cheval ( حصان ) كانت كافا فى الأصل ، وانقلبت الى شين فى بعض الألفاظ ، وبقيت كافا فى بعض مشتقات الكلمة مثل Cavalier ( فارس )(٤) .

ولا فرق بين حروف المد وغيرها من جهة تبدلها ، وعدم استقرارها أو من جهة دلالتها ووظيفتها .

وليس فى الاشتراك فى الحروف الصامتة فى اللغات الأجنبية اى دليل على اشتراك بينها فى المعنى ، مثال ذلك فى الفرنسية
( سكران ) œuvre ( اثر او تأليف )
(il) ouvre ( فتح ) ومثلها Livre
( كتاب ) Levre ( شفة )(٥) .

والخلاف فى حروف المد فى الفرنسية والانجليزية خلاف أساسى يتغير به المعنى والأصل الاشتقاقى غالبا كالاختلاف بين الألفاظ الفرنسية الآتية ، وهو منحصر فى حروف المد : male, moule, mulle, mile, mal, pas, puis, peau, peu (٦) .

وهى تقوم فى تركيب الألفاظ واشتقاقها على طريقة التركيب الالحاقى التى تقوم على زيادة أحرف مخصوصة فى أول الكلمة أو آخرها للدلالة على معنى خاص يحصل بهذه الاضافة كاضافة ent فى الفرنسية ، و er فى الانجليزية للدلالة على اسم الفاعل ، واضافة in فى أول الكلمة للسلب و er للتكرار و tion فى آخرها للحدث ment للحال فى الفرنسية أو بطرق أخرى كالنحت(٧) .

وقد تجرى الكلمات فى اللغات الأجنبية على وزن واحد ، ولكن بغير دلالة على اتفاق فى المعنى ، ولا فى تقسيم الأسماء والأفعال والحروف، ولولا هذه المشابهة العرضية بين بعض كلماتها لكان فيها من الأوزان عداد ما فيها من الكلمات فالأوزان : آن — بان — تان — ثان — جان — ذان — ران — فان — مان . توجد فى اللغة الانجليزية اتفاقا ومنها الحروف والأفعال والأسماء وليس بين أوزانها ومعانيها ارتباط على الاطلاق(٨) .

**وبهذا يثبت سر كبير للاشتقاق والتصرف فى اللغة العربية وكونها من أرقى اللغات بيانا وأوسعها نطاقا وأغناها ألفاظا وأدقها تعبيرا(٩).**

**وارتباط اللغة العربية — لذلك — حيوى ، وطريقتها توليدية وليست آلية جامدة(١٠) .**

**وأكمل اللغات على سنة التطور والتقدم تلك اللغات التى انتظمت قواعدها الصوتية** Morphologie **وقواعدها الصرفية** Phonologia **وقواعد التركيب والعبارات(١١) .**

**وان دلائل التطور العريق الذى امتازت به لغة الضاد تحقيق علمى يقرره غير أبناء اللغة ، وليس بالفخر القومى الذى يعلنه أبناؤها وحدهم بغير دليل(١١) .**

(١) د. أمين : فلسفة اللغة العربية ص ١٠ .
(٢) د. المبارك : فقه اللغة ص ١٠٠ .
(٣) المصدر السابق ص ١٠٤ ، ١٠٥ .
(٤) د. المبارك : خصائص العربية ومنهجها الأصيل فى التجديد والتوليد ٢٣ .
(٥) المصدر السابق ص ٢٢ .

(٦) د. المبارك : فقه اللغة ص ١٥٣ وانظر كتابه خصائص العربية ص ٢٢ .
(٧) د. المبارك : فقه اللغة ص ١٠٠ .
(٨) العقاد : اللغة الشاعرة ص ١٣ .
(٩) جرجى زيدان : الفلسفة اللغوية ص ١٣ .
(١٠) د. المبارك : فقه اللغة ص ٦١ .
(١١) العقاد فى مقاله بمجلة الأزهر العدد السابق ص ١٠٥٩ .

# النظرية الاجتماعية السوسيولوجية فى فكر الامام الغزالى

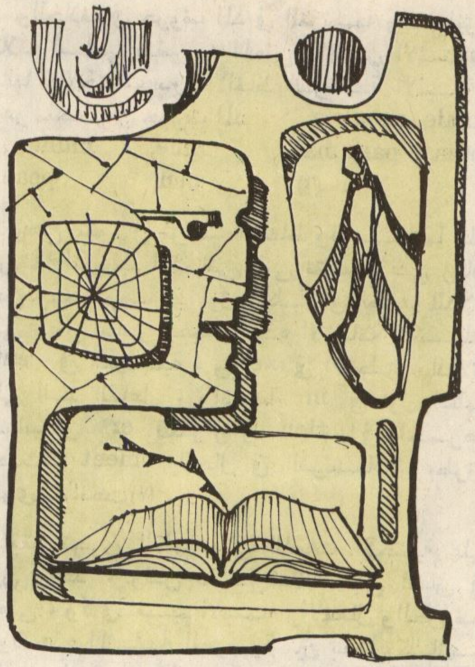

الدكتور طه الدسوقى

**تاتى هذه المقالة ضمن اطار عام ينتظم سلسلة من المقالات تعالج مجموعها تطور النظرية السوسيولوجية فى الفكر الاسلامى.**

**والامام الغزالى من ألمع الذين كتبوا فى هذه النظرية بحيث استطاع أن يعالجها فى شكل متكامل من حيث المنهج والأصول ومن حيث الدوافع والغايات .**

**ولقد كان الامام الغزالى فى معالجته للنظرية الاجتماعية منسجما غاية الانسجام مع الاتجاه العام للدعوة الاسلامية والتطور الفكرى والفلسفى لهذه النظرية ، فكانت معالجته النظرية للاجتماع الانسانى قائمة على معارف عصره ومقتضيات العقيدة الاسلامية والتشريع الدينى البعيد النظر فيما يتعلق بشئون الانسان فردا وجماعة .**

## حتمية الاجتماع الانسانى :

وتقتضى العناية الالهية أن يكون الاجتماع الانسانى ضرورة محتومة وأن تكون الأسباب الملجئة الى هذا الاجتماع من العناصر الأساسية المركوزة فى طبيعة الأفراد الذين يتألف المجتمع منهم ولا يقوم الا باجتماعهم وائتلافهم .

والمتأمل فى أسباب الاجتماع حسبما يراها الامام الغزالى يجد أنها ترجع الى عاملين اساسيين :

**أحدهما :** يرجع اليه بقاء النوع ودوامه واستمرار بقائه .

**وثانيهما :** يتوقف عليه بقاء الفرد والحفاظ عليه من التهلكة ويجنبه مهاوى الفناء ويحفظه من عوامل الضياع .

وحديث الامام الغزالى فى هذه النقطة واضح غاية الوضوح فهو يقول :

ثم ان الانسان خلق بحيث لا يعيش وحده بل يضطر الى الاجتماع مع غيره من أبناء جنسه وذلك لسببين :

أحدهما : حاجته الى النسل لبقاء جنس الانسان ولا يكون ذلك الا باجتماع الذكر والأنثى وعشرتهما .

والثانى : التعاون على تهيئة أسباب المطعم والملبس ولتربية الولد فان الاجتماع يفضى الى الولد لا محالة والواحد لا يشتغل بحفظ الولد وتهيئة أسباب القوت ثم لبس يكفيه الاجتماع مع الأهل والولد فى المنزل بل لا يمكنه أن يعيش كذلك

مالم تجتمع طائفة كثيرة ليتكفل كل واحد بصناعة .

## الديناميكا الاجتماعية طبيعتها وعواملها :

يتضح من فكر الامام الغزالى أن الاجتماع ضرورة محتومة لاغنى عنها لأفرادالنوع الانسانى.

وطبيعة الاجتماع الانسانى أنها دائمة الحركة فى الظواهر الاجتماعية متجهة نحو التعقيد والتداخل من غير أن يكون هناك سبب خارجى فوق طبيعة الاجتماع يؤدى الى هذه الحركة المستمرة والتعقيد الذى لا ينقطع والتداخل الذى لا حدود لـه .

ومن أجل ذلك فان الباحث لا يجد نفسه فى حالة من الاضطرار الفكرى للبحث وراء هذه الأسباب وتلك العوامل التى تؤدى الى الحركة المستمرة داخل المجتمع .

فهو لا يحتاج الا الى تحليل النموذج الاجتماعى وتتبعه تاريخيا لكى يعثر من خلال ذلك التتبع على عوامل الحركة فيه وبواعث التداخل المستمر والتعقيد اللانهائى فى ظواهره المتعددة .

والامام الغزالى نفسه حينما وصل الى نقطة الديناميكا الاجتماعية فى نظريته بدأ يحلل النموذج الاجتماعى لاستنباط الأسباب الحقيقية وراء حركة المجتمع .

وسوف يتضح من تحليل النموذج الاجتماعى أنه يبتدىء من البساطة فى أسباب الاجتماع وفى نشوء الظاهرة الاجتماعية الأكثر التصاقا بالوجود الفردى ثم تنشأ عن هذه الظاهرة ظاهرة أخرى وثالثة الى غير نهاية فى تولد الظواهر الاجتماعية تولدا طبيعيا ومباشرا .

## التعاون ضرورى لبنى البشر

فالانسان الواحد كيف يتولى الفلاحة وحده وهو يحتاج الى آلاتها وتحتاج الى حداد ونجار ويحتاج الطعام الى طحان وخباز ، وكذلك كيف ينفرد بتحصيل الملبس وهو يفتقر الى حراسة القطن وآلات الحياكة والخياطة وآلات كثيرة ، فلذلك امتنع عيش الانسان وحده وحدثت الحاجة الى الاجتماع ، ثم لو اجتمعوا فى صحراء مكشوفة لتأذوا بالحر والبرد والمطر واللصوص فافتقروا الى أبنية محكمة ومنازل ينفرد كل أهل بيت به وبما معه من الآلات والأثاث ، والمنازل تدفع الحر والبرد والمطر وتدفع أذى الجيران من اللصوصية وغيرها ، لكن المنازل قد تقصدها جماعة من اللصوص خارج المنازل فافتقر أهل المنازل الى التناصر والتعاون والتحصن بسور يحيطه بجميع المنازل فحدثت البلاد لهذه الضرورة ، ثم مهما اجتمع الناس فى المنازل والبلاد وتعاملوا تولدت بينهم خصومات اذ تحدث رياسة وولاية للزوج على الزوجة وولاية للأبوين على الولد لأنه ضعيف يحتاج الى قوام به ومهما حصلت الولاية على عاقل أفضى الى الخصومة بخلاف الولاية على البهائم اذ ليس لها قوة المخاصمة وان ظلمت فأما المرأة فتخاصم الزوج والولد يخاصم الأبوين هذا فى المنزل ، وأما أهل البلد أيضا فيتعاملون فى الحاجات ويتنازعون فيها ولو تركوا كذلك لتقاتلوا وهلكوا وكذلك الرعاة وأرباب الفلاحة يتواردون على المراعى والأراضى والمياه وهى لاتفى بأغراضهم فيتنازعون لا محالة ، ثم قد يعجز بعضهم عن الفلاحة والصناعة بعمى أو مرض أو هرم وتعرض عوارض مختلفة ولو ترك ضائعا لهلك ولو وكل تفقده الى الجميع لتخاذلوا ولو خص واحد من غير سبب يخصه لكان لا يذعن له فحدث بالضرورة من هذه العوارض الحاصلة بالاجتماع صناعات أخرى ، فمنها صناعة المساحة التى بها تعرف مقادير الأرض لتمكن القسمة بينهم بالعدل ، ومنها صناعة الجندية لحراسة البلد بالسيف ودفع اللصوص عنهم ، ومنها صناعة الحكم والتوصل لفصل الخصومة ، ومنها الحاجة **الى الفقه وهو معرفة القانون الذى ينبغى أن** يضبط به الخلق ويلزموا الوقوف على حدوده حتى لا يكثر النزاع وهو معرفة حدود الله تعالى فى المعاملات وشروطها .

فهذه أمور سياسية لابد منها ولا يشتغل بها الا مخصوصون بصفات مخصوصة من العلم والتمييز والهداية ، واذا اشتغلوا بها لم يتفرغوا لصناعة أخرى ويحتاجون الى المعاش ويحتاج أهل البلد اليهم اذ لو اشتغل أهل البلد بالحرب مع الأعداء مثلا تعطلت الصناعات ولو اشتغل أهل الحرب والسلاح بالصناعات لطلب القوت تعطلت البلاد عن الحراس واستفسر الناس فمست الحاجة الى أن يصرف الى معايشهم وأرزاقهم الأموال الضائعة التى لا مالك لها ان كانت أو تصرف الغنائم اليهم ان كانت العداوة مع الكفار فان كانوا أهل ديانة وورع قنعوا بالقليل من أموال المصالح وان أرادوا التوسع فتمس الحاجة لا محالة الى أن يمدهم أهل البلد بأموالهم ليمدوهم بالحراسة فتحدث الحاجة الى الخراج ، ثم يتولد بسبب الحاجة الى الخراج الحاجة

لصناعات أخر اذ يحتاج الى من يوظف الخراج بالعدل على الفلاحين وأرباب الأموال وهم العمال، والى من يستوفى منهم بالرفق وهم الجباة والمتفرجون ، والى من يجمع عنده ليحفظه الى وقت التفرقة وهم الخزان ، والى من يفرق عليهم بالعدل وهو الفارض للعساكر .

## الحاجة الى رئيس يدير أمور الناس :

وهذه الأعمال تولاها عدد لا تجمعهم رابطة انحزم النظام فتحدث منه الحاجة الى ملك يدبرهم وأمير مطاع يعين لكل عمل شخصا ويختار لكل واحد ما يليق به ويراعى النصفة فى أخذ الخراج واعطائه واستعمال الجند فى الحرب وتوزيع أسلحتهما وتعيين جهات الحرب ونصب الأمير والقائد على كل طائفة منهم الى غير ذلك من صناعات الملك فيحدث من ذلك بعد الجند الذين هم أهل السلاح وبعد الملك الذى يراقبهم بالعين الكالئة ويدبرهم الحاجة الى الكتاب والخزان والحساب والجباة والعمال ، ثم هؤلاء أيضا يحتاجون الى معيشة ولا يمكنهم الاشغال بالحرف فتحدث الحاجة الى مال الفرع مع مال الأصل وهو المسمى فرع الخراج .

وجملة القول أن تطور المجتمع ونموه المطرد يخلق أنواعا من الوظائف والعلاقات التى لا يمكن حصرها بآحادها وان كان يمكن تصنيفها بحسب النوع فى ثلاثة اتجاهات رئيسية بحيث يندرج النوع الأول تحت طائفة المهنيين والصناع ومن يقومون بفلاحة الأرض وما يتصل بها من حرف ومهن فرعية ، ويندرج النوع الثانى تحت طائفة الجندية الذين توكل اليهم أعمال الحرب والسيف والزود عن الوطن ورد المعتدين على الجماعة الانسانية التى ينتمون اليها ، أما الطائفة الثالثة فهى طائفة مترددة بين هاتين الطائفتين فى الأخذ والعطاء وهم العمال والجباة ونحو ذلك .

وهكذا ينتهى الامام الغزالى من تحليل الواقع الامبيريقى للمجتمع ذاته الى نتيجة هامة وهى أن حركة المجتمع تبتدىء من البساطة الى التعقيد وأن هذه الحركة المستمرة فى المجتمع تقوم على فكرة التوليد بين الظواهر بحيث اذا وجدت ظاهرة وفرضت نفسها على الواقع الاجتماعى يتولد منها ظاهرة أخرى تنتج من ايجاد الاشباع الضرورى لمتطلبات الظاهرة الأولى .

والامام الغزالى يعتقد أنهذه الحركةالضرورية التى تقوم على فكرة التولد لا تنقطع ولا تتوقف وليس لها غاية حقيقية تستهدفها فحين تبلغها تتوقف حركتها وانما هى سائرة هكذا بلا حدود وبلا توقف(١) .

ومن هنا نعلم أن أمور الاجتماع تتناهى الىغير حد محصور وكأنها هاوية لا نهاية لعمقها من وقع فى مهواة منها سقط منها الى أخرى وهكذا على التوالى .

ولم يشأ الامام الغزالى أن ينصب لنا نموذجا اجتماعيا يشبه ما ذكره أفلاطون فى جمهوريته أو ما ذكره أرسطو أو حتى ذلك النموذج الذى رأيناه فى المدينة الفاضلة عند الفارابى .

وانما أدخل على المنهج لأول مرة أسلوب فحص الظاهرة وطريقة جديدة لتأملها .

وهذا الأسلوب وتلكالطريقة لم تكوناموجودتين قبل الغزالى بهذه الصورة المباشرة .

فالأسلوب الواقعى والمنهج الوضعى فى أحسن ظروفه كان يتأمل الطبيعة الاجتماعية بفحص الأفراد وما يمكن أن يقوم به كلا منهم من أعمال تتلائم مع قدراته وتساهم فى سد حاجات المجتمع أما الغزالى فقد رأى أن يتأمل الظاهرة الاجتماعية ليتأمل نشأتها والأسباب الدافعة الى وجودها .

ولقد تبين له كما رأيت أن الظواهر الاجتماعية يوجد بعضها بعضا على طريقة التوليد والتداخل

---

(١) يعتبر تفسير الغزالى لنشأة الظاهرة الاجتماعية على أنها راجعة فى نشأتها الى ظاهرة اجتماعية مماثلة اثارة لمشكلة احتدم حولها الكثير من الآراء .

فابن خلدون سوف يضم الى هذا العامل عامل آخر أقل منه فعالية وهو العامل الطبيعى .

وسيذهب اميل دوركايم فيما بعد بانه هو الذى توصل الى فكرة تفسير الظاهرة الاجتماعية بظاهرة أخرى مماثلة لها دون أن يعير الأفكار العربية اهتماما ، وهذه القضية لم يقع عليها الاتفاق بين مدارس علم الاجتماع .

فكارلى ماركس يذهب الى أن العوامل المؤثرة فى ظواهر الاجتماع انما ترجع الى عوامل مادية واقتصادية بحتة ، وحاولت هذه المدرسة تعليل كل ظواهر الاجتماع بقوانين اقتصادية ، وقامت فى هذا الصدد بتطبيقات تعسفية .

ونجد مدرسة أخرى مثل مدرسة « تين ومشيليه » تذهب فى تعليل الظواهر الاجتماعية الى عوامل جغرافية واقليمية وأخذت هذه المدرسة فى تطبيق نظريتها على طائفة كبيرة من الظواهر ، ونجد مدرسة ثالثة وهى المدرسة الانجليزية بزعامة « هربرت سبنسر » تذهب فى تعليل الظواهر الاجتماعية الى عوامل بيولوجية تطورية وتحاول أن تنظر الى ظواهر الاجتماع نظرتها الى الظواهر الفردية وظواهر الحياة فى نشأتها وتطورها ، ونجد مدارس اجتماعية أخرى ذهبت فى تعليل الظواهر الاجتماعية الى عوامل نفسية مثل مدرسة « تارد وجوستاف لوبون ولازاروس ، واتجهت أخيرا المدرسة الفرنسية فى علم الجتماع الى تفسير الظواهر الاجتماعية بعوامل وظواهر اجتماعية مثلها .

للمقال بقية ص ٥٨

# الايمان بالله ووجوده

# أمر مركوز في الفطرة

الدكتور أبو العلا على أبو العلا

ان الركيزة الأساسية التى يقوم عليها بناء صرح الاسلام هى الايمان بالله تعالى ، ومعنى الايمان بالله تعالى أن يصدق الانسان بقلبه وينطق بلسانه بوجود اله واحد تفرد بالخلق والتدبير والتصرف والملك ، وهو على كل شيء قدير .

وقد خلق الله تعالى الانسان منذ نشاته الأولى على تلك العقيدة ، وفطره على معرفته وتوحيده ، وأنه لا مدبر لهذا الكون غيره ، وساوى بين خلقه كلهم فى الفطرة ، لا يولد أحد الا على ذلك ، ولا تفاوت بين الناس فى ذلك أيضا ، قال تعالى : ( فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون )(١) .

وروى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما من مولود الا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء ؟ ثم يقول أبو هريرة رضى الله عنه : ( فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم )(٢) .

والمراد بالفطرة الاسلام ، وبذلك فسرها

(١) سورة الروم الآية رقم ٣٠

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب التفسير تفسير سورة الروم باب لا تبديل لخلق الله ١٠/١٣٠ .

جمهور أهل العلم بالتأويل ، وهو المشهور عند عامة السلف(١) .

وروى مسلم بسنده عن عياض بن حمار قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول الله تعالى : انى خلقت عبادى حنفاء ، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم .

وعن الأسود بن سريع قال : غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع غزوات ، قال : فتناول القوم الذرية بعد ما قتلوا المقاتلة ، فبلغ ذلك **رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتد عليهم ثم قال : ما بال أقوام يتناولون الذرية ، فقال رجل : يا رسول الله : أليسوا أبناء المشركين ؟ فقال : ان خياركم أبناء المشركين، ألا انها ليست نسمة تولد الا ولدت على الفطرة فما تزال عليها حتى يبين عنها لسانها ، فأبواها يهودانها أو ينصرانها(٢) .**

وعلى ذلك حرم الاسلام — كما ترى — مؤاخذة أطفال المشركين بكفر آبائهم حيث اعتبر هؤلاء الأطفال على دين الفطرة التى خلقوا عليها ، حتى يبلغوا مبلغ التكليف والادراك ، فمن استمر منهم على فطرته الأولى كان من المؤمنين ، ومن كفر ولم يستمع لنداء وجدانه وغالط عقله وفكره كان كافرا مغيرا لفطرته التى خلقه الله عليها .

روى الامام أحمد بسنده عن جابر بن عبد الله الانصارى رضى الله عنه قال : **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( كل مولود يولد على الفطرة حتى يعبر عنه لسانه فاذا عبر عنه لسانه اما شاكرا واما كفورا )(٣) .**

## يجب أن لا يختلف الناس فى وجود الله :

على ان الانسان لو اخلد الى فكره وعقله وتخلص من شوائب البيئة وما خالطها من عادات وتقاليد وأفكار تتنافى مع الفكر السليم والمنطق القويم ، لو أنه فعل ذلك لأدرك أن ما فى هذا العالم من العظمة والصنع الدقيق والاتقان والاحكام دليل على وجود الخالق المبدع.

وكان ينبغى الا تختلف الناس فى وجود الاله **لأن دلالة الأثر العظيم يدل على المؤثر الأعظم ،** والنظام البديع يدل على الخالق المبدع ، والفعل المحكم الدقيق يدل على الحكيم الخبير ، ولقد أصبحت هذه الدلالة بديهية يدركها كل من ألقى السمع وهو شهيد .

وان تعجب فعجب أن يدرك ذلك الحيوان بينما يكابر فيه بعض بنى الانسان ، فاذا ضربت حمارا مثلا التفت ليرى من ضربه ، لأنه مركوز فى فطرته أن الأثر لا يكون بلا مؤثر ، والفعل لا يكون بلا فاعل .

**على أن هؤلاء المكابرون اذا أصيب أحدهم بمكروه اتجه بفكره ووجدانه الى الخالق الأعظم يطلب منه العون فى دفع ذلك الضرعنه ، وبذلك يعود ان طوعا وان كرها الى فطرته الأولى ، قال تعالى : ( قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين . قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون )(١) .**

**وقال عز وجل : ( فاذا مس الانسان ضر دعانا ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما أوتيته على علم ، بل هى فتنة ، ولكن أكثرهم لا يعلمون )(٢) وقال : ( فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون ، ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون )(٣) وقال : ( واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسى ما كان يدعو اليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله ، قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار )(٤) وقال : ( ألم تر أن الفلك تجرى فى البحر بنعمة الله ليريكم من آياته ، ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور ، واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين ، فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد ، وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور )(٥) .**

ومع أن بعض بنى البشر من المكابرين الجاحدين لا يعترف بما تمليه عليه فطرته الا تحت ضغط الأحداث التى لا يستطيع لها دفعا ، ومن ثم يعترف ان طوعا وان كرها بخالقه وخالق السموات والأرض ، قال تعالى :

**( أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها واليه يرجعون )(٦) .**

(١) فتح البارى ٤٩١/٣ .
(٢) رواه أحمد والنسائى فى السير .
(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٣٢/٣ .

(١) سورة الانعام الآيتان رقم ٦٣ ، ٦٤ .
(٢) سورة الزمر الآية رقم ٤٩ .
(٣) سورة العنكبوت الآيتان رقم ٦٥ ، ٦٦ .
(٤) سورة الزمر الآية رقم ٨ .
(٥) سورة لقمان الآيتان رقم ٣١ ، ٣٢ .
(٦) سورة آل عمران الآية رقم ٨٣ .

## الفطرة السليمة لا يمارى فيها :

واذا كانت هذه الحقيقة مسلمة يشعر بها كل انسان فى أعماق نفسه بحيث لا يستطيع انكارها ، أو يمارى فيها كل ذى فطرة سليمة ، فانه يذكر هذا زيادة فى التقرير ما كان القرآن الكريم ينتزعه من اعترافات الوثنيين بهذه الحقيقة التى هى ربوبيته تعالى لكل شىء ، ولذلك كان الرجل من المشركين الذين الغوا عقولهم فضلوا طريق الحق ومسخوا فطرة الله فى أنفسهم ، اذا سئل فى غفلة من تقليده الأعمى لما عليه الآباء والأجداد : من خلقهم وخلق السموات والأرض . قال قولة حق لا يستطيع كتمانها : الله رب العالمين ، قال تعالى : **﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ، فأنى يؤفكون ﴾(١)** وقال سبحانه : **﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ، قل الحمد لله ، بل أكثرهم لا يعلمون ﴾(٢)** وقال عز وجل : **﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله ، فأنى يؤفكون ﴾(٤)** وقال : **﴿ ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله ، قل الحمد لله ، بل أكثرهم لا يعقلون ﴾(٥)** .

ولعل اعترافهم هذا على أنفسهم بأن الله تعالى هو الذى خلقهم وخلق هذا العالم الذى يعيشون فيه وينعمون بنعمه ، هذا الاعتراف صدى لذلك الميثاق الذى أخذه الله تعالى عليهم ، وفيه أقروا بأنه تعالى ربهم حيث فطرهم على ذلك وجبلهم عليه ، قال تعالى : **﴿ واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا : بلى شهدنا ، أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين ، أو تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم ، أفتهلكنا بما فعل المبطلون، وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون ﴾(٦)** .

## اثبات الألوهية وصفاتها بالعقل والنقل

خلق الله تبارك وتعالى الانسان وذوده بنعمة العقل ، وهيأ له الوسائل التى ترشده الى معرفة الحق تبارك وتعالى ، لا اله غيره ولا معبود بحق

(١) سورة الزخرف الآية رقم ٨٧ .
(٢) سورة لقمان الآية رقم ٢٥ .
(٣) سورة الزخرف الآية رقم ٩ .
(٤) سورة العنكبوت الآية رقم ٦١ .
(٥) سورة العنكبوت الآية رقم ٦٣ .
(٦) سورة الاعراف الآيات رقم ١٧٢ — ١٧٤ .

سواه ، سبحانه تفرد بالخلق والتدبير والتصرف، وتنزه عن **المشاركة والمماثلة وتفرد باستحقاق** العبادة والتقديس ، فلا خالق لهذا الكون الفسيح غيره ، ولا مدبر لهذا النظام البديع سواه ، فهو الخالق الرازق المعز المذل ، الرؤوف الرحيم ، الحكيم العليم ، لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء ، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ، وهو اللطيف الخبير .

وقد بعث الله تعالى جميع رسله الى خلائقه لهدايتهم الى الصراط المستقيم ، وبين أنه تعالى وحده المستحق للعبادة والتقديس ، لا شريك له فى ملكه ، وانه متصف بكل كمال ومنزه عن كل نقص .

**فجميع رسل الله تعالى كانوا أول ما يدعون قومهم اليه هو أفراده عز وجل بالألوهية ونفى الشريك والنظير ، فهذا نوح عليه السلام يقول الله فى شأنه : ﴿ لقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ﴾(١) وقال عن هود : ﴿ والى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ﴾(٢) وقال عن صالح : ﴿ والى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ﴾(٣) وقال عن شعيب : ﴿ والى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ﴾(٤) . وقال فى شأن عيسى : ﴿ ما قلت لهم الا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم ﴾(٥) ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم قال له القرآن الكريم : ﴿ ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك ﴾(٦) .**

على أن الله تعالى سلك بالانسانية مسلك الاقناع والحجة والبرهان ، فأقام لهم أدلة كثيرة عقلية كونية — على الوهيته وربوبيته واستحقاقه العبادة والتقديس .

فقد دعانا الى النظر والتفكر فى هذا الكون الفسيح المترامى الأطراف وما أودع فيه من عجائب تدل على أنه صنع الواحد الأحد المنزه عن المماثلة ، **قال تعالى : ﴿ الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش ، وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ، يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون، وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى وانهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى**

(١،٢،٣،٤) سورة الاعراف من الآيات رقم ٥٩ ، ٦٥ ، ٧٣ ، ٨٥ .
(٥) سورة المائدة من الآية رقم ١١٧ .
(٦) سورة فصلت من الآية رقم ٤٣ .

**الليل النهار ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ، وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل ، صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ، وتفضل بعضها على بعض فى الأكل ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون )(١) .**

فقد بين الله تعالى فى هذه الآيات عشرة أدلة من العالم العلوى والسفلى كل واحد منها ينطق بألوهيته تعالى ، وكمال قدرته وعظيم حكمته .

**وقال سبحانه : ( أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء )(٢) وقال : ( انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون ، قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا ، والله هو السميع العليم )(٣)**

**وقال سبحانه وتعالى : ( والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم . ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ، وبث فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون )(٤) .**

ولما نزلت الآية الأولى ( والهكم اله واحد ) قال المشركون ولهم حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما : كيف يسع الناس اله واحد ؟ وما الحجة والبرهان على ذلك ؟ فأنزل الله تعالى : **( ان فى خلق السموات والأرض ) احتجاجا لنبيه صلى الله عليه وسلم على المشركين بما يقنعهم بانه تعالى اله واحد ، وانه اله كل شىء وخالق كل شىء .**

وليست دلائل الالوهية والربوبية وآيات القدرة مختصة بشىء دون شىء بل هى فى كل شىء ، فى الصغير كما هى فى الكبير ، وفى الحيوان كما هى فى الانسان ، وفى البر كما هى فى البحر ، وفى الأرض كما هى فى السماء ، ولله در أبى العتاهية حيث يقول :

وفى كل شىء لـه آية
تـدل على أنه الواحـد

وفى مجال ابطال دعوى وجود اله سواه سبحانه وتعالى فى السموات أو فى الأرض ساق القرآن الكريم هذا الدليل العقلى الصرف الذى بلغ من بساطته وسهولته بحيث يدركه العام والخاص ، العامى والمتعلم ، فى كل زمان ومكان الى ان يرث الله الأرض ومن عليها ، وهو أن نظام الكون وسيره على هذا التكوين البديع البعيد عن الفساد والخلل لا يمكن أن يكون الا عن اله واحد فى ذاته ، واحد فى صفاته ، واحد فى أفعاله ، ولو تعدد المنشىء لكان الفساد والخلل ، ولذلك قال سبحانه وتعالى : **( لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون )** وقوله : **( ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض ، سبحان الله عما يصفون )(٢) .**

## الرد على الوجوديين

لتكون مناقشتنا مع الوجوديين موضوعية يجب أن نذكر أولا الشبه التى جعلتهم يناقضون فطرتهم التى جبلهم الله تعالى عليها ويعدلون عما قضت به الأدلة العقلية والكونية من وجود صانع لهذا الكون ، واجب الوجود ، منفرد بالتصرف والعبودية ، وليس له شريك ، مخالف للعالم فى أوصافه ، مختار فى تصرفه ، وهذا الصانع تسميه الأديان كلها باسم ( الله ) .

أولا : قالوا : لا يمكن أن نتصور موجودا ليس من جنس العالم ولا مجردا عن خواصه ، وحيث ان العقل لا يمكنه أن يتصور موجودا مخالفا للعالم فى جميع خواصه فلا يمكن ان يصدق بوجوده ، لأن الحكم فرع عن التصور .

وفى الرد على هذه الشبهة نقول : ان عدم الدليل لا يدل على عدم المدلول ، وهل عدم العلم بالشىء يستلزم عدم وجود ذلك الشىء .

ان الانسان كان يجهل الميكروب والكهرباء وأسرار الفضاء ، ومكث على ذلك آلاف السنين ، فهل يصح لنا بعد ذلك ان نقول بعدمها فى الواقع .

ان الوقوف عند الحس فقط وعدم تخطيه ، انما هو شأن البهائم التى لا تعرف غير المحسوس ، ولا يمكنها أن ترقى الى ما فوقه .

كيف تنكرون ما وراء الحس وتقولون لا نؤمن الا بالمحسوس ، مع أنكم أثبتم الأثير وبنيتم عليه كثيرا من اختراعاتكم مع انكم لم تشاهدوه .

---

(١) سورة الرعد الآيات رقم ٢ — ٤ .
(٢) سورة الاعراف من الآية رقم ١٨ .
(٣) سورة المائدة من الآيتان رقم ٧٥ ، ٧٦ .
(٤) سورة البقرة الآيات رقم ١٦٣ — ١٦٤ .

(١) سورة الأنبياء الآية رقم ٢٣ .
(٢) سورة المؤمنون الآية رقم ٩١ .

فان قالوا : اثبتناه بالأدلة الكثيرة ، فقد نقضوا أصلهم ورجعوا الى الاستدلال وبذلك يناقضون أنفسهم ، وأى فرق اذا بينهم وبين من يستدل على البارى عز وجل بآثاره الباهرة ، وعلى الروح بظواهرها التى يستحيل أن تكون أثرا لذبذبات المادة أو شعاعا لفسفور المخ .

على أن ادراك هذا العالم المحسوس الخارج عنا انما هو بوساطة الحس ، فلو فقدنا البصر أو السمع لم يكن للمبصرات ولا للمسموعات وجود ، بناء على ذلك المذهب الفاسد . فما المانع أن تكون هناك أشياء لا تدرك الا بحاسة أخرى لم تخلق فى الانسان بعد ، وقد اثبت العلم أن للنحل حاسة ليست فى الانسان ، وكذلك لغير النحل كالكلاب والقطط ، فقد ذكروا أن القطط ترى فى الظلام أكثر مما ترى فى النور ، وان حاسة الشم فى الكلاب أقوى منها فى اى مخلوق آخر . وعلى كل حال فالابصار والسمع لا يكونان الا على حد محدود من الذبذبات فى الأثير ، فيجب اذا أن يكون التعويل على العقل لا على الحس ، والثقة بالبرهان لا بالعيان .

يقول العلامة ( كروزبار ) : اذا كنت لا أقول الا بالمحسوس فكيف يمكننى أن أعرف أن صديقى الذى يماشينى لديه شىء اسمه العقل ، مع أنى لا أستطيع أن أراه أو أحس به أو أتناوله بتجربة أتخذ مجهر الطبيب و مبضع الجراح أو مجهزات الكيميائى أداة لها ، فلو كان معتقدى فى عقل صاحبى يعود الى مقدار ما أستطيع أن أعرف منه علميا ( أى بالحس ) لم أستطع أن أعتقد بوجوده مطلقا ، مع أن مفخرة العلم الحديث ادعاؤه بأن كل مستنتجاته من المستطاع أن توضع تحت حكم الحواس ، فاذا وجود العقل فى صاحبى كوجود واجب الوجود ، كلاهما اعتقاد الزامى لا نستطيع أن نعرفه من طريق الحس ، وفى الوقت نفسه نحن ملزمون بالاعتقاد بـه .

ثانيا : عندما اكتشفوا الأسباب الموجبة للمسببات على مقتضى السنن التى وضعها الله فى العالم قالوا : ان هذه الأسباب مؤثرة بذاتها وطبيعتها ، وليس هناك تدخل لغير هذه الأسباب فى ايجاد شىء من الأشياء ولا ايجاد أنفسها ..

وفى الرد على هذه الشبهة نقول : ان العلاقة بين الأسباب والمسببات ايجادا واعداما انما هو قانون وضعه العليم الخبير فى هذا العالم لأن حكمته تأبى أن يكون العالم فوضى بلا قانون ولا نظام . وهذه الأسباب ليست مؤثرة بذاتها ولا فاعلة بطبيعتها .

وعلم الطبيعة مثلا انما هو علم تعرف العلاقة المادية بين الأشياء بعضها ببعض ، ولا بحث له عما وراء ذلك ، فهو يبحث عن الطبيعة وظواهرها بعد وجودها وتحققها لا قبل وجودها، كما لا بحث له عمن أوجدها ، ولا لماذا أوجدت فيها تلك الظواهر ، وكيف أودعت فيها تلك الخواص التى اذا اتحدت مع غيرها أدت الى نتيجة ما ، فما أدت اليه التجربة العملية جعله قانونا من قوانينه ، وان كان لا يعرف فى الوقت نفسه لماذا كان ، ولا كيف كان ، فضلا عن أن يعرف أول الأشياء وآخرها أو كنهها وحقيقتها..

على أن المادة ذاتها وخصائصها لا يعقل أبدا الا أن تكون من غيرها لا من ذاتها ، حيث يمنع العقل أن يكون الشىء الواحد مؤثرا وأثرا فى وقت واحد .

وأيضا فان المادة ذاتها لا يظهر عنها الا ظواهرها وآثارها فقط ، أما اجتماعها مع غيرها واتفاقهما معا على أن يوجدا أشياء معينة ذات نظام بديع ، يشمل على حكم جليلة وغايات بعيدة نبيلة ، فلا يعقل فيها بوجه من الوجوه .

**فهل يعقل أن العناصر والخلايا التى تتألف منها والأذن والبصر والمخ ... اجتمع بعضها الى بعض من أجل أن تحقق هدفا معينا ، فيؤلف بعضها قلبا وبعضها كبدا وبعضها عينا وبعضها قدما وبعضها رأسا ... الخ .**

واذا قلنا ان المادة تفعل مقتضاها على حسب ما أودع فيها من الخصائص ، فهل يمكنها أن تنتج كائنا حيا سميعا بصيرا ، وهل يمكنها أن تدبر الأشياء تدبيرا حكيما بحيث يكون فى موضعه اللائق به ولغايته المقصودة ، واذا كان لها سلطان على نفسها وظواهرها من ذاتها فكيف يكون لها سلطان على غيرها حتى تأتى به معها وتكلفه بعمل خاص لغرض خاص محدد ، ان ذلك غير معقول ولا مفهوم .

ان الطبيعة لا يمكنها التفنن فى العمل ولا تستطيع أن تلاحظ الغايات وتحدد الأهداف فتقدرها وتدبرها بدقة وامعان .

**اننا نرى فى الجسم الانسانى من الأعاجيب والتقديرات ما يعجز الانسان عن احصائها فى هذه العجالة ، فنجد نصفه الأعلى يغاير نصفه الأسفل ، ورأسه يغاير بدنه ، وكل عضو فيه يغاير العضو الآخر ، وما من عظم صغير ولا كبير ولا عصب ولا وريد ولا شريان الا وقد وجد لحكمة كبرى وغاية عظمى ، ولو زاد عن مقداره الذى هو عليه او نقص منه أو تغير موضعه لاختل نظام الجسم ولم يحقق الهدف المرجو منه وصدق الله العظيم حيث يقول : ( وفى انفسكم افلا تبصرون )(١) .**

---

(١) سورة الذاريات الآية رقم ٢١ .

ان من أعظم منجزات عصرنا الحاضر ذلك التقدم الهائل فى العلوم التى توصلت الى أسرار الذرة ، وغزت الفضاء ، وكشفت من سنن الكون وأسراره وظواهره ، ولا تزال تكشف ما يحير العقول . وهى فى الوقت نفسه تدل دلالة قاطعة الى أن هذا العالم لا يمكن ان يوجد هكذا بطريق المصادفة ولابد له من مبدىء من صفاته الارادة واللانهائية ، خبيرا لا نهاية لخبرته ، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ، ومصداق ذلك قوله عز وجل : **( سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ، أو لم يكف بربك انه على كل شىء شهيدا )(١) .**

---

(١) سورة فصلت الآية رقم ٥٣ .

* * * * *

## بقية مقال النظرية الاجتماعية فى فكر الامام الغزالى

حتى يصل المجتمع شيئا فشيئا الى التعقيد الذى يصعب معه الفهم الكامل لنشأة الظاهرة المعينة وطريقة معالجتها .

وهناك فكرة جديدة يطرحها الغزالى لأول مرة وهى فكرة الدينامية الاجتماعية أو الحركة اللانهائية التى تعتبر السمة المميزة لظواهر الاجتماع .

وهذه الحركة لا تتوقف عند حد لأنها ترتكز على أسباب لا تتوقف الا بتوقف حركة النوع الانسانى ذاته .

ويضيف الغزالى هنا عنصرا أخلاقيا لمحاولة علاج هذه الحركة المستمرة فى الطبيعة الاجتماعية والتى لا تزيد الحياة الا تعقيدا بحيث لا يستطيع الفرد أن يشبع رغباته الا بجهد جهيد .

وهذا العنصر الأخلاقى يتلخص فى حتمية أن يتعرف الأفراد على رغباتهم واحتياجاتهم فيحاولون الحد منها والوقوف بها عند طائفة معينة من الرغبات والا فما من رغبة الا وتليها رغبة والرغبة الواحدة لمجموعة من الأفراد تشكل معضلة اجتماعية وظاهرة ينبغى معالجتها على المستوى العام ويترتب عليها رغبة أخرى فردية ثم تصير جماعية وهكذا .

ويعالج الامام الغزالى مشكلة توزيع الأعباء فى المجتمع بشكل تختفى فيه روح التعسف وأسلوب التمييز بين الأفراد الذى كان يميز الأفكار والآراء التى نادى بها المفكرون الأول وكأن الغزالى يترك حل هذه المشكلة للعرف الاجتماعى أى أن تقسيم الأعباء يمكن أن يتم بين الأفراد على أساس من التعاقد الاجتماعى والتعاون بين بنى المجتمع الواحد .

وتلك فكرة راقية ومتطورة سوف تستشعرها فيما بعد عند أكثر علماء الاجتماع حداثة وعصرية . ولم يشأ الامام الغزالى أن يفرض علينا نموذجا سياسيا وأسلوبا معينا لاختيار شخصية الحاكم أو شخصية أفراد الحكومة وكأن هذه المسألة هى الأخرى متروكة لأسلوب العقد الاجتماعى وهى فكرة قد عولج بها أكثر المجتمعات رقيا ومدنية حين حل القانون المدنى محل القانون الجنائى وحل الأسلوب الديموقراطى محل النظام العسكرى الأكثر تشددا .

وهناك مسائل أخر قد اهتم بها الامام الغزالى وهى شهيرة عنده كمسألة الأخلاق والتصوف والعقائد وغيرها وتلك مسائل لا تحتل أهمية كبرى فيما نريد أن نعالجه الآن .

وخلاصة القول فى هذه اللمحة اليسيرة أن الغزالى يعتبر من أوائل المجددين فى منهج وموضوع دراسة علم الاجتماع فى ظل الفكر الاسلامى .

# أصالة المفكر المسلم ابن باجة في كتابه تدبير المتوحد

الدكتورة فوقية حسين محمود

**المدينة الفاضلة فى راى ابن باجه**

**ان ابن باجة(١) خلافا لما رآه كثير من الباحثين فى آرائه فى « تدبير المتوحد »(٢) وغيرها من رسائله ، يهاجم فكرة « المدينة الفاضلة » ، كما رآها أفلاطون ، وغيره ، ولا يزكيها .**

**وهذا الهجوم ليس عن تخاذل وتشاؤم(٣) ، على نحو ما يبين ذلك احد الباحثين المحدثين فى آخر ما ظهر له عن ابن باجة من ابحاث ، ولكن عن وعى عميق بعدم جدوى فكرة « مدينة فاضلة » تخلو من الآفات .**

**هل سبق ابن باجة أحد ؟**

وابن باجة ليس أول من خالف فكرة « المدينة الفاضلة » من المفكرين المسلمين فلقد كان للفارابى خاصة مواقفه منها ، حيث أبرز مآخذ القول بمجتمع يقترب من الخيال لخلوه مما هو غير فاضل(٤) .

**غير أن ابن باجة ينفرد باسلوب بيانه لهذه المآخذ ، اذ يعتمد على أبراز قيمة الوجود الانسانى : التى تكمن فيما سماه بـ « القنية » الممثلة فى التقرير الارادى أو ما سماه بـ «الاجماع» يقصد اجماع القوى والملكات الفطرية التي حباه الله بها من أجل تقرير ما يريد ، اى فى قيمة الفعل الواعى ،** على نحو ما سنبين ذلك تفصيلا بعد ..

وتظهر أفكاره هذه فى رسائله على اختلافها(٥)، غير أن اعطاء اولوية فى العرض لآرائه فى رسالته « تدبير المتوحد » يرجع الى انها الرسالة التى خصصها هو نفسه لتناول مفهوم « المدينة الفاضلة » بالبحث وتجىء رسائله الاخرى مدعمة لآرائه فى هذه الرسالة ، وعلى رأس هذه الرسائل : رسالته المسماة بـ « رسالة الوداع »(٦) حيث يبرز بقوة رايه فى الوجود الارادى .

**خصائص أسلوب ابن باجة :**

ويتلخص أسلوب ابن باجة فى رسالته « تدبير المتوحد » فى موقفين :

**الأول** : يقوم على تقديم الأدلة المباشرة وغير المباشرة لهدم فكرة « مدينة فاضلة » على نحو ما قال بها اليونانيون وخاصة أفلاطون الذى تابعه ارسطو فى أصول افكاره البعيدة عن الواقعية(٧) .

**والثانى** : ويتمثل فى توضيح أسسه الايجابية لدعم الفكرة المقابلة لفكرة « مدينة فاضلة » أى دعم فكرة مدينة واقعية ، يأتى أهلها بالنقائص بحكم طبيعتهم ويتعرضون للآفات ، ولكن يسعون

فى نفس الوقت الى التخلص منها من خلال تقرير واع لأفعال ارادية مقصودة .

وربما يصح قبل الشروع فى بيان هاتين النقطتين وما يليهما من اضافات توضيحية لآرائه فى فلسفة الفعل الارادى ، ان نبين ان ابن باجة قد احتضن أسلوب السابقين عليه من فلاسفة المسلمين بالنسبة لموقف شكلى محض وهو :

تطعيم عرضه ببعض الفاظ وتقسيمات ذهنية يونانية لكى يكون ما يقدمه من **« صناعة الفلسفة »** على نحو ما يتبين الباحث ذلك من قراءاته لما سبق وشرحناه عن الكندى ، والفارابى فى دراسة لبيان اصالتها الفلسفية(٨) ، وان استعماله لهذه **الألفاظ** والتقسيمات ، لم يكن الا بعد ان خلصها من مضمونها الذى لها فى تراثها ، اذا كان هذا المضمون متعارضا مع التقدير الاسلامى والفهم الواقعى لحقائق الأوضاع فى العالم الخارجى واعطائها مضمونا جديدا يتفق وأسس موقفه من فهم الحقائق . **ولذلك نجد ان المضمون الجديد الذى اعطاه لبعض هذه الألفاظ والتقسيمات الدخيلة يختلف عما كان لها فى تراثها القديم(٩)** .

ونقدم بعض هذه الألفاظ والتقسيمات المتناثرة فى رسائله على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر ، خاصة واننا سنقف عند الكثير منها وقفة تفصيلية اثناء بيان موقفيه فى رسالة « تدبير المتوحد » وغيرها دعما لهذا الذى اثبتناه فيما يتعلق بموقفه من الألفاظ والتقسيمات الدخيلة .

ان القارىء للمباحث الثلاثة فى رسالة « تدبير المتوحد » يقع فى عدة مواضع على اسم « أفلاطون »(١٠) تصريحا ، ثم ارسطو من وراء مصنفى « نيقوماخيا »(١١) و « البرهان »(١٢) واسماء أخرى مثل « جالينوس »(١٣) .

ثم هناك مصطلحات يونانية مثل « بالقوة »(١٤) « بالقوى »(١٥) « وبالشرف والكمال »(١٦) « المدينة الفاضلة »(١٧) ، « السياسة المدنية »(١٨) « الفلسفة المدنية »(١٩) .

وكذلك نجد تقسيمات ذهنية ورد بعضها فى كتابات أفلاطون (٢٠) والبعض الآخر فى كتابات ارسطو (٢١) ، ونجد القول « بالعرض »(٢٢) « والجوهر »(٢٣) ، وكذلك القول بـ « المحرك الأول »(٢٤) وغير هذا وذاك من الألفاظ والتقسيمات التى تعبر عن لب أفكار فلاسفة اليونان ، والتى هى بالتالى من لوازم « القول الفلسفى » طبقا لفهم الفلسفة فى ذاك الحين والتى اعتبرها المسلمون صناعة من بين الصناعات ، ومما يجب ان نلاحظه انها أصبحت عندهم جزئية بعد ان كانت شمولية عند اليونان ، وهذا أيضا موقف من مواقف الفهم الجديد لصناعة الفلسفة والفاظها جعلها فى مرتبة أقل من تلك التى جعلتها « أم العلوم » وذلك لسبب بسيط وهو ان النصوص المنزلة بالنسبة « للمفكر المسلم » هى الأصل فى تحديد معالم الوقفة الذهنية والصقل المنهجى ازاء الموضوعات المعرفة .

المهم ان هذه الألفاظ والتقسيمات كلها جعلت كتابات المفكرين المسلمين وخاصة الفلاسفة منهم ، تبدو وكأن أصحابها يتبعون المفكرين اليونانيين هذا ما يمكن ان يبدو لأول وهلة .

غير ان البحث والتدقيق لابد وان يبين ان هذا كله لا يعدو ان يكون مجرد لمسات لفظية لجأ اليها ابن باجة ومن سبقه ليكون ما يقدمه من «صناعة الفلسفة » ، كما ذكرنا .

ومما هو جدير بالذكر فى هذا المقام ، بالنسبة لابن باجة ، ان من بين التعبيرات الدخيلة ما لم يجد ضرورة لاعطائه مضمونا جديدا يتفق وموقفه الفلسفى ، **وذلك لأنه يرفضه شكلا وموضوعا** وعلى رأس هذه التعبيرات « المدينة الفاضلة » .

فخلافا لموقفه من التعبيرات المقتبسة الأخرى ، لم يعط هذا التعبير « مدينة فاضلة » أى مضمون آخر جديد ، وهذا يدل على ان التعبير يتنافى تماما مع أهم مبدأ من مبادئه فى فهم حياة الجماعات وهو « الواقعية » التى لها قوانينها ذات الطابع الضرورى ، أو الحتمى .

ــ ان استعملنا لغة عصرنا ــ مع تقدير لمفهوم النسبية ، كاحدى السمات الضرورية لهذه الواقعية ، واقعية حياة الجماعة ولذلك نجد انه لا يستعمل هذا التعبير الا للدلالة على رأى صاحب الفكرة أصلا ، أى « أفلاطون » .

هذه بعض أمثلة تكشف عن رأيه فى الألفاظ والتقسيمات التى استبقاها من الفكر الدخيل .

وتتبين ابعاد هذا الرأى اكثر واكثر من خلال تفاصيل موقفيه اللذين سنعرض لهما بعد .

## موقفان أساسيان لابن باجة :

اما عن هذين الموقفين :

فاننا نلاحظ بالنسبة للموقف الأول وهو : هدم أو استبعاد فكرة « مدينة فاضلة » انه يمهد لذلك ببعض تمهيدات منها :

ــ تقديم استعمال العرب لبعض الألفاظ ،

وشرح هذا الاستعمال ، وذلك قبل ان يعرض لأية دلالة اصطلاحية يونانية لأن هذا الاستعمال يتضمن بذور وقفته الفلسفية القائمة على تقدير واقع الأمور . وبهذه الطريقة يؤكد المعانى العربية الاسلامية التى يريدها .

من ذلك مثلا ما يأتى :

( أ ) يحرص ابن باجة على اثبات استعمال العرب لأهم لفظين فى رسالته وهما : «تدبير»(٢٥) و « روح »(٢٦) .

وترجع أهمية هذين اللفظين الى ان الأول يتعلق بـ « الفعل » والثانى بـ « المعرفة » . وهما الناحيتان اللتان يود ابراز الربط بينهما ، الى ناحية « العمل » وناحية « النظر » .

ويجىء اثباته لاستعمال العرب فى مستهل الكلام عن كل ، فبالنسبة لـ « التدبير »(٢٧) يستهل به المبحث الأول ، أى الرسالة ، وبالنسبة لاثانى(٢٨) يستهل به المبحث الثالث ، حيث يدور كلامه تفصيلا عن كيفية كسب المعارف وأدائها .

وان دل هذا على شىء فانما يدل على انه يرغب فى تنبيه الاذهان الى انه ينطلق من مجال فهم سائد ذائع عند العرب ، لأن ما يثبته هو معنى اللفظ عند جمهورهم(٢٩) .

وهذا أمر له أهميته ، لأنه يثبت هذا المضمون بعيدا عن الأساس الفلسفى الذى يبنى عليه الفكر اليونانى ، وخاصة الأرسطاطاليس منه . وهو ذلك الأساس الذى يرى ان كل حركة فى الكون بما فيها حركة الانسان وافعاله تدخل ضمن اطار مفهوم « التشبه بالمحرك الأول » وفى أقوال افلاطون ، ان هذه الحركة من أجل التشبه بالمثال .

يبعد ابن باجة عن هذا الأساس الفلسفى اليونانى المتعقل أو المتخيل فيسقطه تماما من حسبانه لينطلق من مجرد ما هو ملموس فى الواقع فى مجال الفعل بالنسبة لـ « التدبير » الذى هو : « ترتيب افعال نحو غاية مقصودة »(٣٠)

**وهنا نلمس منطلق ابن باجة الواقعى ،** الذى يلفظ كل نسق فكرى مسبق أى « مذهب تفسير وجود » متخيل لهذا الواقع الذى يواجهه وهو فى حيويته ، لأن المجال المدروس ، أو موضوع الدراسة المطروح هو « الفعل » الحى الفعل المركب فى اتجاهه الى غاية مقصودة هى فى فكر صاحب الفعل نفسه ، وليس فى نسق متخيل لا يمت الى الواقع الملموس بصلة .

وهذه اشارة يصدر فيها ابن باجة عن صقل اسلامى حيث الدعوة الى النظر فى الموجود ، مع التفرقة بين الموجود الحادث والموجود القديم الخالق لكل شىء ، وهو الله سبحانه وتعالى ، الى تنزيه الخالق عن كل ما هو مخلوق ، وفكرة التنزيه هذه نجدها منتشرة فى اقواله بعد .

(ب) ثم نلاحظ أيضا ان ابن باجة يحرص على اثبات أصل عقائدى مهم ، يدل على الواقع ويؤكده وجود الموجودات على اختلافها فى صيغتها ودقة امورها وصيرورتها ، وهو وجود الله «مدبر لهذا العالم »(٣١) ، وأن هذا الاله هو الخالق أو الموجود لهذا العالم ، اذ يشير الى الفرق بين ما هو انسانى وما هو ربانى ، فيقول مبينا هذا الفرق :

« ... بينه ( أى بين الانسان ) وبين ايجاد الاله تعالى للعالم »(٣٢) وذلك فى معرض المقارنة بين تدبير الاله وتدبير الانسان .

وهذه المقارنة تكشف عن انه لا توجد نسبة اطلاقا بين تدبير الله تعالى وتدبير الانسان ، فهذان أمران يختلفان من ناحية مستوى الأداء وهكذا تتضح لديه فكرة تنزيه الله عن التشبه بالمخلوق .

ويتبين ان الموجودات التى هى من ايجاد الله ، قد وجدت بتدبير محكم متقن وبصفة متعينة حقيقية فى الخارج ، دون ان يكون لها وجود « لا متعين »(*) كما هو الأمر عند أرسطو مثلا حيث نجد لديه تلك المادة المتعلقة ، لأنها لا متعينة وحيث الوجود كله لديه متعقل وليس موجودا وجودا حقيقيا ، رغم حديثه عن « الحس والمحسوس » و « السياسة المدنية » اذ ما الحس والمحسوس لديه الا مراحل أو كمالات اولية فى سلسلة تحقق الوجود المتجه من اللاتعين الى التشبه بالموجود الأول أو المحرك الأول أى المتجه من متعقل الى متعقل ، والمحسوس فيها ، اى فى هذه السلسلة ما هو الا مرحلة ، لا تمثل اى وجود فى ذاته ، رغم ما تبدو عليه من « خارجية » فى لغة عملاقى الفكر اليونانى : افلاطون وأرسطو .

الأمر الذى يجعل هذا الوجود لا يخرج من حيث طبيعته عن ان يكون متعقلا او عقليا كالوجود الذى يتحرك تشبها به وشوقا اليه ، وبالتالى يفقد امكانيته ان يكون مغايرا له فى طبيعته اى يفقد صيغة الوجود المباين له ، اى للمحرك الأول على أساس القدم من جهة ، ومن جهة أخرى المستقل عن الذات العارفة الانسانية ، التى هى

نفسها من بين الموجودات المخلوقة بفعل الخالق الأعلى ، الله سبحانه وتعالى(٣٣) .

ان الوجود فى مفهوم ابن باجة ، كمفكر مسلم، **يمكن ان يتعقل ، ولكنه ليس من انتاج العقل الانسانى** ، ان الوجود كائن بصفة منفصلة عن الذات العارفة ، كما ذكرنا ، وهذا الوجود ليس قديما ، **انما هو حادث** فهو : « من ايجاد الاله تعالى » ، وهذا الحدوث **لا يمكن أن يكون حقيقيا الا اذا كان من العدم المحض**(٣٤) . أى انه كان بعد ان لم يكن لأن عدم اقرار هذه الحقيقة ينتهى بالمباحث الى موقف مماثل لموقف الفكر اليونانى ، وهو الخروج من اللا تعين الى التعين . وهذا يوجب صفة القدم للمادة ، وهو ما يرفضه المفكر المسلم ، انطلاقا من تقديره للوجود الحقيقى الخارجى الحادث ، الذى هو من خلق الله سبحانه وتعالى ، والذى يقوم على فكرة « تنزيه الخالق ».

يقول ابن باجة فى هذا :

« واما تدبير الاله للعالم ، فانما هو تدبير بوجه آخر بعيد النسبة عن اقرب المعانى تشبها به ، وهذا هو التدبير المطلق ، وهو أشرفها لأنه انما قيل له « تدبير » للشبه المظنون بينه وبين ايجاد الاله تعالى للعالم »(٣٥) .

ونجده فى هذا الموضع يحرص على الاستئناس باستعمال الجمهور ، فيما يتعلق بتدبير الله ، وهو قولهم بأنه « تدبير محكم متقن »(٣٦) توكيدا لفكرة التنزيه المطلق لذات الخالق سبحانه وتعالى .

ويصح ان نثبت هنا مصداقا لما ذكرناه ، فيما يتعلق بمفهوم الوجود المتعقل عند اليونان ، ان ابن باجة ، عندما استعمل لأول مرة فى هذه الرسالة ، وذلك فى المبحث الأول — تعبير : « ما بالقوة »(٣٧) . وهو من التعبيرات اليونانية التى استبقاها ليبدو كلامه من « صناعة الفلسفة » كما سبق وذكرنا ذلك ، يبين على الفور حدود استعماله لهذا اللفظ فصرح بأنه يستعمله فى مجال « الفكر » أى ما هو متعقل وليس للدلالة على مفهوم الوجود ، وذلك عندما كان بصدد بيان طبيعة « التدبير » الذى هو «ترتيب افعال»(٣٨) قبل تنفيذها، أو اثناء تنفيذها لتحقيق الغاية المقصودة(٣٩) فالترتيب بطبيعته : فكر أى « بالقوة » ، وان لم ينف ان يصير بعد ذلك « بالفعل » ، أى متحققا تحققا خارجيا ، مستقلا عن الذات العارفة هذا ما يتبين من قوله .

« ... ولفظة التدبير ، دلالتها على ما بالقوة أكثر واشهر ، وبين أن الترتيب اذا كان فى امور بالقوة ، **فانما يكون ذلك بالفكرة** ، فان هذا مختص بالفكر ، ولا يمكن أن يوجد الا منه »(٤٠) .

وهذا يعنى أنه يستعمل تعبير « ما بالقوة » ولكن فيما يليق به من مجال : وهو مجال الفكر ، دون أن يعطى لهذا التعبير أى دلالة على بيان الوجود أياما كان **لأنه يلفظ تماما تلك الفكرة الأرسطية التى تقول بان « الوجود كان بالقوة ثم صار بالفعل »** مما جعل الوجود قديما عند القائلين بهذا الرأى .

وهذا يعنى انه اخرج التعبير من استعماله الأصلى الذى صاحب ظهوره فى فلسفة أرسطو الى استعمال آخر يبعده عن مبحث الوجود تماما ويحصره فى مجال الفكر فقط وهذا اختلاف جذرى بينه وبين أرسطو ، وتغيير بين فى مدلول اللفظ اصطلاحا .

(ج) ثم لا يرضى ابن باجة ، وهو بصدد مواجهة موضوع دراسته الذى هو : « التدبير » أى تدبير الانسان ، الا أن يتمسك بالواقعية ، فيؤكد بكل صراحة أنه ، أى التدبير : « لا يتعدى عن الصواب والخطأ »(٤١) ويرفض قول من يرى أن ذلك ممكن بالنسبة لوضع أفضل فى « مدينة فاضلة » وعند من هو الأفضل وهو كما نعلم « الفيلسوف » .

**يتبين هذا من قوله التالى :**

« .. وقد يظن ان التدبير قد يعرى من هذين المتقابلين واذا فحص عنه وتعقب ، **ظهر أن هذين المتقابلين يلازمانه ضرورة**(٤٢) يقصد الصواب والخطأ ،أى أن ابن باجة لا يرى فرصة أو امكانية لتقبل مفهوم « التدبير » فى فعل الانسان دون أن يتضمن ذلك الصواب والخطأ .

وهذا يعنى **أنه يهدم أساس فكرة المدينة الفاضلة القائمة على الخلو من هذه الآفة** ، وينطلق من الواقع ، وليس من فرض متخيل متعقل يستحيل وجوده فى هذا الواقع وهو خلو التدبير من الخطأ والصواب . ولذلك ، أكد « اللزوم الضرورى » لوجود هذين المتعارضين ، وليس لزومها عارض .. والضرورة هنا هى **ضرورة واقع ، وليست ضرورة منطقية** .

وقد بلغ من مهارته أنه ، لكى يبعد عن الأذهان ضرر التعلق بما هو ليس بكائن وهو « المدينة الفاضلة » نراه يوجه الأذهان الى انتاج يونانى آخر هو : « السياسة المدنية » لأفلاطون (فلاطن) حيث يتحدث المؤلف عن الصواب والخطأ ، لكن لا كلزوم ضرورى كما هو الأمر عند ابن باجة ، ولكن كمثل لحياة قوم فى طريقهم الى التشبه

بصورة الوجود الأفضل ، وهو الوجود الحقيقى فى نظر افلاطون .

فكأن ما ورد فى « السياسة المدنية » لا يمثل اللزوم الضرورى لوجود حقيقى وانما يقدم مرحلة وجود لا حقيقى ، لأن الحقيقة فى « الأفضـــل » المتعقل .

وهنا نرى البون الشاسع بين نظرة فيلسوفنا الواقعى ، وتلك التى تنتمى الى ذلك الفكر المتوارث الذى يقال ان ابن باجة قد بنى عليه آراءه عامة وفى « تدبير المتوحد » خاصة .

وهـــذا موضع يتضح فيـــه أنه يلفظ فكرة « المدينة الفاضلة » لاستحالة تحققها فى الواقع الخارجى ، وان القول فيها ، لا يتعدى « الشكل » أى اطار خاو من مضمون ملموس ، ويلاحظ ان استئناسه ببعض ما ورد فى « السياسة المدنية » قد جاء للايعاز بأن كلامه من « الفلسفة »(٤٣) اذ يتبين الباحث أنه بايراده هذه الأمثلة يود ان يقول : يا حبذا لو اتخذ افلاطون من هذه الملاحظات آراء تمثل الحقيقة دون فكرة « المدينة الفاضلة » الخيالية ، ويلاحظ أنه يسجل ما ورد فى « المدن الأربع » ، وكأنه يرغب فى أن يكون « فلاطن آخذا بهذه الأقوال لتمثيل الحقيقة دون اقواله فى المدينة الفاضلة(٤٤) .

---

(١) هو أبو بكر محمد بن يحيى المعروف بابن الصـــائغ التجيبى الاندلسى السرقسطى . ( توفى سنة ٥٣٣ هـ /١١٣٨م ) انظر لمزيد من التفاصيل المصادر القديمة التالية .

ابى ابى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ٢ ص ٦٢ ـ القفطى : اخبار العلماء باخبار الحكماء ص ٢٦٥ ـ ابن خاقان : قلائد العقيان ص ٣١٢ الخوانسارى : روضات الجنات جـ ١١ ص ٧١٥ ـ ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٩ ـ المقرى : نفح الطيب جـ ٩ ص ٢٣٠ ـ ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٤ ص ١٠٣ ـ الصفدى : الوافى بالوفيات جـ ٢ ص ٢٤٠ ـ ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ص١١٩ ـ المراكشى : المعجب ص ٢٣٩ ، ٢٤٠ ـ ابن خلدون : العبر ص ٥٨٤ ـ ابن دحية : المطرب من أشعار أهــل المغرب ص ٣٤ ـ ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٤٠٣ ، ٤٠٤ ـ ( عن تجيب ) القلقشندى : نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب ص ٣٠٠ ، ٣١٦ ( عن تجيب أيضا ) ـ ابن الخطيب : الاحاطة فى أخبار غرناطة ، مجلد ١ص ٤١٢ الحميرى : الروض المعطار ( جزيرة الأندلس ) ـ محمد بن جعفر الكتانى : سلوة الأنفاس جـ ٣ ص ٢٦٤ـ ابن طفيل : حى بن يقظان ص ٦١ ، ٦٢ ـ البغدادى : هداية العارفين مجلد ٦ ص ٨٧ ـ السلاوى : الاستقصا فى أخبار المغرب الاقصى جـ ٢ ص ٥٨ ـ ابن بسام : الذخيرة جـ ١ ص ١٤٢ .

ومن المراجع الحديثة : انظر : دائرة المعارف الاسلامية مادة « ابن باجة » ، مجلة تراث الانسانية : تحليل رسالة ( تدبير المتوحد ) مجلد ٣ العدد ١١ ـ تاريخ الأدب العربى لبروكلمان ( النسخة الألمانية ) ملحق ١ رقم ٨ ( أبو بكر ابن باجة ) أنظر خاصة الرسالة التى تقدمت بها السيدة زينب محمد عفيفى شاكر المعيدة بقسم الفسلفة بكلية البنات بجامعة عين شمس بجمهورية مصر العربية تحت اشراف : دكتورة فوقية حسين حمود ودكتور محمـــد عاطف العراقى وعنوانها « ابن باجة واراؤه الفلسفية » ١٩٧٦ م وممـــا يصح اثباته هنا أن صاحبة الرسالة قد رأت أن ابن باجة قد تأثر تأثرا عميقا بفلاسفة اليونان وانه تابعهم فى آرائهم فى مختلف الموضوعات ..

ويجب الرجوع أيضا الى ما نشره دكتور عبدالرحمن بدوى عن بعض مصنفات ابن باجة فى كتابه « رسائل فلسفية للكندى والفارابى وابن باجة وابن عدى » . حققها وقدم لها بنغازى سنة ١٩٧٣ م .

ومن أهم المراجع الأجنبية :

— W.M. Watt : A History of Islamic Spain Edinbourgh 1967.

— Munk : Mélanges de Philosophie Juive et Arabe : Paris, 1927. طبعـــة ثانيـــة

(٢) أنظر « رسائل ابن باجة الالهية » تحقيق وتقديم : ماجد فخرى أستاذ الفلسفة فى الجامعة الامريكية ببيروت ١٩٦٨ م وهذه النشرة هى التى اعتمدت عليها فى مقالتى هذه .

(٣) انظر التقـــديم لطبعة أخرى حديثة لكتاب « تدبير المتوحد » بقلم دكتور معن زيادة ، بيروت دار الفكر ســـنة ١٩٧٨ م .

(٤) أنظر كتاب « آراء أهل المدينة الفاضلة » للفارابى، وانظر أيضا مقالة « الفارابى بين الخلق والايجاد » وهى المقالة الرابعة من كتاب « مقالات فى أصالة المفكر المسلم » بقلم دكتورة فوقية حسين محمود ( دار الفكر العربى ١٩٧٦ ) حيث يتبين اتجاه الفارابى الى البعد عن القول بالفيض وقربه من فهم واقعى لحياة أهل المدن .

(٥) نقصد « برسالة » هنا تلك المجموعة التى نشرت تحت عنوان « رسائل الهية » وهى : « تدبير المتوحد » ، فى « الغاية الانسانية »، « الوقوف على العقل الفعال » ، « رسالة الوداع » ، « قول يتلو رسالة الوداع » ، « اتصال العقل بالانسان » ثم « ملحق » ، وتســـمية هذه الرسائل « بالالهية » من وضع الاستاذ الدكتور ماجد فخرى ، فقد صرح سيادته فى تمهيده للكتاب بقوله : « وقد ينبغى تبرير دعوتنا لهذه الرسائل « بالالهية » .. ص ١٠ ، وبين أن اختياره لهذه التسمية يرجع الى طبيعة المصـــادر الرئيسية التى اعتمدها ابن باجة فى تحريره لهذه الرسائل وهى : « الجمهورية » لأفلاطون و « المدينة الفاضلة » للفارابى و « الأخلاق » و «الحس والمحسوس» لارسطو ، والى المسألتين الرئيستين اللتين تناولهما فيها وهى «الاتصال» بالعقل الفعال وما يؤدى اليه من توحد ، وهاتان مسألتان لهمـــا متضمنات الهيـــة أو ميتافيزيقية واضحة كما يقـــول سيادته ، وانى أختلف تماما فى الرأى فيما يتعلق باعتماد ابن باجة على الآراء اليونانية اذ أنه يلفظها ولا يســـتبقى سوى بعض الألفاظ والتقسيمات كما هو مبين طوال مقالتى هذه ، كما أن المسألتين الرئيسيتين ليستا الاتصال ،والتوحد، وانما هما الفعل الارادى وقيمة ارتباط النظر بالعمل ودور الارادة بالنسبة للنابت الذى هو كل فرد له كيان انسانى فى مجتمعه على نحو ما هو مبين تفصيلا فى المقالة أيضا ، وبالتالى فمن الأوفق الاستغناء عن تسمية هذه الرســـائل « بالالهية » وقبول رأى الشيخ الوزير أبى الحسن ابن الامام الذى قال عنها : « هذا مجموع ما قيد من أقاويل أبى بكر فى العلوم الفلسفية » ، أنظر بداية « الملحق » ص ١٧٥ من هذه الرسائل ، تحقيق دكتور ماجد فخرى ، الى أن تسمى بـــ « الفلسفية » بدلا من الالهيـــة فهذا =

للمقال بقية ص ٧٨

# الاعجاز الطبى فى القرآن

# "وجعلنا من الماء كل شىء حى"

الدكتور السيد الجميلى

«وجعلنا من المـاء كل شىء حى»

**قوله تعالى : «وجعلنا» ولم يقل وخلقنا لأن الجعل أحسن لفظا من الخلق وقال ابو السعود «والجعل هـو الانشاء والابداع كالخلق خلا أن ذلك مختص بالانشاء التكوينى وفيه معنى التقدير والتسوية وهذا عام له» .**

**الجعل خلق تكوينى وأمر شرعى معا وقد بين الراغب فى مفرداته وجوه استعمال الجعل فكانت خمسة وليراجعها من شاء فى مفرداته .**

خلق الله الانسان من حمأ مسنون فى صـورة جبلة بروتوبلازمية من البروتين ثم القى بهـا فى قاع المحيط — حسب اجماع الآراء — ثم تشـكل منها بشرا سويا ... سبحان الله .

**فالماء يدخل فى تركيب جسم الانسان والحيوان والنبات وبدونه يموت الانسان وينفق الحيوان ويذوى النبات ويخلو وجه الأرض من العمران ،** ويتكون الماء من الأيدروجين والأكسيجين بنسبة ٢ : ١ وهو بذلك يغطى نحو ٧٥٪ من سطح الكرة الأرضية حيث أن نسبة الماء الى اليابسة هو ٦ : ٥ ستة الى خمسة .

الماء يساعد على سيولة الدم وهو عنصر الحياة الأول الذى تتصل به أسباب الوجـود ، وكذلك مذيب للطعام يوجد بنسبـة ٧٠٪ فى الخضروات ويزيد فى الفاكهة الغضة الى ٩٠٪ من وزنها .

**والماء المثلج يؤذى المعدة لاسيما بعد الوجبات الساخنة . فيما روى عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتنفس فى الشرب ثلاثا، وعن أبى نعيم انه كان اذا شرب صلى الله عليه وسلم قطع ثلاثة انفاس : يسمى الله اذا بدأ ويحمده اذا ختم ، ويستحسن الشرب المص ، ففى رواية الترمذى أنه صـلى الله عليه وسلم كان يستاك عرضا ويشرب مصا .**

## كما كان يشرب وهو جالس :

وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن التنفس فى الاناء انما يبعد عنه فاه وهـذا له أهمية طبيـة بالغة الأهمية ولم يكن لغير محمد عليه الصلاة والسلام ليدركها وهو الموجه بايحاء السـماء ، ذلك لأن الاعتدال أثناء الشرب يبطىء زمن الازدراد فيمر الماء بسهولة الى المرىء بعيدا عن مجرى التنفس وأثناء الشرب أو احتساء الماء تحدث عملية ديناميكية غاية فى الدقة ... هناك حـارس فى اللهاة عند مدخل المرىء اسمه ( لسان المزمار ) يعمل مثل رجل البوليس لتنظيم المرور عند قـاع الفم ، وكما نعلم أن الله — جلت قدرته — قد جعل القصبة الهوائية مفتوحة على الدوام بأن خلقها

على هيئة حلقات غضروفية حتى تظل مفتوحة باستمرار وعند ازدرادالطعام أواحتساء السوائل لو لم ينغلق المجرى التنفسى لتسرب اليه بعض أجزاء الطعام والشراب ومن ثم يصاب المرء بالاختناق القاتل فى بعض الأحيان .

ففى أقل من ربع ثانية تحدث فى أسرع مايمكن وفى تنسيق خلقى دقيق ثلاث عمليات :

١ — ينغلق المدخل التنفسى للقصبة الهوائية بواسطة لسان المزمار .

٢ — تنفتح أنبوبة المرىء .

٣ — يتوقف التنفس لحظيا ولفترة قصيرة جدا لا تتعدى جزءا من الثانية .

وهذه الحركات الديناميكية الهندسية تحدث فى اليوم مرات ومرات ولكونها خاطفة سريعة متكررة فان الانسان قد تعود عليها من مولده وهى لا ارادية لا شعورية من ثم لا يشعر بها لأنها خلقت معه منذ طور الحياة الأول .

**أمام هذه الهندسة الطبية الدقيقة يقف العلم مشدوها ولا يملك الا أن يقول : ... سبحان الله .. جلت يد العناية وتستطيع أن تشعر بها لو أنك صرفت حسك وشعورك وركزتهما عند حركات فمك عند قاعه وقت بلع الريق مثلا ستشعر أن مجرى قد انفتح وآخرا قد انغلق وفى تلك الأثناء توقف الجهاز التنفسى تماما ...**

**تعالت قدرة الخالق الحكيم ...**

**« وفى انفسكم ... افلا تبصرون ؟ »**

وتتكرر نفس العملية حركيا وديناميكيا بنفس الطريقة ونفس الدقة أثناء المعاشرة الزوجية ، ففى لحظة الامناء يقوم صمام المثانة البولية بغلق ممر البول وفتح ممر البروستاتا والذى يفتح فى مجرى البول والمنى فى القضيب ، وعند ذلك يندفع سائل البروستاتا مع السائل المنوى من بربخ الخصية ولا يمكن أن يختلط السائل المنوى مع البول أبدا .

للتأكد من ذلك فان المرء يلاحظ انه بعدالممارسة الجنسية مع زوجته مباشرة لو أنه حاول التبول لوجد شبه احتباس بولى مؤقت لأن الصمام المثانى فى تلك الأثناء يكون مشدودا تحت تأثيرالاشارات العصبية مغلقا باحكام .

سبحانك ربى ما خلقت الانسان عبثا .. وفى ذلك .

## ما يعجز العقول وياخذ بالأفهام :

## وفى كل شىء له آية تدل على أنه الواحد

ولا يخلو ولم يخل الماء من ويلات يجرها على بنى الانسان فقد ينقل اليه الميكروبات التى تنقل مرض التيفود والباراتيفود وبويضات طفيليات البلهارسيا .. الى غير ذلك من جراثيم فتاكة .

كما أنه فى الماء اكتشف الكثير من العلاج والمعافاة لأمراض صعبة عصفت بمزاج البشر ردحا من الزمان وكانت معاول هدامة ، لتقويض البناء الآدمى سنذكرها بايجاز وتركيز :

### ١ — مياه حلوان الكبريتية

تفيد الروماتيزم وتعالج عرق النسا وأمراض الكبد وأمراض الكلى كما تشفى مرض الزهرى وداء الملوك والدرن الرئوى فى المرحلة الأولى والثانية .

### ٢ — مياه شاتلجيون بفرنسا

**تفيد مرضى القلب والجهاز الهضمى والمحمومين ومعتلى الكبد وملتهبى المصارين والمستقيم والبواسير .**

### ٣ — مياه كارلسباد بالنمسا

وهى مياه حارة تعالج مرضى الكبد والسكر والنقرس ، وروماتيزم المفاصل والعضلات .

### ٤ — حمامات بوربون بفرنسا

تفيد أمراض القلب وتصلب الشرايين والشلل والزهرى والروماتيزم ومرض النقرس .

### ٥ — مياه بوربول بفرنسا

تفيد كثيرا من الحميات كما تعالج النزلات الشعبية الحادة والمزمنة .

### ٦ — مياه كونتر يكسيفيل بفرنسا

تشفى النزلات المعوية والمعدية المزمنة وأمراض الكلى وداء النقرس .

**للمقال بقية ص ٧٢**

# من أخلاق العلماء

# قوة الإرادة

الدكتور محمد رجب البيومي

**قوة الارادة فضيلة عظيمة تجمع تحتها فضائل كثيرة ، اذ أن ذا الارادة القوية لابد أن يكون حازما متيقظا ، كما لابد أن يتصف بالحلم والصبر على المكاره ، حيث يقابل من العقبات الشاقة مايستطيع أن يذلله بقوة احتماله ، وعظيم ثباته ، وقد وهم بعض علماء الأخلاق حين زعم أن هذه الصفة الحميدة وقف على رجال البطولة الحربية وذوى القوة البدنية الذين يجدون من بنائهم الجسمى ما يساعدهم على الاحتمال الصبور ، وهو زعم يفنده الواقع العملى ، لأننا نرى من ذوى الجسوم الضخمة من لا يزيد جناح بعوضة فى المآزق المحرجة ، والمآزم الضيقة ، كما نرى من ذوى الجسوم النحيلة من صار مضرب المثل فى الثبات المطمئن والعزيمة الراسخة مما يؤكد أن قوة الارادة صفة نفسية لا تخص العماليق من ذوى الأجسام.**

**وعالم اليوم الذى نخصه بهذا الحديث ، كان انسانا هادئا من عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما، كان حسن البزة فى مظهره ،** جميل السيرة فى صحبته ، كبير المروءة فى أريحتيه ، وهو يعد من أسرة عظيمة الشرف فى الجاهلية والاسلام ، فأبوه الزبير بن العوام ، وأمه أسماء بنت أبى بكر الصديق ، وأخوه عبد الله بن الزبير حاكم الحجاز والعراق لأمد غير قصير ، وهو عروة بن الزبير تلميذ عائشة خالته ، وحامل فقه الصحابة ، وقارىء القرآن وراوى الحديث ومرشد الناس بالمدينة ، وصاحب الصيت المدوى بمكة والعراق ومصر والشام . وتلك مزايا ترشحه للرئاسة السياسية ، والمثالة الاجتماعية لو أراد .

## علم الشريعة وباب الاجتهاد :

ولكنه هام بعلم الشريعة وحده ورآه باب الجهاد فى الدنيا والحظوة فى الآخرة ، فربأ بنفسه عن ميادين الأبهة الخالبة ، واعتكف فى حلقات المسجد النبوى بالمدينة والمسجد الحرام بمكة أيام الحج ليدعو الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة مع نفر من ذوى العلم بطيبة ، كانوا حملة المشاعل فى مدينة رسول الله ، فضربوا فى فى ميادين النظر بأوفر السهام .

## فقهاء المدينة السبع :

**وقد عرفوا فى تاريخ الفقه الاسلامى بفقهاء المدينة السبعة ، وحسبك أن يكون منهم سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير ، وعبيد الله بن عتبة بن مسعود ، وسليمان بن يسار وسالم بن عبد الله ابن عمر وخارجة بن زيد بن ثابت ، وعروة بن الزبير هذا الذى نتناول حديثه الآن لنؤكد أن مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم على عهده كانت حافلة بمجالس العلم ، مليئة بطلاب الثقافة** ولم تكن مقصورة على اللهو والغناء والطرب ، كما حاول من يتصيدون روايات الأغانى أن يلبسوها

غير لباسها الصحيح ، واذا كانت مدينة الرسول قد شاهدت موقعة الحرة ، وحرب ابن الزبير ، وحفلت برؤوس الصحابة والتابعين ، فكيف يعقل أن تكون فى منطق ذوى الغرض السفيه مباءة القيان والمغنين ومستهترى الشعراء وحدهم لبضع روايات ذكرت فى الأغانى بحيث يكون اللهو الساقط طابعها العام لدى شرذمة من المزورين ! .. وهؤلاء هم رجالها النابهون من أبطال السياسة والحرب والفقه والحديث .. !!

## قوة الارادة لعـروة :

**لقد تجلت قوة الارادة فى مواقف شتى لعروة ، منها موقفه من الثروة المالية ، ومعروف أن المال والبنين زينة الحياة الدنيا ، وأن الحـرص على المال طابع انسانى مشترك ، وقد يغلو هذا الطابع بصاحبه فيجعله ملكا للمال بدل أن يكون مالكه ،** ولكن عروة كان ينظر الى ثروته على أنها عرض زائل يغدو ويروح ، وأن ثواب الله فيما بذل على وجه الخير أبقى وأخلد ، فكان يعرف مقدار مايكفى أسرته طيلة العام فيحتفظ به ، أما الباقى فللنفع الانسانى دون ادخار ، وهو فى بذله المعروف يوصد ما قد يتيح منفذا للمن الكريه أو الخجل ، حيث يقابل الفقير وجها لوجه ليمنحه رفده فيشعرم ببعض الصغار اذ تمتد اليد السفلى لصاحب اليد العليا آخذة فى انكسار ، منحية فى ضراعة ، فذلك ماتأباه أريحية الكريم ولكنه حين تثمر البساتين بالمدينة ، وتفد التجار الى شراء الثمر فى ابانه ، يفتح أبواب بستانه الواسع لمن شاء الدخول كى يجنى من الخير ما يريد ، دو ن أن يكدر بمن ، ويشعر بخجل واتضاع ..

**وقد يكون فى هؤلاء القاطنين من لا يستحق ، بل ساقه الطمع الى الاقتناص ، ولكن عروة يغضى عن ذلك ليجعل الفقير فى مأمن من ذل الطلب ومرارة الاستجداء ، وتلك أريحية نادرة لا أريحية بعدها لدى من ينفقون الصدقة سرا حتى لا تعلم الشمال ما أعطت اليمين ، فاذا أضيف لتلك المكرمة الجهيرة بناءة للبئر الشهيرة ببئر عروة ، وجعلها موردا عذبا للظامئين ، باذلا فى ذلك ما تطلبه العمل من فضة وذهب ، ليجد المسلمون ما ينقع غليلهم حين تفيض الينابيع وتشح السماء ، اذا أضيف الى مكرمة البستان ماكلا مكرمة البئر مشربا ،** فان الرجل حرى ان يذكر مع كبار الأجواد من أمثال كعب بن مامة وحاتم ، ممن ضربت بمآثرهم الأمثال ، وقد اشتهرت عين عروة بمكة ، وتقاطر الناهلون على مائها العذب صيفا وشتاء حتى كان من أمنيات بعض الشعراء المغتربين عن المدينة نهلة من بئر عروة اذ هى كما يقول :

**سخنة فى الشـتاء بـاردة فى**
**الصيف تشـفى حـرارة الظمآن !!**

**ومن مواقف هذه الارادة الحازمة عزوف عروة عن مظاهر الأبهة والجلالة وهى منه قاب قوس، فأخوه أمير المؤمنين بالحجاز** ينافس خليفة الشام ويقض مضجعه ، والعراق تحت امرة مصعب أخيه .. وماكان عروة لدى عبد الله بن الزبير بأقل من مصعب ، فمصعب أخوه لأبيه ، أما عروة فأخوه لأبيه **وأمه معا ، ان عالما بليل اللسان فصيح البيان ، كثير التلاميذ والأتباع لو شاء** منصبا جليلا فى دولة أخيه لأعطى امارة بلد كبير ، ولقام على ادارته كما يقوم عشاق الرئاسات فى كل زمان ومكان !! ولكن الرجل نظر بعين المسلم الحريص على جمع الشمل وحقن الدماء ، فرأى التنازع بين الحجاز ودمشق يريق الدماء المسلمة لاقامة شخص مقام شخص دون أن يمتد الاسلام الى أرض جديدة يرن فيها الآذان من فوق المآذن خمس مرات كل يوم !! ـــ وقد نصح عبد الملك بن مروان ونصح أخاه عبد الله بن الزبير فما وجد سميعا من هذا وذاك ، ثم سمع عن فتن الحروب بين المختار ومصعب والحجاج وأخيه عبد الله ، ما جعله يتأسف لدنيا تمتلىء بالشر وتفهق به حتى ليفيض كالطوفان ولو كان الرجل ضعيف الارادة لجذبه بريق الأمر والنهى وخدعه رداء الحول والطول ، ولكنه رأى الدنيا تخدع القائد والمقود، والرئيس والمرؤوس ، فآثر فقهه وعلمه ، وعكف على حلقة تلاميذه يقرأ الحديث ويفسر الأثر ويستنبط الأحكام .

## مواقف لعـروة :

أما أعظم مواقفه الحازمة قوة ارادة وشدة سيطرة ، وعظيم هيمنة على نفسه ، فهو موقفه من مرضه ووفاة ابنه فى وقت واحد .. ولذلك تفصيل يمتد ويتسع اذا وجد محللا مبينا عميق النظر وصادق الاستشفاف ومن لنا به ؟ .. فنحن مضطرون الى ان نوجز فنقول :

**اعتاد أمراء المؤمنين فى دمشق أن يستقدموا اليهم أعيان الأمصار فى مواسم خاصة من السنة يستوضحونهم أحوال العمال وشئون الموظفين وسلوك أرباب القضاء والخراج ، وكان عـروة ابن الزبير فى طليعة من يذهب فى وفد المدينة ، لأن مكانته لا تنكر ، ولأن عبد الملك بن مروان ومن بعده نجله الوليد يعلمان صدق مشورته ، وصفاء عقيدته ، وحرصه على احقاق الحق وازهاق الباطل** وهما يعرفان أنه شقيق غريمهما العنيد الذى اقض مضاجع الأمويين ، وكاد يعصف

بسلطانهم لولا ان سارت الأمور بسعة الحيلة ولطف المكيدة ، وبذر الشقاق بين المتآلفين بما يرجع بكفة المروانيين ، فهدأ بالهم بعد عناء ، واطمأنت جنوبهم الى المضاجع غب السهاد الطويل ، وقد سار عروة ذات عام من المدينة الى دمشق والقيظ لافح ، والصحراء ثائرة الغبار وعرة المسلك فلاقى من سفره نصبا ، ولقى الوليد ابن عبد الملك مكدودا مرهقا ، قد براه السرى على تقدم فى السن وتأخر فى الصحة فشاهد الخليفة منه ما لم يعهد ورأى فى قدم العالم الصابر تورما محمرا يأخذ فى الانتفاخ فأسرع باحضار طبيبه الخاص ليعلن خطورة الأمر ويرى أن تبتر القدم قبل استفحال الداء ، فسمع عروة الحديث وكأنه يسمع تشخيصا لمرض لا يتعلق به ، ثم بدا من قوة الارادة عندة ما نقرؤه مكررا فى الكتب المختلفة فلا نكاد نصدق ، اذ أن المريض فى شيخوخته قد صبر على الحز بالمنشار وعلى الكى بالزيت المغلى دون أن يرسل آهة واحدة ، وقد رفض تعاطى المخدر لشبهة يحتمل معها بعض الكراهية فى استعماله ! .. مع أن الفقهاء قد أباحوا الخمر لمن يتعرض لمثل حالته اذا لم يوجد سواها منوسائل التخدير ، وما كان الطب فى وقته البعيد بمذلل لآلام البتر ، أو مخفف من لوعتها فى شىء الا بما يراه العالم الكبير موضع اشتباه ، ومثله فى فقهه لا يعتقد التحريم ولكنه يتكىء على نفسه فى أدق المواقف ليرى الناس مدى ما يستطيع أصبر الصابرين من احتمال ، وننقل عن ابن خلكان نقلا عن ابن قتيبة بعض ما كان :

**قال ابن قتيبة(١) : « ولما دعى الجزار ايقطعها قال له : نسقيك الخمر حتى لا تجد الما فقال : لا استعين بحرام الله على ما ارجو من عافيته قال : فنسقيك المرقد ، قال ما أحب أن اسلب عضوا من أعضائى وانا لا اجد الم ذلك فأحتسبه قال : ودخل عليه قوم انكرهم فقال : ما هؤلاء ؟ قالوا يمسكونك فان الألم ربما عز معه الصبر ، قال : أرجو أن أكفيكم ذلك من نفسى فقطعت كعبه بالسكين حتى اذا بلغ العظم وضع عليها المنشار فقطعت وهو يهلل ويكبر ، ثم انه اغلى له الزيت فى مغارف الحديد فحسم به ففشى عليه ، وافاق وهو يمسح العرق عن نفسه ، ولما رأى القدم بأيديهم دعا بها فقلبها فى يده ثم قال : اما والذى حملنى عليك انه ليعلم انى ما مشيت بك الى حرام او قال الى معصية .**

هذه الارادة القوية من شيخ فان تعد خارقة الخوارق فى مضمار التحمل والاصطبار وما أظن احدا يطيق ذلك الا بتثبيت من الله ، واكبر ما اعتمد عليه عروة فى موقفه الخطر هو رصيده الثمين من الايمان بمشيئة الله والاستسلام لقدره المحتوم ، فقد كان يكبر ويهلل اذا حز فى جسمه الألم ونهشته المدية بأوجع ما يملك القاطع القوى من اثخان ، وقد غشى عليه وأصداء التكبير والتهليل تملأ الحجرة دويا هو فى لبابه استسلام الضعيف للقوى .. وقد علم ما وراء الاستسلام من أجر عظيم سيتقاضاه حين يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ..

**وبعد ، فهل انتهيت ماساة عروة عند ذلك ، وقد حمل ما يوهى الجبال ؟ !**

لقد كانت الدنيا تخبىء له قاصمة أخرى ، اذ دخل ولده محمد اصطبل الخيول فى دار الخلافة لينهض بفرس له ، فصادف فحلا هائجا يعترضه فى عدو مجنون ، فرمحه والقاه على وجهه فأسلم الروح ! .. والأب الحزين لم يهدأ بعد من الم القطع ليصدم بنعى ولده الحبيب ولم يملك غير الدموع ، فالاستغفار والاسترجاع .. واحضر له الوليد بن عبد الملك من يواسيه من أرباب النوائب فاستمع فى اصغاء ثم رفع يده الى السماء ليقول فى ضراعة : « اللهم لئن أخذت لقد أبقيت ولئن ابتليت لطالما عافيت » .. ولم يترك ورده الا ليلة واحدة ثم استأنفه فى الليلة المقبلة اذ كان يصلى الليل بربع القرآن ، ومنعه الألم أن يقرأ بعد القطع ..

## ومن الذى يطيق ؟

توافد المعزون على الرجل ، فهذا يواسيه فى مصابه بقدمه ، وهذا يعزيه فى مصرع ولده ، فقيل فى ذلك من البيان ما يجدر أن يقال ، ومن أحسن ما سجله الرواة من ذلك ما نسب الى ابراهيم بن محمد بن طلحة حين قال له فى ثقة : ( والله يا عروة ما بك حاجة الى المشى ، ولا أرب فى السعى وقد تقدمك عضو من أعضائك وابن من أبنائك الى الجنة ، والكل يتبع ان شاء الله تعالى .. وقد أبقى الله لنا من علمك ورأيك ما كنا اليه فقراء ، وعنه غير أغنياء ، والله ولى ثوابك ، والضمين بحسابك ) .

**ان من المواقف ما يشينه التعليق ، اذ يبدو بروعته الخارقة انموذجا فريدا يدل على نفسه بابلغ ايحاء ، وثبات عروة عند قطع رجله من هذه المواقف النادرة التى تتضمن ايجازا بليغا يجعل كل شرح لها أطنابا ذا خلل واسفاف ، فاذا قرن بما لحق به من ثكل الولد مع هدوء النفس وجمال الصبر ووفور الثقة فتلك هى الذروة العليا لارادة عالم عامل يحلق فى الذرى الشماء بعيدا عن المهاوى السحيقة التى يرتطم فى وهادها عامة الناس .. رضى الله عنه وارضاه.**

---

(١) وفيات الاعيان : ترجمة عروة .

# من
# معالم القضاء فى الإسلام

**الأستاذ صلاح عزام**

**الحديث اليوم عن التشريع الاسلامى ، والقضاء الاسلامى والشريعة الاسلامية يملأ مجلس الشعب .. بل ويتصدر العديد من أحكام الدوائر القضائية ..**

**وهذا الأمر دليل خير .. وبشير على أننا نسير على الطريق رغم كل الظروف ..**

**وفى الوقت نفسه يعيد الى الوجود الحاضر .. معالم القضاء الاسلامى .. وما أراده الاسلام للقضاء بين الناس من قواعد وما حققه للقضاء من مكانة .. وما هيأه للأحكام من وسائل لم يعرفها العصر الحديث ولن يعرفها من يأتى من بعد الا اذا اتخذ الاسلام منهجا وسبيلا .**

بل ان النظام الاسلامى .. قد وضع من النماذج القضائية ما ينير للقاضى طريق عمله .. وييسره ..

والحديث عن القضاء من جميع جوانبه كما شرعه الاسلام .. طويل .. وطويل .. ولكننا نكتفى ببعض الجوانب تذكيرا للذين يناقشون هذه القضايا اليوم ..

وفى البدء .. فان الاسلام .. قد اعتنى بالقضاء عناية فائقة .. يؤكد هذا ما ذكره القرآن الكريم من آيات وما حدثنا عنه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

**فالحق تعالى يقول فى محكم آياته « ان الله يامر بالعدل والاحسان » .**

**● و .. « اذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى » .**

**● و .. « ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به » ..**

**● و .. « ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله » .**

**● و .. « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين » .**

**● و .. « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط .. » .**

**● و .. « والسماء رفعها ووضع الميزان ان لا تطغوا فى الميزان واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان .. » .**

وبما أن عملية القضاء لها هذه المكانة من الاسلام .. فقد وضع الحق تبارك وتعالى « ميزانا » للعدل القضائى يحقق العدل .. وينشر العدالة .. وبذا يقضى على كل انحراف .. وكل اجرام .. ليسود المجتمع السلام ..

**فتقرر وجود التشريع الذى يقف أمامه الناس سواسية .. وهو « ان أحكم بما أنزل الله » .**

**والا .. « فمن لم يحكم بما أنزل فأولئك هم الكافرون » .**

**و .. « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » .**

**و .. « ومن لم يحكم بما أنزل اللهفأولئك هم الفاسقون » .**

***

**رسول الله أول قاض فى الاسلام :**

وبالتالى .. كان لابد من توافر «القاضى » فى الاسلام .. بعد أن تهيأ له .. التشريع العام .. والتحذير من عدم الحكم به ..

والقاضى فى الاسلام له مكانة كبرى .. ويختار بدقة وعناية حتى يتوافر فيه صفات .. تقربه من الله تعالى ..

وحتى يقتدى القضاء بمثال .. وقدرة مثالية .. كان أول قاض فى الاسلام .. هو سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وأدبه ربه فى عمله هذا بقوله تعالى ..

**« وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين » .**

**و .. « ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون » .**

**ولذاك .. ولخطورة منصب القاضى .. فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك أحاديث كثيرة منها :**

**« القضاة ثلاثة واحد فى الجنة واثنان فى النار رجل عرف الحق فقضى به فهو فى الجنة .. ورجل قضى بين الناس بالجهل فهو فى النار .. ورجل عرف الحق فجار فهو فى النار » ..**

***

وحكمة من الله سابقة .. وعلم قديم .. فقد أراد الله أن يتولى رسوله أول القضاء فى الاسلام بين المسلمين .. لكى يعرف أولا القاضى انه يجلس مكان رسول الله وهو شرف كبير .. عليه أن يعطى مركزه مهابة وجلالا .. وهو الأمر المتعارف عليه فى عالم القضاء فى كل مكان الآن .. من أن يعطى للقضاة امكانيات وتهىء لهم ظروف .. تجعلهم فوق الشبهات .. ومحل احترام كل الطبقات ..

والأمر الثانى .. من تولى رسول الله القضاء بالتشريع الاسلامى .. أن يصدر أحكاما فى قضايا تأخذ بروح الاسلام .. عند انعدام النص .. ويتكون من هذه الأحكام حجية الاسترشاد .. وهو ما أخذ به النظام القضائى الحديث عند النظر الى قضايا .. سبقت فى نظائرها أحكام من المحكمة العليا .

بل لقد تفوق الاسلام فى نظرته الى القاضى والقضاء الى مالا يمكن أن يرتقى اليه أى نظام معاصر .. أو قادم .. ومن ذلك .. ضرورة توافر حالات نفسية للقاضى قبل أن يجلس بين الناس .. ومنها على سبيل المثال قول الرسول العظيم

● « لا يقضين حاكم بين اثنين وهو غضبان » .

## أمثلة من أقضية رسول الله

و .. من الأحكام التى قررها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم باصداره أحكاما فى قضايا عرضت عليه فذكر ما يلى كمثال لما ذكرناه ..

● حكم الرسول بأولوية الخالة فى الحضانة عند وفاة الأم لأنها بديل عنها ، فحين اختصم اليه على بن أبى طالب واخوه جعفر فى حضانة بنت عمهما حمزة رضى الله عنهم جميعا فقال على بنت عمى أخذتها ..

وقال جعفر هى بنت عمى وخالتها تحتى ..

فقضى بها رسول الله لجعفر .. تكون الخالة بمثابة الأم.

● وحكم الرسول للأم بحضانة الصغير .. عن الأب المطلق فحين اختصمت عنده امرأة ومطلقها فى ابنهما الصغير ..

وقالت المرأة .. ان ابنى هذا كان بطنى له وعاء وثديى له سقاء وحجرى له حواء .. وان أباه طلقنى وأراد أن ينزعه منى ..

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أنت أحق به ما لم تتزوجى » .

● وحكم رسول الله .. بأن الولد للفراش ..

● وقضى صلى الله عليه وسلم بعدم قتل الحامل قصاصا حتى تضع حملها حماية لما فى الغيب من حمل .. ورعاية للانسانية .

● و .. ما أكثر الأحكام والقضايا المحمدية ..

***

ومن أجل هذا .. ترك لنا التاريخ الاسلامى .. روائع من القواعد القضائية .. ذكرها تلاميذ المدرسة المحمدية .. كدستور للتقاضى والقضاة عندما تولوا الحكم .. خلافة لرسول الله صلى الله عليه وسلم .. مضمنين اياها ما عرفوه .. وما تعلموه من النبى .

**فيقول القاضى شريح قال لى عمر « اقض بما استبان لك من كتاب الله فان لم تعلم كل كتاب الله فاقض بما استبان لك من قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فان لم تعلم كل أقضية رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقض بما استبان لك من أقضية أئمة المهتدين فان لم تعلم كل ما قضت به أئمة المهتدين فاجتهد رأيك واستشر أهل العلم والصلاح .. »** .

بل ان رسالة فى القضاء كتبها عمر .. هى موضع دراسة لكل القضاة .. فقد أرسل الى أبى موسى الأشعرى كتابا يوليه القضاء ويقول فيها :

***

**رسالة عمر فى القضاء ؟**

**اما بعد ..**

**فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم اذا ادلى اليك فانه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له وآس بين الناس فى مجلسك وفى وجهك وقضائك حتى لا يطمع شريف فى صنيعك ولا ييأس ضعيف فى عدلك ..**

**البينة على من ادعى .. واليمين على من انكر ..**

**والصلح جائز بين المسلمين .. الا صلحا أهل حراما .. أو حرم حلالا .. ومن ادعى حقا غائبا أو بنية فاضرب له أمدا ينتهى اليه فان بينه اعطيته بحقه ، وان اعجزه ذلك استحللت عليه القضية فان ذلك ابلغ فى العذر واجلى للعماء ..**

**ولا يمنعنك قضاء قضيت فيه اليوم فراجعت فيه رأيك فهديت فيه الى رشدك أن تراجع فيه الحق فان الحق قديم لا يبطله شىء ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل ..**

والمسلمون عدول بعضهم على بعض الا مجربا عليه بشهادة زور أو مجلودا فى حد ، أو ظنينا فى ولاء أو قرابة .. فان الله تعالى تولى من العباد السرائر وستر عليهم الحدود الا البينات والايمان .

ثم الفهم . الفهم . فيما أدلى اليك بما ورد عليك مما ليس فى القرآن ولا سنة ثم قايس بين الأمور عند ذلك واعرف الأمثال .

**واياك والغضب ..**

**والقلق والضجر ..**

**والتأذى بالناس ..**

**والتنكر عند الخصومة ..**

**فان القضاء فى مواطن الحق مما يوجب الله به الأجر ويحسن به الذكر فمن خلصت نيته فى الحق ولو على نفسه كفاه الله مابينه وبين الناس ومن تزين بما ليس فيه شانه الله فان الله لا يقبل من العباد الا ماكان خالصا لوجهه فما ظنك بثواب عند الله فى عاجل رزقه وخزائن رحمته والسلام عليك ورحمة الله .**

و .. الا تكفى هذه الجوانب لتمتلأ الدنيا .. عدلا .. ورحمة ومحبة ..؟!!..

و .. يصبح القضاء .. نورا .. يهدى الى طريق الحق .. طريق الله ..

و .. لينصرن الله من ينصره ..

## بقية مقال الاعجاز الطبى

**٧ ــ مياه افيان بفرنسا**

تبرىء النزلات المعوية المعدية الحادة والمزمنة وتضخم البروستاتا .

**٨ ــ مياه مندر بفرنسا**

تعالج الربو القصبى وأمراض الأذن والأنف والحنجرة والنزلات الشعبية الحادة والمزمنة .

**٩ ــ مياه اورياج بفرنسا**

**تشفى تضخم الطحال وتورم الكبد وأورام العقد الليمفاوية المتعدد وتداوى الروماتيزم والزهرى .**

**١٠ ــ ماء الحياة**

وماء الحياة فى اللغة العربية وعند الشعراء هو المنى لقول الشاعر :

احفظ منيك ما استطعت فانه
ماء الحياة يصب فى الأرحام

وقوله تعالى : **« ألم نخلقكم من ماء مهين » .**

**« ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين » .**

**وهكذا نرى أن القرآن الكريم قد سبق العصر والأوان وأعجز الأفهام الواعية والألباب المستنيرة بتحطيمه حواجز الغيب الماضية والحاضرة والمستقبلة ، وقد كان جلاؤه للحقائق العلمية اعجازا خاصا قد انفرد به القرآن الكريم وتميز على سائر رسالات السماء التى نزلت لهداية البشر فى كل زمان ومكان .**

**اللهم اجعل القرآن ربيع قلوبنا وشفاء نفوسنا واجعله بحق نبيك الكريم شاهدا لنا وليس شاهدا علينا .**

**ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم .**

# وأن ليس للإنسان إلا ما سعى

الدكتور زكى مشعل

**اللهم انك انت المنعم العزيز الوهاب نسألك وندعوك مخلصين ان تمن بعزتك وبرحمتك بتاييدك وعونك لنا ، وان تعيننا بحولك وقوتك الى ما يرضيك عنا ، وأن تزكى بفضلك نفوسنا ، وتصلح أفئدتنا ، وتبلغنا آمالنا ، انك على كل شىء قدير .**

**انه من المعلوم الثابت يقينا لنا أن المصطفى صلوات الحق وسلامه عليه قد اقام نظام الدعوة الاسلامية على العدل والانصاف الذى يقرر الحرية الشخصية للمسلم ذكرا كان أو انثى .**

**وحسبنا فى هذا المقام هذا الأثر النبوى الشريف ، يقول المصطفى عليه اكرم الصلوات والتسليم ( لا تكونوا امعة . تقولون ان أحسن الناس أحسنا وان ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا انفسكم أن أحسن الناس أن تحسنوا وان أساءوا فلا تظلموا ) . رواه الترمذى .**

**الشورى تحقق الخير :**

الا ان الاسلام الذى دعا الى حرية الفرد الشخصية دعا أيضا الى الحرية السياسية فأمر بالشورى . لأن المشاورة دائما تحقق الخير والفلاح ، وتربى المسلم على ادراك صحيح ووعى فكرى .

وحسبنا قول ربنا فى هذا المقام لرسولنا هذه الآية الكريمة : « **وشاورهم فى الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين** » سورة آل عمران .

وقوله تعالى : « **والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون** » سورة الشورى .

وان هذه الحرية السياسية تضمن ابدا وتكفل الدولة الاسلامية مستقبلا زاهرا فى سياستها ، فانه حينئذ يشترك قادة الراى وأصحاب الخبرة مع المفكرين فى نظام الدولة يكون رأى الجماعة اصلح واقوى واوصل الى المقصود والله من وراء ذلك محيط .

**فمن الثابت أن رسالة الاسلام رسالة عدالة دينية ودنيوية تحقق العدل بين أفراد المجتمع كله . فالكل خاضع أمام الوحى السماوى كتابا وسنة .**

**الدين قضى على الاحتكار والمحتكرين :**

ان قوام المجتمع السليم وعمرانه يتحقق بالعمل والنشاط والعلم واقامة المصانع والمنشآت واحياء الأرض وزراعتها . فان الأمم تقاس بمدى تقدمها علميا وعمليا .

فليعلم القراء الأعزاء أن الاسلام حبب الى نفوسنا الحركة والعمل ومضاعفة الانتاج ودعا الى العمل الدائب المتنوع الذى يحيا به الانسان حياة كريمة عزيزة .

يقول جل شأنه : « **وأن ليس للانسان الا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى وأن الى ربك المنتهى** » سورة النجم .

ولقد طبق المسلمون فى صدر الاسلام هذه القيم السامية حتى أصبح مجتمع الاسلام رائدا فى الانتاج ومضاعفته .

وشهد العالم كله شرقا وغربا صورة رائعة لهؤلاء المسلمين الأوائل مضاعفة الانتاج وازدهاره

فى شتى نواحى الحياة فضلا عن تحقيق هدايتهم الى صراط الله المستقيم صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض . فكانت نتيجة ذلك أن قضى ذلك الدين القيم على الاحتكار والمحتكرين فقام بين المسلمين وغيرهم روح المحبة والوئام . ولقد وعى هؤلاء المسلمون المصلحون الصالحون بفطنتهم وتفقههم معانى الذكر الحكيم فى كل ما أقدموا عليه فى سبل أنشطة الانتاج مستمسكين بحبل الله فى آى كتابه . فمن هذه الآيات قوله تعالى :

**« والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون »** سورة التوبة .

**أهمية العمل فى الاسلام**

**وانه من عناية الاسلام القصوى بزيادة الانتاج أن الله سبحانه أخبرنا فى كتابه العزيز بأن يسر لنا مجالات العمل والاستثمار لما فى الأرض من طاقات وهبات وثروات مختلفة فيقول تعالى : « هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور » سورة الملك .**

ومن كمال الاسلام وعزته أنه يربط بين عمل الدنيا وعبادة الله عز وجل فهو يدعو الناس الى الصلاة ثم يأمرهم عقبها مباشرة بالعودة الى ما كانوا فيه قبلها من مواطن العمل كل فى موقعه، وكلنا نسمع ونقرأ هذه الآية الحكيمة من سورة الجمعة : **« يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون . فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » .**

**منابع الكسب الطيب :**

واذا نظرنا الى السنة النبوية المطهرة فاننا نجد أنها وجهت الأبصار والبصائر الى المنابع الأساسية للكسب الطيب والانتاج العريض مما يؤدى الى مضاعفة الدخل الفردى والجماعى ، فيقول عليه السلام : **« تسعة أعشار الرزق فى التجارة » . ولقد حث الرسول العظيم على أن يمارس الانسان عمله بيده ليحصل على مرضاة ربه وثوابه فى الدارين . فيقول الصادق الأمين : ( ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن ياكل من عمل يده وان نبى الله داود كان ياكل من عمل يده ).**

ولقد نهى هذا الدين الحنيف عن تعطيل ما يمكن زراعته من الأرض أو تركها بدون زراعة ما دام ممكنا زراعتها أو استصلاحها فاما أن يزرعها الذى يستطيع واما أن يعطيها الى من يقدر على ذلك فهذا قول المعصوم صلوات ربنا عليه : ( من كانت له ارض فليزرعها أو ليمنحها أخاه )

واننا بحمد الله نهتدى فى هذه الأيام الى هدى نبينا فى استزراع ما يمكن زراعته من أرض بلدنا مصر المسلمة المستمسكة بشريعة الخالق دينا وعلما راجين العون والتأثير وحسن الحصاد الذى يعود بخيرات وافرة تزيد فى مضاعفة الانتاج والمستقبل الزاهر .

**عناية الاسلام بالصناعة**

وكذلك عنى الاسلام عناية فائقة بالصناعة والتصنيع فهذا مثلا قول الحق جلت قدرته : **« وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس »** من سورة الحديد فان كلمة « بأس شديد » هى اشارة الى الصناعة الحربية بكل معانيها . وان كلمة « منافع للناس » تشير الى توفير الخدمات لمصالح الأمة المختلفة .

وحسبنا كل عمران أيا كان موضعه ، فللحديد دخل فى اقامته واصلاحه وتحصينه .

وان هذه الصناعة القوية التى تكون لزاما لدى كل أمة هى بحق صناعة قديمة تناولها أكثر المصلحين حتى من الأنبياء المرسلين ، فها هو ذا كتاب ربنا الحكيم يحدثنا عن سيدنا داود عليه السلام ، فيقول من سورة الأنبياء : **« وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون » .**

**كما يقول سبحانه من سورة سبأ : « وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر فى السرد واعملوا صالحا انى بما تعملون بصير » .**

فمن ذلك يتبين لقرائنا الأعزاء أن خيرات الخالق سبحانه لا تحصى وأن الرسالات السماوية حضت بقوة على العمل الدءوب الذى كان من أروع مظاهره مستخلصا من الصناعة والزراعة والسعى المستمر فى جهاد الانسان على تحصيل معايشه بعرق وكد وكفاح لا يعرف الكسل أو الضعف أو الكلل . فقد زكى أكمل الأديان اسلاما ودينا ما دعت اليه الرسالات السماوية بمضاعفة وتنمية كل نشاط اقتصادى على أساس العمل الجاد النافع ومقاومة الاستغلال بكل صوره .

الا فليعلم القراء الأعزاء أن العمل من أجل زيادة الانتاج وتوفير مطالب الحياة غير مقصور على الرجل بل يشمل الانسان ذكرا وانثى ، فواجب كل أن يبذل جهده فيما يسره خالقه له ليفوز بمرضاة ربه وثوابه . فما أجل قرآننا اذ يحدثنا فى هذا من سورة آل عمران : **« فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض »** فصلواتك اللهم على رسلك العاملين وعلى من اهتدى بهديهم . **فاجعلنا من المهتدين المقتدين انك نعم المولى وخير** الناصرين .

# حديث هرقل ليس تاريخا قابلا للمناقشة

الدكتور ابراهيم هلال

**حديث هرقل الذى ذكرته كتب الحديث الصحيح والذى يدور حول كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو فيه هرقل الى الاسلام وموقف هرقل من هذا الكتاب الشريف ، وطلبه أبا سفيان واستفساره منه عن شأن النبى صلى الله عليه وسلم ـ ليس تاريخا يروى ـ كما ذهب الى ذلك البعض ، وجعلوه نصا تاريخيا يقبل المناقشة وليس حديثا نبويا . وجعلوا مصادره مراجع التاريخ الاسلامى : وليس كتب الحديث الشريف رغبة فى التشكيك فيه وفى ماكان من موقف هرقل ذلك الموقف الكريم ازاء كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه .**

وانما هو حديث شريف وله الأصالة فى هذا الجانب ، وجمهور علماء المسلمين وعلماء الحديث لا يعرفونه الا كذلك . وقد روته كتب الحديث الصحيحة وحققوا سنده ومتنه وأجمعوا على صحته .

**حديث شريف :**

**فقد أخرجه البخارى فى أول صحيحه فى أول كتاب ( بدء الوحى ) أول الجزء الأول . وأخرجه مسلم فى صحيحه فى كتاب الجهاد والسير ، (باب كتاب النبى صلى الله عليه وسلم الى هرقل يدعوه الى الاسلام ) .**

**كما أخرجه أيضا أبو داوود فى : ( الأدب ) ، والترمذى فى ( الاستئذان ) والنسائى فى ( التفسير ) .**

فهو على هذا حديث شريف وليس نصا تاريخيا ـ كما حلا للبعض أن يسميه ـ ولا يجوز لنا أن ننظر اليه الا كذلك .

وقد أورده البدر العينى أحد الشراح المتأخرين لصحيح البخارى فى كتابه ( عمدة القارى شرح صحيح البخارى ) بهذا الاسناد ، وأنا أقدم منه مختصرا يتمشى مع كتابة هذه العجالة :

**روى البخارى ومسلم فى اسناد متصل عن الزهرى عن عبد الله بن عباس أن أبا سفيان ابن حرب أخبره أن هرقل أرسل اليه فى ركب من قريش ، وكانوا تجارا بالشام فى المدة التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ماد فيها أبا سفيان وكفار قريش . فأتوه وهم بإيلياء (بيت المقدس) فدعاهم فى مجلسه وحوله عظماء**

**الروم . وسال ابا سفيان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال أبو سفيان : ثم كان أول ما سالنى عنه : أن قال : كيف نسبه فيكم ؟ قلت: هو فينا ذو نسب . قال : فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم ؟ . فقلت : بل ضعفاؤهم .**

قال : أيزيدون أم ينقصون ؟ قلت : بل يزيدون.

قال : ماذا يأمركم ؟

قلت : يقول : اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا ، واتركوا ما يقول آباؤكم .ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة .

وهكذا اثنا عشر سؤالا أجاب بها ابو سفيان على الصدق رغم أنه كان لا يزال على الشرك ، وعلق عليها هرقل بتعليقات يصدق بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دعوته ، وختما بقوله لأبى سفيان :

**« ولئن صح ما قلت فسيملك موضع قدمى هاتين . ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه . ولو أعلم انى أصل اليه لتجشمت لقاءه » .**

## شرفكم فى مبايعة هذا النبى :

ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه وقرأه فىهذا المجلس بحضور بطارقته وعظماء دولته ، وحينئذ علت أصواتهم وكثر لغطهم . ثم ارسل هرقل خطابا الى صاحبه بروما فى ذلك الوقت وكان كبير رجال الدين هناك يسأله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجابه بتصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم . فاطلع هرقل من مشرفة قصره بحمص ، وكان قد سار اليها من بيت المقدس راجعا الى القسطنطينية أو كما قال البعض . كان يشتو فى بلد ، ويصيف فى أخرى — ونادى شعبه : «**هل لكم فى الفلاح والرشد ، وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبى الذى أرسل يدعوكم الى الاسلام ؟ »**

## نهاية هرقل :

فحاصوا حيصة حمر الوحش الى الأبواب فوجدوها مغلقة . فناداهم ثانيا وقال : انى قلت مقالتى آنفا أختبر بها شدتكم على دينكم .. ويقول راوى الحديث : « وكان هذا آخر شأن هرقل». اى نهاية علم المسلمين به وبشخصه .

وهذا ما جاء فى كتب الحديث الصحيحة وتداوله العلماء وتدارسوه على أنه سنة نبوية وحديث شريف .

ولكن الذى لم يقرأ كتب السنة هذه ،ولم ينظر الى ذلك الحديث الا من الزاوية التاريخية . يسارع فينكر ذلك الحوار الذى دار بين هرقل وبين أبى سفيان وهو حوار طويل ، وهو فى موضعه من كتب الحديث : ( صحيح البخارى وغيره ) ، كما ينكر لقاء أبى سفيان بهرقل :

وفى الواقع فقد اشتهر أمر هذا اللقاء بين أبى سفيان وهرقل،وعلق عليه الكتاب الاسلاميون الى جانب اثبات كتب الحديث الشريف له. فنجد القاضى عبد الجبار الأسدى المغزلى يفرد له بابا فى كتابه : « **تثبيت دلائل النبوة الجزء الثانى ص ٥١١ — ٥١٧ »** .

## رأى العلماء فى كتاب النبى الى هرقل :

ومما قاله فى ذلك : « وجعل ملك الروم كتاب النبى صلى الله عليه وسلم بين يديه ، وراجع الفكر فيه ، وأدام المسألة عنه صلى الله عليه وسلم » فقدم عليه أمية بن ابى الصلت الثقفى وحكيم بن حزام القرشى ، فسألهما عنه ، فأخبراه بحاله ودعوته على نحو ما أخبر به ابو سفيان وأولئك النفر ، فقال لأمية ابن أبى الصلت : آآمنت به ؟ قال : لم أكن لأومن لنبى الا أن يكون من ثقيف ص ٥١٥ .

## رأى الجوزى فى ذلك :

**ويذكر لنا الامام ابو الفرج بن الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧ هـ فى كتابه ( الوفا باحوال المصطفى) أن قيصر حينما أتاه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دعا صاحب شرطته ، فقال له : قلب لى الشام ظهرا وبطنا حتى تاتينى برجل من قوم هذا النبى ، قال ابو سفيان : وكنت قد خرجت فى تجارة فهجم علينا صاحب شرطته فقال : انتم من قوم هذا الرجل الذى يزعم انه نبى؟ قلنا : نعم . فدعانا .... » جـ ٢ ص ٧٢٠ وما بعدها .**

**ونجد الامام احمد عبد الحليم بن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ هـ يسجل لنا هذا الموقف من هرقل الى جانب ايراده الحديث كاملا كما ورد فى البخارى وغيره مصححا له مبينا ان ذلك كان خبرا مستفيضا يتحدث به الناس فيقول : قال ابن**

اسحاق ، وقال ابن شهاب الزهرى : حدثنى أسقف النصارى فى زمان عبد الملك بن مروان زعم لى أنه أدرك ذلك من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر هرقل وعقله . قال : لما قدم عليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع دحية أخذه فجعله على خاصرته . ثم كتب الى رجل برومية ( روما ) كان يقرأ من العبرانية ما يقرأ يذكر له أمره ويصف له شأنه ، ويخبره ما جاء منه . قال فكتب اليه صاحب رومية أنه النبى الذى ننتظره لا شك فيه فاتبعه وصدقه ..

ثم يقول : وهذا حديث مشهور من حديث محمد ابن اسحق — وهو ذو علم وبصيرة بهذا الشأن ، حفظ مالا يحفظه غيره — قال ابن اسحق : واخذ هرقل كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعله فى قصبة من ذهب ، وامسكها عنده تعظيما له ، وهذه القصة مشهورة ذكرها أصحاب الصحاح .. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ ١ ص ٩٢ — ٩٣ . ثم يورد الحديث بما فيه من حوار هرقل وأبى سفيان .

وهكذا نجد المدققين من علماء الحديث ومن الكتاب فى هذا الجانب الاسلامى يهتمون بهذا اللقاء بين أبى سفيان وبين هرقل وسؤال هرقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤكدون صحته بناء على بحثهم ودقة تحريهم .

والذى يشكك فى هذا اللقاء بين أبى سفيان وبين هرقل بهذه المناسبة انما يشكك فيه اعتمادا على أن كتب التاريخ الروحية والاجنبية والتى كتبت عن هذه الفترة ، لم تذكر كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هرقل ، ولا لقاء هرقل بأبى سفيان ، أو دعوته قومه الى الاسلام ولا تحدثت عن هرقل من هذا الجانب . ولكن أمر هذا الكتب معروف ، فما كان لها أن تشهد لنبى الاسلام ، كما ان كتب التاريخ القديم لم تهتم بجانب الأنبياء على الاطلاق أو الجانب الدينى السماوى . فهذه المراجع لا يعتمد عليها فى هذا الجانب ولكن المحققين من المؤرخين ، وعلماء الحديث وكتاب المسلمين عموما اهتموا بذلك ومحصوه ، وكانوا أمناء فيما كتبوا على عادتهم فى تحرى الدقة فى السماع والبحث. وقد وجدناهم يتتبعون أمر هذا الكتاب .

## رأى ابن تيمية :

يقول ابن تيمية : « وقد أخبر غير واحد ان هذا الكتاب باق الى الآن عند ذرية هرقل فى ارفع صوان ، واعز مكان ، يتوارثونه كابرا عن كابر. وأخبر غير واحد أن هذا الكتاب باق الى الآن عند الفنس صاحب قشتالة ، وبلاد الأندلس يفتخرون به ، وهذا أمر مشهور » ص ٩٥ ، ٩٦ .

ثم يورد البدر العينى نقلا عن السهيلى فى روض الأنف تكملة لأخبار كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فيقول : « ان الملك المنصور قلاوون الألفى الصالحى ارسل سيف الدين طلح المنصورى الى ملك المغرب بهدية فأرسله ملك المغرب الى ملك الافرنج فى شفاعة فقبلها ، وقال له لا تحفنك بتحفة سنية ، فأخرج له صندوقا مصفحا من ذهب وفيه كتاب قد زالت أكثر حروفه . وقال له : هذا كتاب نبيكم الى جدى قيصر . فما زلنا نتوارثه الى الآن .. » عمدة القارى جـ ١ ص ٩٩ .

ومرد استبعاد مقابلة أبى سفيان لهرقل عند هؤلاء النافين لهذا اللقاء ، أنه لا يعقل ان يدور هذا الحوار بهذا الثناء على رسول الله صلى الله عليه وسلم من هرقل ، ويكون من موقفه منه ومن دعوته ما تقدم ، ثم يأتى بعد ذلك ، ويقف أمام الصحابة رضى الله عنهم فى تلك الحروب فى الشام والتى انتهت بمعركة اليرموك التى كان مصيرها هزيمة هرقل وهربه الى القسطنطينية من أمام المسلمين .

## رأى البدر العينى كمؤرخ :

**ولكن هذا الاستغراب ، وهذا الاستبعاد قد ازاله البدر العينى كمؤرخ دقيق واسع الباع فى هذا التحقيق التاريخى العظيم حيث كشف عن شخصية هرقل الحقيقية التى لا يمكن ان تتناقض أو تنتكس بعد ان اشرب قلبها حب الاسلام .**

قال البدر العينى : ( ثم اختلف الاخباريون : هل هرقل هو الذى حاربه المسلمون فى زمن أبى بكر وعمر رضى الله عنه أو ابنه ؟ . فقال بعضهم : هو اياه ، وقال بعضهم : هو ابنه . والذى اثبته فى تاريخى عن أهل التواريخ والاخبار ، أن هرقل الذى كتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قد هلك وملك بعده ابنه قيصر ، واسمه مورق ، وكان فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه ، ثم ملك بعده ابنه هرقل بن قيصر ، وكان فى خلافة عمر رضى الله عنه ، وعليه كان الفتح ، وهو المخرج من الشام ايام أبى عبيدة ، وخالد ابن الوليد ، رضى الله عنهما ، فاستقر بالقسطنطينية ) عمدة القارى ص ٩٩ جـ ١ .

= اقرب الى مضمونها ،وقد بينا ارتباط هذه الرسائل بعضها ببعض أثناء العرض .

(٦) انظر صفحة ١١٢ من رسائل ابن باجة .

(٧) من الباحثين من يرى أن أرسطو صاحب فلسفة حسية لانه مثل صاحب كتاب « الحس والمحسوس » وانه بالتالى يخالف أفلاطون صاحب الاتجاه المثالى فى تفسير الوجود ، والحقيقة أن كتابة أرسطو فى «الحس والمحسوس» وغيره من المصنفات التى تتحدث عن المحسوسات لا تعنى انه يقدر الواقع فى ذاته كحقيقة منفصلة عن الذات العارفة ، لان مادة الوجود عنده أصلا هى « الهيولى » وهى مادة لا متعينة أى متعلقة ، والمحسوس لديه يمثل حالة نقص تسعى الى الكمال بالتشبه بالموجود الأول وهو المحرك الاول الذى لا يتحرك ، أى أن الوجود الحقيقى هو المعقول وليس المحسوس الذى له وجود عينى كتلى ، وبالتالى فيكون الوجود لديه متعقلا مثل أفلاطون .

(٨) انظر كتاب « مقالات فى أصالة المفكر المسلم » بقلم دكتورة فوقية حسين محمود ، القاهرة ١٩٧٦ ( المقالتان : الثالثة والرابعة ) .

(٩) وهذا ما لم يتبينه كثير من الباحثين فى آراء ابن باجة، الأمر الذى أدى بهم الى اعتباره تابعا لليونانيين فى أفكاره .

(١٠) انظر تدبير المتوحد ص ٣٩ س ٨ .

(١١) نفس المرجع ص ٤٢ س ٢ ، ص ٤٦ س ٦

(١٢) نفس المرجع ص ٤٦ س ٥ .

(١٣) نفس المرجع ص ٤٣ س ١٨ ص ٤٤ س ١ .

(١٤) نفس المرجع ص ٣٧ س ٦ ، ٧ .

(١٥) نفس المرجع ص ٣٨ س ٥

(١٦) نفس المرجع السابق .

(١٧) نفس المرجع ص ٣٩ س ١٤ .

(١٨) نفس المرجع س ٨ .

(١٩) نفس المرجع س ٦ .

(٢٠) أشار الى « الجمهورية » و « فيدون » وغيرهما ، انظر المرجع السابق ص ٣٩ س ٨ .

(٢١) أشار الى « نيقوماخيا » و « البرهان » ، انظر المرجع السابق ص ٤٢ س ٢ ، ص ٤٦ س ٦ ، ص ٤٢ س ٥ ، وايضا السماع وشرح السابعة ، انظر « رسالته فى الأفعال الانسانية » ص ٤٨ س ١٢ .

(٢٢) انظر رسالته « فى الصور الرحانية » ص ٤٩ س ٧ ، س ١١ .

(٢٣) نفس المرجع السابق .

(٢٤) انظر مثلا رسالته « الوداع » ص ١١٥ الفقرة الاخيرة من الصفحة حيث يتحدث عن مفهوم « المحرك الاول» عند أرسطو ، وينتهى باعطاء هذا التعبير مفهوما آخر هو ذلك الذى يبدأ من الواقع ويكون فى مقدور الملاحظ أن يتبينه بصفة محسوسة أثناء استقراء وقائع الوجود الخارجى الحسى المحيط به أى أن ابن باجة يرفض بطريقة لبقة تلك الفروض المتخيلة التى تجعل من المعقول أصل الوجود وتقضى بحكم أنها أساس النسق المسبق الذى يجب أن ينطلق منه الباحث على امكانية دراسة الواقع كما هو ، دون فروض عقلية موجهة .

(٢٥) تدبير المتوحد ص ٣٧ .

(٢٦) نفس المرجع المبحث الثالث وهو القول فى الصور الروحانية ص ٤٩ ، ٥٠ .

(٢٧) نفس المرجع ص ٣٧ .

(٢٨) نفس المرجع السابق المبحث الثالث ص ٤٩ ، ٥٠ .

(٢٩) المرجع السابق ص ٣٧

(٣٠) المرجع السابق ص ٣٧ س ٢ .

(٣١) تدبير المتوحد ص ٣٧ س ٥ .

(٣٢) المرجع السابق ص ٣٨ س ١٢

★ ينطلق ابن باجة هنا من الآية القرآنية ( فاطر السموات والأرض ) فكلمة فاطر فى اللغة العربية تعنى خالق على غير مثال سابق .

(٣٣) انظر مثلا Le problème de lettre chez Anistate par Pierre Oubeuque, Paris 1972.

وايضا مقالتى « الكندى فيلسوف العرب الاول » و «الفارابى بين الخلق والابداع » وكتاب مقالات فى أصالة المفكر المسلم بقلم دكتورة فوقية حسين محمود القاهرة ١٩٧٦ .

(٣٤) رسالة الوداع ص ١٢٩ س ٦ ، ٧ .

(٣٥) تدبير المتوحد ص ٣٨ س ١٠ ، ١١ ، ١٢ .

(٣٦) نفس المرجع س ١٨

(٣٧) نفس المرجع ص ٣٧ س ٦

(٣٨) نفس المرجع س ٢ .

(٣٩) نفس المرجع .

(٤٠) نفس المرجع ص ٣٧ من س ٦ الى ٨ .

(٤١) تدبير المتوحد ص ٣٩ س ٤ .

(٤٢) نفس المرجع السابق س ٤ ، ٥ .

(٤٣) نفس المرجع السابق .

(٤٤) نفس المرجع السابق ص ٤٢ س ٩ .

# التصوف و الفلسفة

# الإسلامية

# الصوفية في إلهامهم

# محبة الموقنين

الأستاذ
حسن كامل الملطاوى

اقتبست عنوان هذا المقال من قول سيدى وشيخى الشيخ على عقل فيما نقلناه استماعا من الهامه الفورى حين قال رضى الله عنه :

أحبك يا ربى محبة موقن
ومن قوة الايمان أصبح أو أمسى

فؤادى قد أبعدت عن مشهد الورى
فطهر فى نجواك من ظلمه الرجس

اطوف على الأبواب قلبى موجع
وليس سوى رحماك للقلب من نطس

وأعدمنى فى الحب علمى بقدره
فليس غرامى فيه يدرك عن قيس

ولم أعشق الدنيا فتلك متابة
تهيىء للأخرى وفى فوتها عرسى

لقاؤك يا رحمن عيدى وعدتى
ونورك غيثى وهولى فى الورى أنسى

وكل رجائى أن أحبك صادقا
اذ الصدق فى الوجدان مرتبة القدس

ويعلمنا سيدى الشيخ على بالهامه الفورى المشرق فى الأبيات المتقدمة وفى غيرها كيف تكون محبة الصادقين من المؤمنين الموقنين الذين آثروا الله تعالى على ما سواه ، فلم يشغلهم عن محبته شاغل من شواغل الدنيا الفانية ، وكيف يشغلهم عن ربهم شىء يفنى وهو سبحانه خير وأبقى ، وكيف يدعون محبته سبحانه ويتلهون بغيره عنه .

## المحبة الخالصة :

ويكشف لنا سيدى الامام التسترى عن أثر المحبة الصادقة فيقول رضى الله عنه :

النيران أربعة : نار الشهوة ، ونار الشقاوة ، ونار القطيعة ، ونار المحبة ، ويستطرد رضى الله عنه قائلا : فنار الشهوة تحرق الطاعات ، ونار الشقاوة تحرق التوحيد ، ونار القطيعة تحرق القلوب ، ونار المحبة تحرق النيران كلها .

وقد ألف سيدى الامام الأكبر فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود طيب الله ثراه ونور مرقده كتابا قيما عن سيدى الامام سهل رضى الله عنه ، وحكى لنا فى ذلك الكتاب أن سيدى الامام على ابن الحسين رضى الله عنهما دخل مغارة مع أصحاب له فرأى امرأة فى المغارة وحدها ، فقال لها : من أنت ؟ قالت : أمة من اماء الله ، اليك عنى ، لا يذهب الحب ، فقال لها رضى الله عنه : وما الحب ؟ فقالت : أخفى من أن يرى وأبين من أن يخفى ، كمونه فى الحشا ككمون النار فى الحجر ، ان قدحته أورى ، وان تركته توارى ، ثم انشأت تقول :

ان المحبين فى شغل لسيدهم
كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا

وقد قيل لسيدى الامام سهل : أى شىء يفعل الله بعبده اذا أحبه ؟ فقال رضى الله عنه : يلهمه الاستغفار عند التقصير ، والشكر له عند

النعمة . ومن روائع ما قال سيدى الامام سهل قوله قدس الله سره :

**« قال الله لآدم : يا آدم ، انى أنا الله لا اله الا أنا ، فمن رجا غير فضلى ، وخاف غير عدلى لم يعرفنى ، يا آدم : ان لى صفوة وضنائن ، وخيرة من عبادى ، أسكنتهم صلبك ، بعينى من بين خلقى ، أعزهم بعزى ، وأقربهم من وصلى ، وامنحهم كرامتى ، وأبيح لهم فضلى ، واجعل قلوبهم خزائن كتبى ، وأسترهم برحمتى ، وأجعلهم أمانا بين ظهرانى عبادى ، فبهم امطر السماء ، وبهم أنبت الأرض ، وبهم أصرف البلاء ، وهم أوليائى واحبائى .**

درجاتهم عالية ، ومقاماتهم رفيعة ، وهممهم بى متعلقة ، صحت عزائمهم ، ودامت فى ملكوت عزى فكرتهم ، فارتهنت قلوبهم بذكرى ، فسقيتهم بكأس الأنس صرف محبتى ، فطال شوقهم الى لقائى ، وانى اليهم لأشد شوقا .

يا آدم ، من طلبنى من خلقى وجدنى ، ومن طلب غيرى لم يجدنى ، فطوبى يا آدم لهم ثم طوبى لهم ، ثم طوبى لهم وحسن مآب ، يا آدم : هم الذين اذا نظرت اليهم هان على غفران ذنوب المذنبين لكرامتهم على » .

## النصح للمريدين

**وكان سيدى الامام سهل التسترى رضى الله عنه يقول فى نصحه للمريدين : الزموا قلوبكم نحن مخلوقون وخالقنا معنا ، ولا تملوا من اعمالكم فان الله شاهدكم حيثما كنتم ، وانزلوا به حاجاتكم ، وموتوا على بابه ، نحن جهال وعالمنا معنا ، ونحن ضعفاء ومقوينا معنا ، ونحن عاجزون وقادرنا معنا ، فان من لزمها كان الهواء والفضاء والأرض والسماء عنده سواء » .**

ومن أقواله رضى الله عنه : ليس من عمل بطاعة الله صار حبيب الله ، ولكن من اجتنب ما نهى عنه الله صار حبيب الله ، ولا يجتنب الآثام الا صديق مقرب . ويعقب رضى الله عنه على قوله تعالى : **« ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون »** فيقول طيب الله ثراه : أضافهم الى نفسه وحلاهم بحلية الصلاح ، معناه لا يصلح لى الا ما كان خالصا لى لا يكون لغيرى فيه أثر ، وهم الذين أصلحوا سريرتهم مع الله تعالى وانقطعوا بالكلية عن جميع ما دونه .

ومهما كتم المحبون محبتهم لله عز وجل فان أثر المحبة يظهر عليهم لأن محبة الله غلابة ، ويقول فى ذلك سيدى الامام أبو على بن الكاتب رضى الله عنه : روائح نسيم المحبة تفوح من المحبين وان كتموها ، وتظهر عليهم دلائلها وان أخفوها ، وتدل عليهم وان ستروها .

ويقول فى ذلك سيدى الشيخ النبهانى رضى الله عنه :

أضرم الوجد ناره بحشاهم
ولثقل الغرام ناحوا وناءوا

لا تسل وصف حبهم فهو سر
بسوى الذوق ماله افشاء

أما سيدى وشيخى الشيخ على عقل فقد نقلنا عنه من الهامه الفورى قوله نور الله مرقده وقدس سره :

لا تظنوا قلبى ينام من الحب
ولكن تنام لى عينان

ساهم الحب مهجتى فرآها
سكرت فى الهدى وحسن المعانى

لم أكن أظهر الغرام ولكن
قد اذاعت خافى الهوى أجفانى

خليانى أبكى من الأجفان
فحبيبى وحقه ما جفانى

وبنور اليقين شاهدت ربى
وبحسن التقى صفت أذهانى

ان تكلمت فالاله مرادى
أو تحدثت فالهدى فى لسانى

كلما قلت يا الهى شربا
أجد البحر زائد الفيضان

واذا ما اليه مدت يمينى
فالينا مدت لربى يدان

ونقلنا عنه فى القصيدة ذاتها قوله رضى الله عنه :

ربنا اننا اليك التجانا
وقصدنا حماك كل زمان

ان للحب بهجة وجمالا
وكمالا فى كل قلب دان

وفؤادى لما تعلق بالله
ترقى الى أعز بيان

لازم الله باليقين ترقى
وتلقى موارد الاحسان

لو تـراه والحـب فيـه كمـين
فيـه عينـان بالهـدى تجريان

وكم وكم سمعنا منه وكتبنا عنه ، وكم حرك الساكن فينا وهز الوجدان منا وشهدنا بالهامه السامى الى الملكوت الأسنى حيث يسعد المؤمن السعادة الحقة فينعم فى دنيـاه ، بجنة المعرفة التى تنتهى به فى أخراه الى الجنة الثانيـة الدائمة وهى جنة الزخرفة ، مصداقا لقوله فى سورة هود **« وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيهـا ما دامت السموات والأرض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ »** .

ونقلنا من الهام سيدى الشيخ على عقل قوله رضى الله عنه :

انـــا صـــابر الا علـى
بعـدى فمـا للصبر مركب

قولـوا قبلنـاكم فهـذا
فى الحيــاة الخلـد يكتب

ويقول سيدى الامام سمنون المحب رضى الله عنه فى هـذا المقام :

أمسى بخدى للدمــوع رسـوم
أسفا عليك وفى الفـؤاد كلـوم

والصـبر يحسن فى المواطن كلها
الا عليـك فانــه مذمــوم

وهو القائل كذلك فى دوام محبته لله تعالى :

وكان فـؤادى خاليـا قبل حبكم
وكان بذكر الخـلق يلهـو ويمرح

فلمـا دعا قلبى هـواك أجابه
فلست أراه عن فنـائك يبرح

رميت ببين منـك ان كنت كاذبـا
وان كنت فى الدنيا بغـيرك افرح

فانشئت واصلنىوان شئت لاتصل
فلست أرى قلبى لغـيرك يصلح

**الاخلاص لله :**

**ومن علامات محبة المؤمنين لله تعالى ان يحب المؤمن ما يحب الله تعالى فى عباده ويكره ما يكره سبحانه فى عباده . ويقول سيدى الامام الزجاجى رضى الله عنه : سالت الامام الجنيد ــ رضى الله عنه ــ عن المحبة ، قال : تريد الاشارة ؟ قلت : لا ، قال : تريد الدعوى ؟ قلت : لا ، قال : فما تريد ؟ قلت : عين المحبة ، فقال : ان تحب ما يحب الله تعالى فى عباده ، وتكره ما يكره الله فى عبـاده .**

ويقول سـيدى الامام أبو الحسين النورى رضى الله عنه فى ابتعاده عما يكرهه الله سبحانه وفى الرضا بما يقدره الله فى شـأنه ولو خالف ما كان يريده لعلم الله بمصلحته :

وكم رمت أمرا خرت لى فى انصرافه
فلا زلت بى منى أبـر وأرحمـا

عـزمت علـى الا احس بخـاطر
على القـلب الا كنت أنت المقدما

والا ترانى عنــدما قد كرهتــه
لأنك فى قـلبى كبـيرا معظمـا

( خرت بفتح التاء ــ كرهته بفتح التاء )

وقد سألوا سيدى الامام النورى عن الفقير الصادق فأجابهم رضى الله عنه :

هو الذى لا يتهم الله تعـالى فى الأسـباب ، ويسكن اليه فى كل حال .

ويقول سيدى الامام الجنيد ــ قدس الله سره ــ فى الرضا بما يجرى به قضاء الله اجلالا لله تعالى وفناء فى محبته سبحانه :

| | |
|---|---|
| أجل ما منك يبـدو | لأنـه عنـك جـلا |
| وأنت يا أنس قلبـى | أجـل من أن تجـلا |
| أفنيتنى عن جميـعى | فكيف أرعـى المحـلا |

ويفخر سيدى وشيخى الشيخ على عقل بحبه لله عز وجل ويبين لنا أنه لا يشكو مما قضاه الله سبحانه فيقول فيما كتبناه عنه من الهامه الفورى طيب الله ثراه وأعلى قدره .

قيـل فاخـر بأى أصـل تـراه
قلت فخـرى بأننـى أهـواه

حب النـاس فى الجدود ولـكن
حــب المـؤمن المحـب اللـه

رب رفقـا بمن أتـاك ضـعيفا
حامـلا ثقـله كثـيرا اذاه

ان علمتــم أن الالــه كـريم
أتــراه يــرد من نــاداه

أنا باك ولسـت يوما بشـاك
كيف أشـكو والقلب حل حمـاه

ويعلمنا سـيدى الامام عبد القــادر الجيلانى التسليم المطلق لله عز وجل فيقول رضى الله عنه:

لا الأمر أمرى ولا التدبير تدبيرى
ولا الأمور التى تجرى بتقديرى
لى خالق رازق ما شاء يفعل بى
احاط بى علمه من قبل تصويرى

وكان امام طريقتنا الأكبر سيدى الحاج محمد أبو خليل نور الله مرقده وقدس سره يقول : كل ما جاء من المحبوب محبوب . ومما تقدم نرى أن سادتنا الصوفية تحلوا بما أخذوه عن مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد قال أنس ابن مالك رضى الله عنه : خدمته صلى الله عليه وسلم عشر سنين ، فما قال لشىء فعلته لم فعلته، ولا لشىء تركته لم تركته ، بلكان يقول : ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن . ويقول فى هذا المقام سيدى الامام الشافعى رضى الله عنه مخاطبا ربه عز وجل :

وما شئت كان وان لم أشأ
وما شئت ان لم تشأ لم يكن
خلقت العباد على ما علمت
ففى العلم يجرى الفتى والمسن
على ذا مننت وهذا خذلت
وهذا أعنت وذا لم تعن
فمنهم شقى ومنهم سعيد
ومنهم قبيح ومنهم حسن

ويستمسك سيدى وشيخى الشيخ على عقل فى أوقاته كلها بربه تعالى محبة فيه سبحانه فيقول طيب الله ثراه فى الهامه الفورى :

توجهنا لرب العالمينا
وأصبحنا به متمسكينا
وأمسينا وآيات التجلى
كستنا من محبته اليقينا

ويبين لنا أثر تلك المحبة فيقول :

دخلنا روضة قوما حيارى
تجلى سره الأعلى علينا
آلان القطف حتى أن قطفنا
ثمار الحب عدنا قاطفينا
وعزت دانيات مائلات
فنلنا من تمايلها الشجونا
سكرنا لا بخمر يد ولكن
بعلم الله مولانا سقينا
ورب العرش انى مستريح
بحب الله دون العالمينا
صدقناه فنلنا كل خير
ولا يرضى الاله الكاذبينا

وكتبنا عنه مرة أخرى قوله رضى الله عنه :

قد شربنا من حبه فسكرنا
وعرفنا من أين نأتى الجوارا
ودخلنا دار الكرامة نروى
بيقين الهدى وكنا حيارى
نتحلى بالعلم فى كل ناد
ونرى بالتقى علينا ازارا
فقلوب مثل الكواكب فينا
تظهر النور فهو لا يتوارى

**وفى مناسبة ما قاله سيدى الشيخ على عقل : قد شربنا من حبه فسكرنا ، يقول سيدى الامام أبو حفص النيسابورى رضى الله عنه : من تجرع كأس الشوق يهيم هياما لا يفيق الا عند المشاهدة واللقاء . وتقول السيدة رابعة العدوية رضى الله عنها : المحب لا يسكن حنينه وأنينه حتى يسكن مع محبوبه . أما عن يقين الهدى الذى تكلم عنه سيدى الشيخ على فى البيت الثانى ، فيقول فيه سيدى الامام أحمد بن عاصم الأنطاكى رضى الله عنه : اليقين نور يجعله الله فى قلب العبد حتى يشاهد به أمور آخرته ، ويخرق بقوته كل حجاب بينه وبين ما فى الآخرة حتى يطالع تلك الأمور كالمشاهد لها .**

ويقول سيدى الامام عبد الله الأنطاكى رضى الله عنه : لا تغتم الا من شىء يضرك غدا ، ولا تفرح بشىء الا بشىء يسرك غدا . وهو القائل كذلك : ان استطعت الا يسبقك احد الى مولاك فافعل ، ولا تؤثر على مولاك شيئا . ويقول السادة الصوفية فى تعريف التصوف : هو ايثار الله على ما سواه طلبا لرضاه . ويعلمنا سيدى الامام الجنيد رضى الله عنه أن نرد الفضل الى الله تعالى فيما نوفق اليه من الأعمال الصالحة التى تقربنا الى الله تعالى فيقول مناجيا ربه عز وجل : يا ذاكر الذاكرين بما به ذكروه ، وبادىء العارفين بما به عرفوه ، ويا موفق العابدين لصالح ما عملوه ، منذا الذى يشفع عنك الا باذنك ؟ ومنذا الذى يذكرك الا بفضلك ؟ ويعرف سيدى الامام الجنيد التصوف بتعريف رائع فيقول رضى الله عنه : التصوف هو صفاء المعاملة مع الله تعالى .

## ثناء الأئمة :

ويقول سيدى الامام سهل التسترى رضى الله عنه : ما طلعت شمس ولا غربت على احد على وجه الأرض الا وهم جهال بالله ، الا من يؤثر الله على نفسه وزوجه ودنياه وآخرته . وسئل

سيدى الامام محمد بن الفضل : ما ثمرة الشكر ؟ فقال : الحب لله والخوف منه . ويقول سيدى الامام محمد بن على الترمذى رضى الله عنه : حقيقة محبة الله دوام الأنس بذكره . وهو القائل كذلك : اجعل مراقبتك لمن لا يغيب عن نظره اليك ، واجعل شكرك لمن لا تنقطع نعمه عنك ، واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه .

**ومما قال سيدى الامام ابو سعيد الخراز رضى الله عنه : ان الله تعالى عجل لأرواح أوليائه التلذذ بذكره ، والوصول الى قربه .. لهم لسانان : لسان فى الباطن يعرفهم صنع الصانع فى المصنوع ، ولسان فى الظاهر يعلمهم علم المخلوقين ، فلسان الظاهر يكلم أجسامهم ،** ولسان الباطن يناجى أرواحهم . ويقول سيدى الامام على بن سهل الأصبهانى رضى الله عنه : الغافلون يعيشون فى حلم الله ، والذاكرون يعيشون فى رحمة الله ، والعارفون يعيشون فى لطف الله ، والصادقون يعيشون فى قرب الله ، والمحبون يعيشون فى الأنس بالله والشوق اليه . وأود أن أنبه القارىء العزيز الى أن المقصود بقرب الله هو قرب الاكرام وليس قرب المكان . وقرب الاكرام هو الذى يقول فيه سبحانه ( **ان أكرمكم عند الله اتقاكم** ) كما يقول فيه عز وجل ( **أن رحمة الله قريب من المحسنين** ) وعلى قدر درجة التقوى يكون قرب الاكرام ولذلك جاءت الآية بأفعل التفضيل — أكرم ، واتقى . أى الأكرم هو الأتقى فالأتقى فالأتقى ، فهم درجات عند الله تعالى ، ويفضل سبحانه بعضهم على بعض فى الاكرام بحسب درجاتهم فى التقوى .

ويقول سيدى الامام ابو العباس بن مسروق الطوسى رضى الله عنه : شجرة المعرفة تسقى بماء الفكرة ، وشجرة الغفلة تسقى بماء الجهل ، وشجرة التوبة تسقى بماء الندامة ، وشجرة المحبة تسقى بماء الموافقة والمراقبة والايثار .

ويقول سيدى الامام بنان بن محمد الحمال رضى الله عنه : ليس بمتحقق فى الحب من راقب أوقاته ، أو تحمل فى كتمان حبه ، حتى ينهتك فيه ، فيفتضح ويخلع العذار ، ولا يبالى عما يرد من جهة محبوبه أو بسببه ، ويتلذذ بالبلاء فى الحب ، كما يتلذذ الأغيار بأسباب النعم ، وأنشد على اثر قوله :

لحانى العاذلون فقلت مهلا
فانى لا أرى فى الحب عارا

وقالوا قد خلعت فقلت لسنا
بأول خالع خلع العذارا

ويقول سيدى وشيخى الشيخ على عقل فى عدم المبالاة بملامة اللائمين فى الهامه الفورى نور الله مرقده :

اعذرونى أو اعذلونى فانى
لست أخشى الملام من حيث كانا

انما اللوم فى المحبة عندى
لا يزيد المحب الا افتتانا

جرب الحب مثلما جرب العاشق
تلق الملام يذكى هوانا

قد رضينا بالله لا بسواه
ما لقينا لما رضينا هوانا

اننا ملكه وموعدنا الحشر
فهل عنه لحظة نتوانى

نجتلى ذكره ونرتاح فيه
فانتهانا فى الذكر منه ابتدانا

نتنادى الى اليقين هلموا
وبهذا لربنا نتدانى

اعرف الله ثم مل عن سواه
كان عرفان غيره كفرانا

وتزود من المحبة بالتقوى
ولازم بقلبك الرحمانا

وقد قال طيب الله فى القصيدة ذاتها :

لا تحارب بالعذل قلب محب
عالج الشوق عمره ولهانا

وتلطف به فقد حكم الشوق
عليه فلن يفيق حنانا

ادمعى الزاخرات لم تطف شوقى
قد ثوى الشوق بالحشا بركانا

انا لو أشرب البحار جميعا
لم ازل فى محبتى ظمآنا

لست أروى الا بلقياك يا رب
فهذا اللقاء أسمى رجانا

**الا رضى الله عن الأولياء المحبين الذين تبينا بكلامهم مدى تخلفنا عن اقدامهم ونساله تعالى ان يذيقنا من شراب الحب بعض ما ذاقوه فتعلو همتنا فى طاعة الله وتهيم ارواحنا فى حبه ، وتانس به فى ساحة قدسه ، وتستوحش مما سواه ، فلا يشغلها عنه شاغل ، ولا يحجبها عنه حاجب ، فتحيا بالطاعة فى الله وبالله حتى تصير بعونه راضية مرضية فيخاطبها سبحانه فى الوقت المعلوم ( ارجعى الى ربك راضية مرضية . فادخلى فى عبادى . وادخلى جنتى ) آمين .**

# الدعوة و

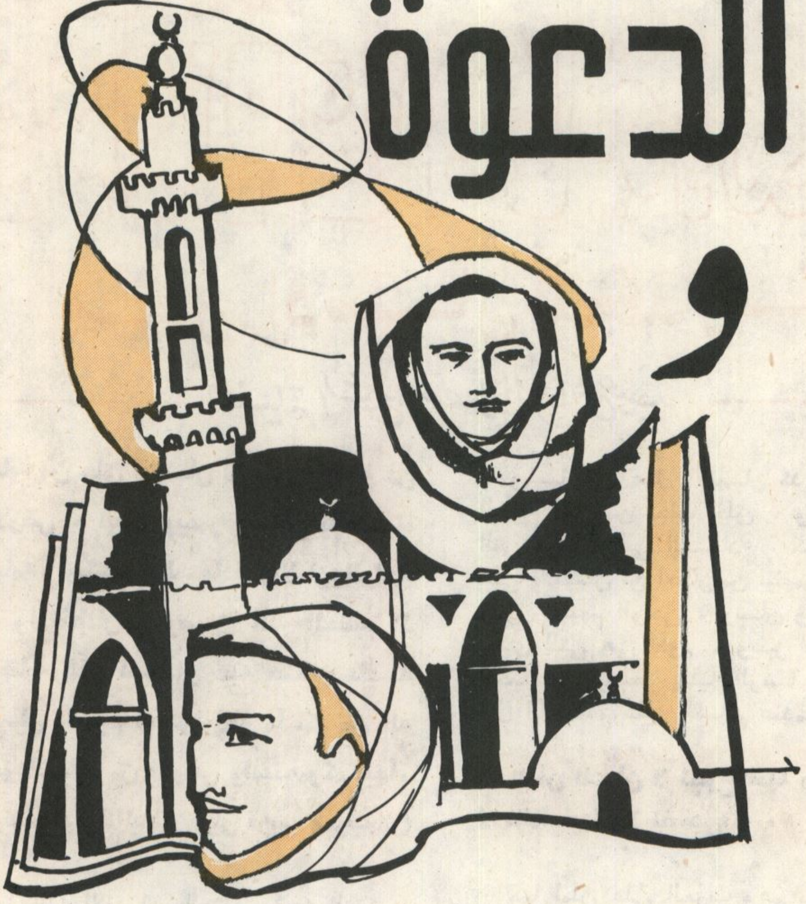

# الشباب

# المسجد ودوره فى الوقاية والعلاج من إدمان المخدرات

## فضيلة الشيخ منصور الرفاعى عبيد

**ان الغاية من خلق الانسان ان يكون خليفة عن الله فى الأرض . ليبنى ويعمر ويرتقى بالحياة فتزدهر أيامه . ويشعر بالسعادة والأمان والراحة والسكون والاطمئنان : وصدق الله العظيم اذ يقول فى كتابه على لسان نبيه صالح عليه السلام « قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره . هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها . فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربى قريب مجيب »(١)**

ولقد ميز الله الانسان بالعقل ومنحه التفكير . وعلمه البيان ليعبر عن مكنون نفسه ويتخاطب مع بنى جنسه . فيتم التفاهم على أساس العقل والتخاطب بالنطق عن طريق اللسان . وصدق الله العظيم اذ يقول : **« الرحمن . علم القرآن . خلق الانسان . علمه البيان »(٢)** . .

وصدق من قال :

ان الكلام لفى الفؤاد وانما
جعل اللسان على الفؤاد دليلا

(١) الآية ٦١ من سورة هود .
(٢) الآيات الأولى من سورة الرحمن .

ولما كان عقل الانسان قد يقصر عن ادراك الغاية التى من أجلها خلق . ويضل عن الطريق التى توصله الى السعادة : كان من رحمة الله ببنى الانسان أن اختار من بينهم رسلا بعثهم فيهم وأنزل عليهم الوحى . وشأن وحى السماء . أن يهدى للتى هى أقوم . وينير للانسان جوانب الحياة . ويضفى عليه الرضا والسكينة . وقد قال الله لآدم عليه السلام عندما خلقه :

**« ان لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى . وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى(٣) .**

كما امتن على العرب وهم سدنة بيته الحرام وحراسه — وهو أول بيت وضع لعبادة الله فى الأرض — فقال سبحانه **« فليعبدوا رب هذا البيت . الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف »(٤)** . . فاذا كان الله سبحانه قد ضمن لآدم وذريته من بعده الحياة الطيبة المملؤة برغد العيش ان هم استقاموا على أمر الله وطاعته . والتزموا بمنهج الأنبياء ووحى السماء . على ما سبق ذكره من الآيات وما يقوله كذلك فى سورة الجن **« وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا(٥) »** وفى مقابل هذا . اذا

(٣) الآيتان ١١٨ ، ١١٩ من سورة طه .
(٤) الآيتان آخر سورة قريش .
(٥) الآية ١٦ من سورة الجن .

انحرف الانسان وضل . واستمع لوسوسة الشيطان . فخالف أمر ربه وانقاد لهواه فانه يعيش في الحياة الدنيا لا يشعر بالأمن ولا السعادة . فتراه جائعا لا يشبع نهما لايقنع. خائفا لا يأمن . وأما فى الآخرة فهو المطرود من رحمة ربه المحروم من جنته وقربه . يقول الله تعالى : **« ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض . ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون »(١) .**

**مهمة كل نبى**

## مهمة الرسل :

**ومهمة كل نبى أن يجمع الناس على كلمة الحق ويدعوهم الى عبادة الله . ويؤلف بينهم على مبدأ التعاون . لأن الانسان لو عاش لنفسه فقط عاش كئيبا موحشا بين بنى جنسه . ومن هنا كانت رسالة الأنبياء مطابقة وموافقة لفطرة الانسان التى خلق عليها « فطرة الله التى فطر الناس عليها » ..**

**فكان كل نبى يجمع قومه فى مكان معين يذكرهم بالله وآياته . ويتلو عليهم وحى السماء وتوجيهاته ــ هذا المكان له فى نفوس أتباع الأنبياء قدسية ورهبة . فلا يدخله الداخل الا طاهرا وباطنا . بحيث يلتقى مع اخوانه على صفاء قلب . وطهارة نفس يسمع ما يتلى عليه فى هذا المكان فيتلقاه بقلب واع وأذن مفتوحة لعلمه أن ما يذكره به النبى أو يتلوه عليه فانما هو من عند الله . ولقد ذكر ربنا فى القرآن الكريم أنه ضمن هذه الأماكن المقدسة المخصصة لعبادته من لهو العابثين وعار المستهترين فقال سبحانه « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا »(٢)** . ذلك لأن هذه الأماكن لها رسالة ضخمة فى المجتمع توجيها وارشادا ودفعا لعجلة الحياة نحو التقدم والسمو فضلا عن كونها المكان المقدس لعبادة الله وحده .. ومن هذا الدور التى عظمها القرآن :

(١) الآية ٩٦ من سورة الأعراف .
(٢) الآية ٤ من سورة الحج .

## المسجد : ــ

الذى هو سفينة نجاة للبشرية ان التزمت بهديه وسارت على منهاجه وصلت الى شاطىء الأمان . واستقرت على بر الاطمئنان .

## رسالة المسجد :

ورسالة المسجد من طبيعتها أنها توجد الالتحام بين الفرد والمجتمع . فهو دار عطاء يلقن العلم . الذى يهذب النفس . ويصقل الروح. ويرقق الوجدان . ويدفع الى العمل ويحث على اجادته : وما الحضارة التى تعيش الانسانية اليوم فى ظلها . وتحيا فى رحابها الا ثمرة من نتاج عقول العلماء الذين تربوا على مائدة الفكر النظيف الذى يقدم فى دور العبادة وفى مقدمتها المسجد . الذى كان وما زال بدء الانطلاق للحركة العلمية . فهو فضلا عن كونه دار عبادة. فهو كذلك معهد علم . وجامعة فكرية فتحت أبوابها لجميع العلوم فى أى لون وفى أى فكر ما دام من ورائه رقى الانسانية واسعاد البشرية ففى رحاب المسجد دوى العلم وانبثقت ثورات فكرية علمية غيرت ملامح التفكير البشرى . ودوت صيحات نفذت بعمقها الى جميع العقول. ولم يكن المسجد فى يوم من الأيام مكان ترهب أو انعزال عن ركب الحياة أو دعا الى العكوف على دراسة لون معين . أو أمر رواده أن يغلقوا فكرهم عن بقية العلوم ..

**فالحقيقة التاريخية تؤكد أن المسجد اتسعت رحابه لدراسة كل فكر . والبحث فى كل علم . ذلك لأن العلم مفجر لطاقات الانسان وموجه الى الخير والفضيلة التى تكون سببا فى ثواب الله الذى يناله الانسان فى الدنيا والآخرة . قال الله تعالى : « الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون »(٣) .**

## المسجد أقوى أجهزة الاعلام وأشدها نفاذا الى القلب : ــ

**ورغم تعدد أجهزة الاعلام فى عصرنا الحديث ما بين مسموعة ومرئية ومقروءة . ولكل جمهور يعشقها ويألفها لما يبذل فى سبيل تطويرها من**

(٣) الآية ٨٢ من سورة الأنعام .

**جهود فنية وأموال طائلة تضمن لها الاستمرار والاضطراد مع دقة التخطيط لجذب الأنظار مع كل هذا فان صوت المسجد ما زال يحتل المكانة الأسمى فى نفوس الناس وجهازه الاعلامى من اخطر الأجهـزة التى تؤثر فى المجتمعات بحيث** تتضاءل أمامها جميـع الأجهزة الاعلامية . لأن صوته يمثل صوت الحق والسلام والدعوة الى الخدمة فى مجالات الحياة المختلفة . مع احساس السـامع لمـا يلقى فى المسـجد من عظـات وتوجيهات بالراحة النفسية التى تملأ جوانحه . وتدفعه الى الاستجابة لداعى الحق . والمسجد يواكب الحياة ويتفاعل معها ، ويعـالج المشاكل الاجتماعية ويقدم الحلول العاجلة لها كما يقـدم الدواء الناجع لعلل المجتمع وأمراضه المختلفة .

**الا وان** من أخطر الأمراض الاجتماعية التى انتشرت فى المجتمعات وأقبل عليها بعض الناس « **المخدرات** » التى هى : سموم فتاكة تقتـل الروح الايجابية فى الفرد وتجعله منزويا منعزلا يموت ببطء ويشرد أسرته نظير ما يتعاطاه من المخدرات التى لم ترد فى لسان العرب . ولم تذكر فى أشعارهم . ولم يتداولوها فى أدبهم كما هو الحال فى الخمر : وانما دخلت الى العالم العـربى على أيدى التتـار وكان القصـد من استخدامها .. كسر شوكة الشعوب . وتقويض كيانها ..

**ولمـا كان لتعاطى المخدرات من آثار ضارة على صحة الانسان . وتؤثر فى انتاجه العملى بالتالى فيضعف برنامج التنمية الاجتماعية وفوق كل هذا ما يعود على أسرة المتعاطى لهذه السموم من أضرار لا حد لها . فان الشارع الحكيم قد حرمها لقوله سبحانه : « ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة »(١) .**

**وكان للمسجد الدور البناء فى تنوير الفكر . وايقاظ الناس ، وحثهم على الابتعـاد عن هذه الأشياء التى تفسد المزاج ، وتهلك البـدن ، وتضيع المـال . وارتفع صوت العلماء من على منابر المساجد يندّدون بهذا اللون من التعاطى ويبينون حكم الله فيه وكان فى مقدمة هؤلاء شيخ الاسلام ابن تيمية فى كتابه : «السياسة الشرعية».**

( ان الحشيشة حرام يحد متناولها كما يحـد شارب الخمر . وهى أخبث من الخمر من جهة أنها تفسد العقل وتفتك بالبدن . وكذلك فانها تفسد المزاج حتى يصيـر فى الرجل تخنث وغير ذلك من الفساد . وانها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة ) .

كما تكلم الامام ابن القيم فى كتابه «زاد المعاد» فقال : ( ان الخمر يدخل فيها كل مسكر . مائعا كان أو جامدا . عصيرا كان أو مطبوخا . فيدخل فيها لقمة الفسق والفجور ويعنى بها «الحشيشة» لأن هذه الأشياء كلها خمر لنص رسـول الله صلى الله عليه وسلم الصـحيح الصريح الذى لا مطعن فى سنده ولا اجمال فى متنه اذ صح عنه قوله « **كل مسكر خمر** » كما صح عن أصحابه رضى الله عنهم الذين هم أعلم الصحابة بخطابه ومراده « أن الخمر ما خامر العقل » على أنه لو لم يتناول لفظه صلى الله عليه وسلم كل مسكر . لكان القياس الصحيح الصريح الذى اسـتوى فيه الأصل والفرع من كل وجهة حاكما بالتسوية بين أنواع السكر فالتفريق بين نوع ونوع تفريق بين المتماثلين من جميع الوجوه ، وما جاء فى تذكرة داوود يؤكد كلام هؤلاء الفقهاء الأعلام قال : ( ان ورق الحشيش مركب القوى من حرارة نحو جزء . وبرودة نحو أربعة أجزاء . قال : فذلك هـو بارد يابس فى الثالثة يؤكل فيعطى من التفريح بقدر ما فيه من الحرارة واللطف ثم ينحدر ويكسل ويبلد ويضعف الحواس . وينتن رائحة الفم . ويضعف الكبد والمعدة بتبريده ويوقع فى الاستسقاء والاصفرار وفساد الألوان . ويدعى متعاطيه كذبا قوة الشهوة وانه يقوى على الجماع . وكل هذا من النخيـل الفاسد والجفاف الناتج عن التعاطى ) وهكذا : فان علماء المسلمين من فوق أعواد المنابر بالمسجد كانوا وما زالوا يعالجون هذه المشـكلة الاجتماعية الخطيرة التى تهـدد المجتمعات والأسر والأفراد فى صـحتهم وأمنهـم وسلامتهم يعالجونها ــ بالكلمة الهـادئة المؤيدة بالنص القرآنى والحديث النبوى والحكمة القائمة على البحث والدرس **وان المدمن للمخدرات** حينما يصحبه عالم الدين الى المسجد فيدخل فى صـلاة لله خاشعة بعد أن يطهر ظاهره بالمـاء وباطنه بالتوبة والاخلاص لله فانه يخرج بغذاء روحى وزاد فكرى . وراحة نفسية لم يشعر بمثلها من قبل يخرج وقد أحس بالأمن يملأ جوانحه والحب للمجتمع يختلط بدمه . لأنه وقف مع العديد من اخوانه فى صفوف متراصة . بنظام معين الـكل يقتدى بامام واحد : فكان ذلك كله سـببا فى تخفيف الحدة النفسية التى يعانى منهـا كل من يتعاطى تلك السموم . انه حينما يصلى فى جماعة يعود الى طبيعته وتبرز خصائصه التى طمست

---

(١) الآية ١٩٥ من سورة البقرة .

عندما غاب عقله عن الوعى والادراك فيعود الى جو الطهر والفضيلة . فيلتحم بمجتمعه من جديد. يزاول نشاطه فى الحياة بروح المحبة والأخوة . وهكذا يعيد المسجد الى المتعاطى الثقة بالنفس

**هذا هو دور المسجد بصفة عامة فى علاج هذا الداء العضال . ولكن توجد مساجد لها دور رائد فى معالجة المدمنين بطريقة نموذجية .**

**ففى القاهرة : وهى عاصمة جمهورية مصر العربية ــ وحدها ــ ما يزيد عن الف مسجد ــ من بينها مائة مسجد بها عيادات علاجية : ــ وفى مقدمة هذه المساجد : مسجد الامام أبى العزائم الواقع بشارع مجلس الشعب فى أوله من ناحية شارع بور سعيد انك تجد فيه نظاما فريدا للعلاج. بحيث يقوم على ثلاثة محاور رئيسية وهى :**

**١ ــ الوقاية .**

**٢ ــ العلاج .**

**٣ ــ التاهيل المهنى .**

**١ ــ الوقاية :** تتمثل فى التوعية المستمرة وتبصير الجمهور بأن المخدرات حرام مع بيان ما فيها من أضرار وما يترتب على تعاطيها من ضياع المال فى غير وجهه المشروع وان الاسراف حرام قال الله تعالى : **« ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا .. »** الآية ٢٧ من سورة الاسراء . بالاضافة الى أن المخدرات سلاح من اخطر الأسلحة التى يدفع بها المستعمر حينما يريد غزو البلاد وعن طريقها يحطم القوى البشرية ويضعف الهمم ويثبط القدرات فيسهل عليه الاستيلاء على بلادهم وتسخيرهم لخدمته . ومن هنا . فان التوعية لها دور هام فى الابتعاد عن التعاطى والتخدير من تناول المخدرات لما فى ذلك من اخطار واذا تبينت النتيجة من أول الأمر للمقبلين على تعاطى المخدرات كان الابتعاد عن تناولهما من أول الأمر هو السبيل الذى استبان للعقلاء فيسلكوه بقناعة ورضا وفهم، وقديما قيل «الوقاية خير من العلاج» خصوصا اذا علم المؤمن أن تعاطى المخدرات والاتجار فيها حرام يغضب الله ورسوله فانه يبتعد . وهذه نقطة البدء الأساسية التى يجب أن نهتم بها تعريفا وتبصيرا . وهذا دور المسجد . وكلما كان الفرد على صلة بربه يعبده ويستعينه ويعترف برقابته عليه . وانه عليم بأحواله مطلع على تصرفاته . وانه سيحاسبه على كل عمل صغر أم كبر فى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون . ولن ينفع الانسان الا ما قدم من عمل . والعمل الصالح هو كل ما أمر الله ان نعمله وان نبتعد عن كل ما نهانا عنه . قال الله تعالى **« فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره »** ( الآيتان ٧ ، ٨ من سورة الزلزلة ) .

من هنا : كانت الوقاية بالتعريف بأضرار المخدرات وبيان حكمها أسبق من العلاج الذى يأتى دوره فى المرتبة الثانية .

**٢ ــ العلاج :** وهو روحى ونفسى وطبى . وهو روحى بالدرجة الأولى اذ يبدأ بتغيير عادات المدمن . وتقويم سلوكه. ومحاولة ابراز خصائصه النفسية الكامنة فيه وايقاظ ضميره ليشعر بمسئوليته تجاه ربه ونفسه وأسرته ومجتمعه . والأخذ بيده ليدخل المسجد مع ترغيبه فى اقامة الصلاة واعطائه بعض العظات وتوعيته دينيا والعمل على تحفيظه بعض آيات القرآن الكريم وبعض الأحاديث النبوية التى تحث على السلوك السوى . وبعد ذلك الرحلة الروحية **تكون هناك** ــ الجلسات النفسية مع الاخصائى النفسى الذى يقوم باجراء اختبارات نفسية لقياس مدى اختلال الوظائف ــ السيكولوجية ــ للمدمن ثم تعاد تلك الاختبارات بعد فترة زمنية محددة لمعرفة مدى تقدم العلاج وتحسن حالة المدمن . **وهناك** دور الطبيب الذى يقوم بتوقيع الكشف وبحث حالة المريض . وتشخيص العلاج المناسب والمقادير والجرعات من الأدوية التى تساعد المدمن على التخلص من عاداته التى ألفها . كما أن معمل التحاليل يساعد فى تشخيص وظائف الجسم ومدى تقدم المدمن بالعلاج .

**وهناك** دور الباحث الاجتماعى الذى يحاول ربط المدمن بمجتمعه واعادته الى أسرته محاولا من خلال مكتب توجيه الأسرة مد يد العون الى العميل بكل الوسائل التى تسهم معه فى ربطه بالمجتمع على أسس قويمة ومنهاج صحيح .

ومع كل هذا **فهناك** التأهيل المهنى «مشغل» يلحق به ابناء المدمن ليتعلم فيه البنات على التدبير المنزلى وتعليم الحياكة ، والتريكو .

**وكذلك** : « المستوصف » لتوقيع الكشف على أسرة المدمن وصرف العلاج بالمجان ، «الحضانة» ليلتحق بها ابناء العميل الذين هم فى سن مبكرة ولم يلتحقوا بالمدارس . **وهناك** : مكتب تحفيظ القرآن ، وفصول التقوية كل ذلك فى خدمة من

يتردد للعلاج . كذلك مساعدة العميل فى العودة الى عمله الذى أهمله . فاذا لم يكن له عمل تقرر صرف مبلغ من المال لاقامة مشروع يتناسب مع قدراته ليعيش منه عيشة كريمة طيبة .

**كل ذلك يقـوم به فريق العلاج من خـلال المسجد : ويبرز دور لجنة الزكاة المنبثقة من بنك ناصر الاجتماعى . فهو يمدها بالمـال فى كل مرحلة من مراحل العلاج ويقدم الخدمات للأسرة وللفرد .**

## التعاون لا يأتى الا بالخير :

ان المسجد الذى يشع بالنور فى كل اتجـاه ويلتحم بالمجتمع له رجال جبلوا على الخير وطبعوا على الفضيلة وهم كما قال الله فى وصفهم « **رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتـاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيـه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب**»(١) .

فالمسجد مصنع يصقل الرجال والنساء ليكونوا نماذج طيبة كلها طهر وعفة وفضيلة دأبهم التعاون الذى من شأنه أن يرقى بالمجتمع ويصحح مسـار الأفراد فيه لأن كل فرد يقول مخاطبا مولاه كمـا علمه القرآن « **اياك نعبد واياك نستعين** »(٢) فهذا افراد لله بالعبودية وطلب الاستعانة منه سبحانه وذلك يتنافى مع عبودية الشهوة أو الهوى أو الجرى وراء المزاج والانغماس فى اللذة مهمـا كان . لأن اللذة لا تدوم . والشهوة تموت . لكن لذة الطاعة لله باقية وصدق الله العظيم « **أرأيت من اتخذ الاهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا ، أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم الا كالأنعام بل هم أضل سبيلا** »(٣) ..

ويقول سبحانه : « **أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سـمعه وقلبـه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعـد الله أفلا تذكرون** »(٤) .

فالاله هو الخالق وما عداه فهو باطل والعبادة والطاعة للخالق الرازق الذى أمرنا أن نتعاون على البر والتقوى .

(١) الآية ٣٨ من سورة النور .
(٢) الآية ٤ من سورة الفاتحة .
(٣) الآيتان ٤٣ ، ٤٤ من سورة الفرقان .
(٤) الآية ٢٣ من سورة الجاثية .

ان التـلاحم بين عالم الدين متمثـلا فى امام المسجد وبين الفريق المعالج يأتى بالنتيجة الطيبة والنهاية السعيدة فى جو المسجد الذى يمـوج بالحركة والنشاط اليوم وقد أصبح المسجد متكاملا فى خدماته متعدد الزاد الذى يقدمه لرواده أهل الحى حيث يقدم كل شخص خبرته وعونه . وهذا يمد يده بالمساعدة بروح الحب تسيطر على الجميع : فلا أنانية ولا استعلاء . بل حب وتعاون فى جو دينى ترفرف على الجميع أعلام الأخوة والمحبة فتجد النفس متعتها وهدوءها وصـفاءها وسعادتها .

كل ذلك من شأنه أن يعيد للمؤمن ثقته بنفسه لأن الغذاء الروحى أهم رحلة يقطعها الانسان ليصل الى شاطىء الأمان وبر الاستقرار ، علما بأن أول مرحلة علاجية للمدمن تبدأ بالتعرف على أسباب التعاطى ودوافعـه والفريق العـلاجى **يبدأ فى قطع السبب أولا وحل المشاكل التى أدت به الى الارتماء فى أحضان المخدرات ثم اصطحاب المدمن فى هدوء ووداعة الى رحلة الحياة التى يبدأها من جديد . حيث يتردد على المسجد لأداء الصلوات الخمس بدءا من الفجـر وانتهـاء بالعشاء .**

والصلاة وما يستتبعها من وضوء وطهـارة وركوع وسجود فيها يجد الانسان صفاء نفسه. وغسل روحه وتنقية وجدانه مما علق بها من أدران تلك العادات المستقبحة وهنا يؤوب المدمن الى رحاب القدس الأعلى التى تضفى عليه الأمن والاستقرار : انه يفيق على نور وضاح يشرق على ألفاظ الأذان التى تشعره بأن الله أكبر . كل ذلك بلا شك يهدىء روعه وينعش نفسه .

**ان دور المسجد عظيم وعطاءه كبير . وخيره بلا نهاية .**

**لهذا كان على عقلاء الأمـة أن يعودوا الى المسجد يجعلوه نقطة البدء ومحور الارتكاز لـكل خير ينشدونه ويرجون له النجاح والاستمرار ولكل عمل عظيم يكون من وراءه سعادة الأمة ورقيها فاذا تصورنا أن عدد مساجد الجمهورية يزيد عن ثمانيـة وثلاثين ألف** مسـجد هـذا فى جمهورية مصر العربية وحدها . ولنا أن نتصور عدد المساجد على خريطة المعمورة فانها تعطينا قرابة الثلاثة ملايين مسجد ، هـذه المساجد بصوتها العـالى وجرعاتهـا الدينيـة وأئمتها الذين هم على أعلى مستوى من الكفاءة العلمية والثقافة الفكرية . ثم تصورنا أن كل مسجد يتراوح عدد المترددين عليه يوم الجمعة قـرابة الألف أو يزيد واستمع هـؤلاء الى

ما يلقى من عظات وما يقدم من نصائح ووصايا . لتصورنا الفائدة المرجوة والنتيجة الحتمية لدور المساجد فى علاج المشاكل الاجتماعية وفى مقدمتها مشكلة « المخدرات » .

هذا ولو أن كل امام التحم مع الاخصائى النفسى والباحث الاجتماعى فى المسجد الذى يعمل به وفى البيئة التى يعيشون فيها وعلا صوتهم من المسجد بهذه الصورة الجماعية كل فى تخصصه لمحاربة الادمان وعلاج المدمنين . لاستطعنا أن نقضى على هذه الظاهرة الخطيرة المدمرة للقوى البشرية والتى تهدد العالم بالانقراض .

على أن التربية الصحية أساسها يقظة الضمير ، ومصدر ايقاظ الضمير الجرعات الدينية المستمدة من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

والأئمة بثقافتهم الفكرية المتنوعة يستطيعون جذب الناس الى أركان الاسلام التى كلها طهر ونقاء ، والتى هى الأساس المتين لبناء الانسان بناء عظيما قوامه العبودية لله . فلا خضوع لمخلوق ولا مذلة لعادة أو شهوة . ولا انقياد لمزاج أو هوى أو كيف أو ادمان . فالشهادة لله بالوحدانية ولسيدنا محمد بالرسالة : تقتضى نبذ ما سوى الله . واخلاص العبودية له وحده. ثم يدخل فى الصلاة التى حدد الله مواقيتها لتجذبه من دنياه . وتخلصه من همومه . وتبعده عن الخطايا والدنس . وكل ما يضر بالصحة ويتلف المال قال تعالى «**ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر**»(١) ثم يأتى ركن الزكاة وهو الجانب المالى الذى تذوب فيه روح الفرد وتظهر روح الجماعة فتمتد اليد بالعطاء فى أخوة وحنان وتضامن ومحبة : انه التكافل الاجتماعى بحيث لا يكون هناك غنى متجبر وفقير محروم : انها صيانة للمجتمع وحماية للفقراء . وتطييب لقلوبهم حتى لا يكون منهم اعتداء على الأغنياء .

**والصيام** : يأتى بدوره التربوى الرائد انه مدرسة كبرى تربى فى الانسان الضمير الحى اليقظ وتربى فيه الارادة القوية والعزيمة التى لا تقهر فيفجر طاقات الخير من أعماق نفسه ويلتقى مع اخوانه فى جو الطهر والنقاء .

(١) الآية ٤٥ من سورة العنكبوت .

**والحج** : وهو المؤتمر الاسلامى العام الذى تلتقى فيه أجناس الانسانية فى رحلة روحية يتجرد فيها الانسان من كل مظاهر الحياة وزينتها ويعيش مع اخوانه فى جو كله حب واخاء فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج . فيه يتذكر الانسان خروجه من الدنيا فى ملابس لا اشارة فيها ولا زينة . ووقوفه بين يدى مولاه وصوت الحق يدوى «**ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم . وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون**»(١).

ان الأئمة وهذا دورهم القيادى . والمسجد وهو مدرستهم والرواد وهم تلامذتهم عليهم أن يصححوا لهم الاتجاه الى الله وأن يرشدوهم ويزودوهم بالكلمة الطيبة ويحملوهم مسئولية التبليغ ليكونوا سفراء الى من لم يشهد جمعهم المبارك ولقائهم الطيب . فيعمل كل فرد منهم على جذب من ارتمى فى أحضان الشيطان وضمه الى حزب الرحمن والكل ينادى بما وجهنا اليه ربنا «**وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون**»(٢) .

ان الأمانة ثقيلة فى حاجة الى رجال أقوياء وليس هناك أقوى من صاحب العقيدة الذى يعتمد على الله فى مسيرته ويقوم بأداء الواجب تجاه المجتمع خاصة من ضحك عليهم الشيطان ورماهم فى وكر الادمان .

وهنا لابد لنا من وقفة : نطالب فيها :

١ — الحاق عيادة لعلاج الادمان بالمسجد الجامع فى كل حى .

٢ — ابراز رأى الدين الاسلامى فى المؤتمرات والمحافل الدولية فى تحريم المخدرات ومحاربتها وعلاجها . وانه بفضل الله قد سبق الآراء المعاصرة فى هذا المجال ..

ويسعدنى أن أقدم فى نهاية البحث احصائية عددية ونوعية لبيان المترددين على عيادة مسجد

(١) الآية ٩٤ من سورة الانعام .
(٢) الآية ١٥٣ من سورة الانعام .

| مكوجى | قهوجى | صاحب كشك سجاير | فران | مبيض | نجار | طالب | حارس |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ٤ | ٢٩ | ٤ | ١٩ | ٦ | ٤ | ١ | ٦ |
| | | | ٧٣ | | | | |
| سائق كارو | سائق سيارة | عامل تجليد | عاطل | موظف | منجد | صانع أحذية | عجلاتى |
| ٤ | ٥ | ٤ | ٧ | ٤ | ٥ | ٧ | ٦ |
| | | | ٤٢ | | | | |
| | | | 115 | مائة وخمسة عشر مدمنا . | | | |

« الامام أبى العزائم » خلال الستة شهور المنصرمة من سنة ١٩٧٩ .

وببحث هذه الحالات تبين أنهم يعانون من الاكتئاب النفسي وعدم القدرة على التركيز . وضعف الذاكرة. وأنهم مصابون بأمراض عضوية نتيجة الادمان : الأمر الذى جعل الفريق العلاجى بالمسجد يبذل اقصى طاقته فى علاج هؤلاء المدمنين ولقد : ظهرت عليهم بوادر التحسن رويدا رويدا مما يبشر بالخير والنتيجة محمودة ان شاء الله ...

واذ نقدم هذا بين يدى المسلمين فاننا ندعوهم لزيارة المسجد وملحقاته للوقوف على هذا النشاط الرائد الذى نستطيع أن نقول عنه أنه ابتكار فى الممارسة العملية المنبثقة من المسجد والمستلهمة من وحى الله وارشادات نبيه صلى الله عليه وسلم .

## كلمة

■ يارب :

انفعنى بعقلى .

واجعل ما أنا صائر اليه ، أحب إلى

مما أنا مدبر عنه . !

« عمر بن عبد العزيز »

**ومنهم من قال : لم يسن سنة فقط الا ولها أصل فى الكتاب ، كما كانت سنته ، كتبيين عدد الصلاة وعملها على أصل جملة فرض الصلاة ، وكذلك ما سن فى البيوع وغيرها من الشرائع لأن الله تعالى ذكره قال : « لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم » ، وقال : « وأحل الله البيع وحرم الربا » فما أحل وحرم فانما بين فيه عن الله كما بين فى الصلاة .**

ومنهم من قال : بل جاءته به رسالة الله كما بين فى الصلاة ، ومنهم من قال بل جاءته به رسالة الله فأثبتت سنته بفرض الله تعالى . ومنهم من قال : القى فى روعه كل ما سن وسنته الحكمة التى القيت فى روعه عن الله تعالى .. وفى ذلك يقول الله تعالى : **« وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى »** وأخرج البيهقى بسنده عن حسان بن عطية قال : كان جبريل عليه السلام ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسنة كما كان ينزل عليه بالقرآن **يعلمه** اياها كما يعلمه القرآن .

## الكتاب والسنة

روى عن عبد الله بن المبارك أنه قال : سمعت أبا حنيفة يقول : اذا جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم شيء فعلى الرأس والعين واذا جاء عن أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم نختار من قولهم ، فهكذا كل المسلمين فى كل العصور يحترمون سنة النبى صلى الله عليه وسلم احترامهم للقرآن . ومن الأدلة على مكانة السنة فى الاسلام .

**ما رواه أبو مسعود الأنصارى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يؤم القوم أقرؤهم للقرآن فان كانوا فى القرآن سواء فأعلمهم بالسنة ، فان كانوا فى السنة سواء فأقدمهم هجرة .**

**ونريد أن نذكر حكم عمر بن الخطاب على السنة . أخرج البيهقى والدارمى عن الشعبى أنه قال : كتب عمر بن الخطاب الى شريح : اذا حضرك أمر لا بد منه فانظر مافى كتاب الله فاقض به فان لم يكن ، فبما قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فان لم يكن ، فبما قضى به الصالحون وأئمة العدل فان لم يكن فاجتهد رأيك .**

## اتباع السنة قوام الدين

**وقال عروة : اتباع السنن قوام الدين . وابن سيرين يقول : كانوا يقولون : ما دام على الأثر فهو على الطريق . ومعروف أن الأثر هو ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان شريح القاضى يقول : أنا أقتفى الأثر يعنى آثار النبى صلى الله عليه وسلم والامام الأوزاعى يقول : اذا بلغك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث فاياك أن تقول بغيره .**

**فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مبلغا عن الله تعالى : وسفيان الثورى يقول فى هذا المقام : انما العلم كله . العلم بالآثار .**

وجاء رجل الى الامام مالك رضى الله عنه مسألة عن مسألة فقال له : قال رسول الله صلى الله عليه وسلمكذا وكذا فقال الرجل : أرأيت . فقال ـ مالك ـ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو تصيبهم عذاب اليم، وأخرج البيهقى عن ابن وهب قال : قال مالك : لم يكن من فتيا الناس أن يقال لهم : لم قلت هذا ؟ كانوا يكتفون بالرواية عن الرسول ويرضون بها. وأخرج البيهقى عن خالد بن يزيد قال : حرمة احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كحرمة كتاب الله ، وكذلك فى معرفة حقها وتعظيم حرمتها وفرض اتباعها . وأخرج عن الشافعى قال : كلما رأيت رجلا من أصحاب الحديث فكأنما رأيت رجلا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم. وأخرج عن اسماعيل بن أبى أويس قال : كان مالك رضى الله عنه ، اذا أراد أن يحدث توضأ وجلس على صدر فراشه ويسرح لحيته وتمكن من جلوسه بوقار وهيبة وحدث . فقيل له فى ذلك فقال : أحب ان أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولا أحدث الا عن طهارة متمكنا ، وكان يكره أن يحدث فى الطريق أو وهو قائم . أو متعجل . وقال : أحب أن أتفهم ما أحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والى هنا نتوقف اختصارا ، والى مقال آخر ان شاء الله لنرى عظمة السنة عند المسلمين فى كل العصور ، وتقديرها واحترامها الذى فاق كل تصور لماذا ؟

لأنها دين الله الذى شرعه لعباده ، فيه السعادة والعزة والقوة .

والله ولى التوفيق ..

# أخلاق و مواقف

اعداد : حامد المرسى تقى الدين

## طيور القرآن

**قال ابن عباس :**
**فى القرآن عشرة أطيار ، سماها الله تعالى بأسمائها وهى :**

**البعوضة** فى البقرة ، **والغراب** فى المائدة ، **والجراد** فى الأنعام ، **والنحل** فى سورة النحل ، **والسلوى** فى البقرة وطه ، **والنملة** فى سورة النمل **والهدهد** فى النمل ايضا ، **والذباب** فى الحج **والفراش** فى القارعة **والأبابيل** فى الفيل .

## رسالة الى المعلم

كتب عمرو بن عتبة الى معلم ولده رسالة قال فيها :

**ليكن أول اصلاحك لولدى اصلاحك لنفسك ، فان عيونهم معقودة بعينك ، فالحسن عندهم ما صنعت ، والقبيح ما تركت ، علمهم كتاب الله ، ولا تملهم منه فيتركوه ، ولا تتركهم فيه فيهجروه ، روهم من الحديث أشرفه ، ومن الشعر أعفه ، ولا تنقلهم من علم الى علم حتى يحكموه ، فان ازدحام الكلام فى القلب مشغلة للفهم ، وعلمهم سنن الحكماء ، ولا تتكل على عذر منى لك ، فقد اتكلت على كفاية منك .**

## كيف تربى طفلك

**يقول الامام الغزالى فى الاحياء :**
**ان الصبى اذا أهمل فى بدء نشوئه ،** خرج غالبا ردىء الأخلاق ، كذابا حسودا ، سروقا ، نماما ، لحوحا ، ذا فضول وضحك وكياد ومجانة ، **وانما يحفظ عن ذلك بحسن الأدب ...**

**ويقول :**
**ينبغى أن يؤذن له بعد الانصراف من المكتب أن يلعب لعبا جميلا ، يستريح اليه من تعب التعلم ، بحيث لا يتعب فى اللعب ،** فان منع الصبى من اللعب **وارهاقه بالتعلم دائما ، يميت قلبه ، ويبطل ذكاءه ، وينغص عليه العيش ، حتى يطلب الحيلة فى الخلاص منه .**

## من أسرار الفاتحة

قال النيسابورى :
بقولك « البسملة » يفتح لك باب الذكر ،
وبقولك « الحمد لله رب العالمين » يفتح لك باب الشكر ،
وبقولك « الرحمن الرحيم » يفتح لك باب الرجاء ،
وبقولك « مالك يوم الدين » يفتح لك باب الخوف ،

وبقولك « أياك نعبد ، واياك نستعين » يفتح لك باب الاخلاص .

وبقولك « اهدنا الصراط المستقيم » يفتح لك باب الدعاء .

وبقولك « صراط الذين أنعمت عليهم » الى آخر السورة يفتح لك باب الاقتداء بالأرواح الطاهرة .

**وقيل ان من أسرارها أيضا :**

ان جميع ما فى القرآن من التحميد والتمجيد والثناء تحت قوله « الحمد لله » .

وجميع ما فيه من أسمائه الحسنى ، وصفاته العليا ، تحت قوله « رب » .

وجميع ما فيه من ذكر المخلوقين ، تحت قوله « العالمين » .

وجميع ما فيه من العفو والغفران تحت قوله « الرحمن الرحيم » .

وجميع مافيه من الوعيد وذكر القيامة ، تحت قوله « مالك يوم الدين » .

وجميع ما فيه من العبادة والطاعة ، تحت قوله « اياك نعبد » .

وجميع ما فيه من السؤال والتضرع ، تحت قوله « واياك نستعين » .

وجميع ما فيه من سؤال الهداية ، وخوف الخاتمة تحت قوله « اهدنا » .

وجميع ما فيه من الانعام والاكرام وذكر المقربين تحت قوله « الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم » .

وجميع ما فيه من ذكر المشركين تحت قوله «غير المغضوب عليهم ولا الضالين» .

## أجهز على الجرحى

يروى أن رجلا دخل على بخيل فوجد المائدة موضوعة بعد واذا القوم قد أكلوا ، ورفعوا أيديهم قال الرجل : فمددت يدى لآكل ، فقال البخيل : أجهز على الجرحى ، ولا تتعرض للأصحاء ! .

أعرض للدجاجة التى نيل منها ، وللفرخ المنزوع الفخذ ، فأما الصحيح فلا تتعرض له .

وقال : ذات مرة أكلنا عنده ، وأبوه حاضر ، وابن له يجىء ويذهب ، وفعل ذلك مرارا ، كل ذلك يرانا نأكل ، فقال الصبى : كم تأكلون ؟ لا أطعم الله بطونكم ! فقال أبوه ، وهو جد الصبى : ابنى ورب الكعبة !

## عظة شعرية

حدث عمر بن شيبة قال :

مر عابد براهب فى صومعة ، فقال له : عظنى !

فقال : أعظك ، وعليكم نزل القرآن ، ونبيكم محمد قريب العهد بكم ؟

قلت نعم .

قال : فاتعظ ببيت من الشعر قاله شاعركم أبو العتاهية :

تجرد من الدنيا فانك انما
وقعت الى الدنيا وأنت مجرد

## المروءة

**المروءة : اسم جامع للمحاسن كلها .**

**وقد عرفها بعض الحكماء بقوله :**

سجية جبلت عليها النفوس الزكية ، وشيمة طبعت عليها الطباع الكريمة .

**وقد جمع الله تعالى متفرقاتها فى قوله : « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى » .**

**وجمعها الرسول صلى الله عليه وسلم على نوع آخر فى قوله : « من عامل الناس فلم يظلمهم ، ووعدهم فلم يخلفهم ، وحدثهم فلم يكذبهم ، فهو ممن كملت مروءته ، وظهرت عدالته ، ووجبت أخوته ، وحرمت غيبته » .**

**وجمعها الرسول جمعا آخر فى قوله : « مروءة الرجل صدق لسانه ، واحتمال عثرات اخوانه ، وبذل المعروف لأهل زمانه ، وكف الأذى عن جيرانه » .**

## منزلة العقل

روى أن جبريل جاء الى آدم عليه السلام ، فقال : انى أتيتك بثلاث ، فاختر منها واحدة .

فقال آدم : وما هى ؟

فقال الحياء ، والعقل ، والدين .

فقال آدم : قد أخذت العقل .

فخرج جبريل الى الحياء والدين ، فقال : ارجعا ، فقد اختار العقل عليكما .

فقالا : انا أمرنا ان تكون مع العقل حيث كان .

# المجلس الأعلى للشئون الإسلامية يدعم الجمعيات الدينية في مصر والخارج

## على الطريق الواضح والخالص للإسلام

إعداد محمد حوش

كان للجهد العظيم والحركة الأصيلة التى يخطوها فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر وزير الأوقاف من أجل النهوض بالدعوة الاسلامية صداها الواسع والأصيل بين الجمعيات الدينية فى مصر .

وبتوجيه من فضيلته فان المجلس الأعلى للشئون الاسلامية قام على تدعيم التعاون بين الجمعيات الدينية فى مصر على اختلاف اساليبها مما يعد عملا رائعا حقا وخطوة هادفة لما يحققه من وحدة الفكر وتبادل الرأى ووضع المنهج القويم لتعزيز الدعوة الاسلامية .

ومنذ اقر سيادته بافتتاح مراكز اسلامية داخل الجمهورية وفى مواقع العمل والعمال والتجمعات وتوالت طلبات الجهات المختلفة لاقامة هذه المراكز لديها ، كما توالت طلبات الجمعيات الدينية بمشاركة المجلس معها ندواتها ولقاءاتها مع الناس .

وقد قام الأستاذ عبد العظيم منصور وفضيلة الشيخ محمد محمد المطراوى ولفيف من العاملين بالمجلس الأعلى للشئون الاسلامية بافتتاح المركز الاسلامى الذى أقامته الجمعية الشرعية بببيجرم بالمنوفية .

المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ممثلا فى الأستاذ عبد العظيم منصور يلقى كلمة فى الاحتفال .

ووسط جماهير المنطقة وبعد صلاة المغرب يوم ٢٨ من فبراير ١٩٨٠ م افتتح الضيوف المكتبة الثقافية التى زودها المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بمجموعة كاملة من مطبوعات المجلس وعدد من المصاحف الشريفة .

ثم القى الأستاذ الشيخ محمد المطراوى كلمة أشار فيها الى أن الشباب المسلم فى مصر هو القادر على حمل الرسالة والوفاء بالتبعة والقيام

كلمة الشباب الاسلامى يلقيها المهندس على عبد الحليم هويدى المهندس بشركة البترول .

بدور عظيم من أجل رفع كلمة الاسلام عالية والتماسك للوقوف فى وجه التيارات العالمية التى تحاول أن تعرقل المسيرة وتعوق تقدم الجموع المسلمة من أجل ارساء الحق والخير والعدل وقيادة العالم الى طريق النجاة بعيدا عن الفلسفات والنظريات الوضعية التى لاترقى بحال من الأحوال الى مرتبة الدين السماوى الخالد الذى أنزل للبشر جميعا .

**ثم تحدث الأستاذ عبد العظيم منصور فبرز فى حديثه الدور القيادى الرائد لمصر المسلمة وأوضح سيادته أن مصر هى الرائدة باسلامها وهى القادرة على أن تجمع الكلمة وتوحد الصف كما كانت دائما وهذا هو قدرها فهى التى صدت كل الهجمات الشرسة على العالم العربى والاسلامى والتى تتابعت موجاتها ، ولكن مصر بكل ما حباها به الله من ايمان عامر وشعب قابل للبذل والعطاء فى كل وقت على أن يهب دمه وقوته لصد الضربات التى دأب الملحدون على القيام بها لتفتيت الوحدة والكلمة .. ولكن مصر هى دائما التى تقف لتحطيم هذه الغزوات تجمع الكلمة وتقود الصف معقود لواءها لمصر بعراقتها وقوتها وامكانياتها**

وقد أتاحت هذه الندوة اللقاء بين كل الطوائف الاسلامية على مائدة واحدة فى رحاب بيت من بيوت الله ، وقد أتاح ذلك للجميع التدارس حول دور مصر المسلمة القيادى على مر العصور .

**وان الاسلام هو جنسية المسلمين الشاملة وهو الرابطة التى لا تعلوها رابطة .**

وقد تقدم الشباب والحاضرون بأسئلة توضح كلها دور مصر الرائد فى تجميع كلمة المسلمين وزعامة مصر التى توحد الصف وحدة يفرضها علينا دين الاسلام الخاتم .

ويبين الشيخ المطراوى فى ردوده أن دين الاسلام هو الرسالة الخاتمة للعالمين جميعا وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل هداية للعالمين وخاتما للنبيين والمرسلين مبعوثا للعالم فى كل أنحائه وفى كل أزمانه ، فالرسالة الاسلامية لكل زمان ولكل مكان .

الفرحة على الوجوه أمام كتب العلم وقد أرسل المجلس الاعلى للشئون الاسلامية الكتب الاسلامية والمصاحف الى أهالى قرية بيجرم .

وهكذا يمضى المجلس الأعلى للشئون الاسلامية فى خطته الجديدة نحو هدفه الواضح الخالص فى خدمة الدعوة فى الداخل والخارج .

والى لقاء فى حلقة أخرى من نشاط المجلس مع الجمعيات الدينية فى مصر .

فرحة مع تصفح الكتب ومحاولة للاختيار

# مختارات

# من الصحف والمجلات

**نشرت مجلة البعث الاسلامى التى تصدر بالهند فى عـددها الأول من المجلد الرابع والعشرين مقالة بعنوان عودة الحضـارة الاسلامية للدكتور عبد الحليم عويس جاء فيها :**

إعداد أحمد عبد الرحيم السليح

ان قضية ( عودة الحضارة الاسلامية ) هى — فى المنظور التاريخى — قضية اسلامية بالدرجة الأولى .. . انها محاولة أصحاب انتماء ما أن يبرزوا انتماءهم الى الوجود حاملين أصالتهم الى عصرهم بالطريقة التى يرونها ملائمة للمزج بين الأصالة والمعاصرة .

لكن بعض أبناء الحضارة الأوربية ، يعالجـون قضية الانبعاث الاسلامى ، وكأنهم يدرسون حركة انبعاث قبائل التتار القادمة من وسط آسـيا ، هدفها التدمير والابادة .

واذا كان التاريخ يعيد نفسه ، ففى تلك التخوم التى تصل بين القرنين الثامن عشر والتاسـع عشر للميلاد عندما ظهرت حركات البعث الاسلامى سواء فى صيحات الأفغانى أو مقالات محمد عبده أو جهود عبد الرحمن الكواكبى ، أو نداء السلطان عبد الحميد ( يا مسلمى العالم اتحدوا ) فى هـذا الظرف المماثل لظرفنا المعاصر ، تواطأت أوربا على تشويه كل دعوة للبعث الاسلامى ، وصورت الجماعات الدينية الاسلامية على أنها « شبكة من التنظيمات البربرية التى يغذيها حقد بربرى على الحضارة » كما اعتبرت حركة الجامعـة الاسلامية بمثابة ( الغول ) المرعب الذى يشـبه الخطر الأصفر ، وقد عزيت الى الحركة الاسلامية كل ظاهرة مناهضة للامبرياليـة حتى ولو كان مبعثها مشاعر محلية خالصة . . بل ان كلمـة الجامعة الاسلامية نفسها كانت تؤمى — فى رأيهم — بالتطلع الاسلامى الى السيطرة ، وبأيديلوجية عدوانية ، وبمؤامرة الى نطـاق عالمى .

وعلى أحسن الفروض ، فان كثيرا من هؤلاء المتخوفين ، يدرسون ظاهرة عودة الحضـارة الاسلامية ، وكأنها تشبه ( عودة أهل الكهف ) الى الحياة بعد أن لبثوا فى كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا .

نعم .. انهم ينظرون الينا على اننا « أهل الكهف » لا بالمعنى الحى المتحرك الممتد ، حياة الحقيقة الخالدة وحركتها وامتدادها .. ولكن بمعنى أن عصرنا قد فات ، وأننا حضارة مندثرة ، واننا بقدر ما استيقظنا من سباتنا فى نصف القرن الأخير بقدر ما يجب أن نعود الى النوم الأبدى ، ليبنوا فوق أجسادنا وأفكارنا ورسالتنا للبشرية الضائعة — كنيسة أو معبدا .. أو بنكا من البنوك الدولية .

نعم . اننا أهل الكهف .. فنحن أصحاب عقيدة مجاهدة لا يؤثر فيها الزمان ولا التراب ، وكم نمنا ، وكم استيقظنا .

لكننا من جانب آخر .. نعتبر كهفنا هو العالم كله .. ونحن — أمام الله — مسئولون عن كل ركن من أركان هذا الكهف ، أو بالتعبير الآخر : عن كل ركن من أركان هذه الحضارة الانسانية .

ان حضارتنا حضارة متجددة تتمتع بديمومة الانبعاث .

واذا جاز لنا أن نقبل ذلك الحصر المشهور فى حضارات التاريخ البشرى الذى أوقفه « أرنولد توينبى » عند احدى وعشرين حضارة ، اختار منها سبعا فقط هى التى لا زالت فى رأيه تقاوم الأعاصير الزمنية ، وتلبس لكل عصر جلودا مختلفة لكى تمنح نفسها فرصة البقاء أو حسب تعبيره ( تصنع الخمرة الجديدة فى الاناء العتيق ) وهذه الحضارات السبع هى ( المسيحية الأرثوذكية ) ، والأرثوذكية الروسية ، والاسلامية التى تضم الايرانية القديمة والعربية والهندوسية ، والصينية ، والكورية ، اليابانية ، والغربية .

واذا جاز لنا الأخذ بهذا الحصر ، فنحن نرى انه ليس من التعصب القول — انطلاقا من واقع التجربة التاريخية ، والمحتوى الفكرى — بأن الحضارة الاسلامية من بين الحضارات الست الباقية هى وحدها المرشحة للبقاء ، ولقيادة المستقبل البشرى .

وليس فى الساحة المتصارعة الا الحضارة الأوربية ، التى خلفت الحضارة الهيلينية فى خصائصها وأسلوب احتوائها وعالميتها ، والا الحضارة الاسلامية التى تحاول بجهد وبطء اعادة صياغة الحياة ، وبناء الانسان وفق نظرياتها للكون والانسان ، وما وراءهما .

وفى قوانين الحضارة أن الامكانية الذاتية التى تكفل القدرة على الاستجابة الملائمة للتحديات هى التى تحدد مصير أية حضارة فى التاريخ ، وبالتالى فان قضية ( البعث الحضارى الاسلامى ) تمثل قضية ( بنية ) هذه الحضارة .

وتلك مسلمة من المسلمات التى لا يجوز أن تغيب عن مفكرى الحضارة الغربية ، الذين يبنون مجدهم على التشدق بالموضوعية والعلمية .. وان كان موقفهم من قضية انبعاث الحضارة الاسلامية ينم عن انفعالية لا أخلاقية وحقد تاريخى وسقوط فكرى غريب .

ولقد أكدت التطورات الأخيرة التى اظهرت حقيقة الطاقة الاسلامية الكامنة فى العالم الاسلامى ، هذا الموقف الأوربى ( اللا أخلاقى ) المعن فى الروح الصليبية ، لا على المستوى السياسى — فحسب — وما يتبعه من أجهزة علنية وغير علنية ، بل على المستوى الفكرى الذى جعل الصحافة الغربية تتداعى من كل مكان محذرة من أخطار أن يقوم ( المحمديون ) من كهفهم ، أو كما يقول صحافى انجليزى يدعى ( بيرغرين و ورستون ) فى الصنداى تلغراف : « انه يرث هؤلاء المسلمون العالم كله بدون أن يتبنوا أيا من المبادىء أو التجارب أو الممارسات التقدمية ، وبدون أن يتركوا المبادىء والممارسات التى تعوق التقدم كالرجعية الدينية المظلمة ، والقسوة والكبت ، والفساد ، والكسل » .

« وهذه معضلة — كما يقول الكاتب — لن يجد لها الغرب الحل الصحيح والملائم الا اذا تفهم أبعاد هذا الخطر الجديد ، ويجب أن يكون من بين الحلول التى يلجأ اليها الغرب — كما يقترح الكاتب — احتمال استعمال القوة المسلحة » .

والى هذا الحد يخاف الغرب من انبعاث الحضارة الاسلامية ويتربص بها الدوائر .. والله غالب على أمره .

**الجامعة الاسلامية**

**ذكرت صحيفة الأهرام بعددها الصادر فى الثامن من فبراير ١٩٨٠ م مقالة بعنوان الجامعة الاسلامية ودور مصر فى جمع شمل الأمة الاسلامية عبر العصور**

**للدكتور احمد الحوفى جاء فيها :**

**منذ ايام اعلن رئيس مصر المؤمن دعوته الى انشاء جامعة عربية اسلامية ، تمثل الشعوب ، وتنطق بلسانها ، وتعبر عن ارادتها .**

**وفى ماضى مصر العريق منذ قرون ، وفى جديدها الناهض منذ قرن ما يعزز هذه الدعوة ويؤيدها وانه لمن حق مصر علينا أن نكشف الستار عن حقائق نسيها الناس أو تناسوها ، تؤكد أن مصر لم تدخر جهدا فى الحرص على رأب الصدع ، وجمع الشمل ، وتوحيد الصف الاسلامى ورسم الهدف عبر العصور .**

**منذ أكثر من سبعة قرون كفلت مصر وحدة الأمة الاسلامية ، ومضت أشواطا فى طريق انشاء ما نسميه اليوم « جامعة اسلامية » وذلك أن أخاء مصر الاسلامى اتسع فى أحقاب من عصر المماليك ، فشمل ضفاف الفرات وجزيرة العرب والشام واليمن ، حتى أن أشراف مكة ارتضوا سنة ٦٦٧ هـ « ١٢٦٨ م » أن يذكر اسم سلطان مصر الظاهر بيبرس فى خطبة الجمعة ، وأن ينقشوا اسمه على العملة ، ثم صار الناصر قلاوون الأخ الكبير والمستشار الأمين الذى يلجأ اليه هؤلاء اذا ما اختلفوا فى أمر من أمور السياسة .**

**ولقد استطاع قلاوون بحكمته وحنكته وأخائه أن يجتذب اليه حاكم برقة وطرابلس وتونس والنوبةواليمن وكان اسمه واسم الخليفة العباسى المقيم بالقاهرة يذكران معا فى خطبة الجمعة وينقشان معا على النقود .**

وليس أدل على أن هذه الصلة كانت صلة أخاء ومودة وتعاطف ومشاركة فى المصير من أن سلطان مصر كان يراسل أخوته فى الحجاز واليمن والمغرب بأنباء قتاله للتتار ، ويزف اليهم بشرى انتصاره عليهم ولما كتب صاحب فاس الى الناصر فرج ابن برقوق يستفسر منه عن انتصاره على تيمور لنك رد عليه برسالة لخص فيها نبأ المعركة ، وختمها بقوله « **والله تعالى يجنب أخاكم الكريم مواقع الغير ، ويقرن مودته الصادقة بصفاء لا يشوبه كدر** » .

وقد حاولت مصر ثلاث مرات أن توحد العالم الاسلامى ، بأن تنقذ الخلافة العباسية من المخاطر التى كانت تنتابها فى بغداد ، ولم تجد وسيلة خيرا من نقلها الى مصر ، حيث يجد الخليفة الأمن والاستقرار والاطمئنان على سلطانه وعلى نفسه .

● **أما المحاولة الأولى فكانت** من والى مصر أحمد بن طولون ، اذ دبر الحيلة ليجتذب الى مصر الخليفة العباسى المعتمد سنة ٢٦٩ هـ ( ٨٨٢ م ) لينقذه من أخيه الموفق الذى سيطر على الجيش والخلافة ، ولكن المعتمد أخفق فى فراره من بغداد ، وقبض على أخيه الموفق .

● **والمحاولة الثانية** قام بها محمد بن طفج الأخشيد والى مصر حينما ذهب الى الشام سنة ٣٣٣ هـ ( ٩٤٤ م ) لينقذ الخليفة العباسى المتقى من عدوان الدولة الحمدانية بالموصل ، ومن استبداد الأتراك الذين تنازعوا السلطة فى بغداد .

● **ثم كانت المحاولة الثالثة** بعد أن اجتاح هولاكو بغداد عاصمة الخلافة الاسلامية ، واغتال الخليفة المستنصر بن الخليفة المسترشد ، وبايعه كثير من المسلمين أن راية الجامعة الاسلامية نكست ، وأن العرى التى تربط المسلمين تقطعت، حينئذ نصر الله الظاهر بيبرس على التتار ، وردهم مدحورين سنة ٦٧٥ هـ ( ١٢٧٦ م ) ولم يكتف بهذا ، بل انه انقذ الخلافة ، وحمى رمز المسلمين ، وتلقى فى مصر بالحفاوة والتكريم الخليفة المستنصر بن الخليفة المسترشد ، وبايعه الشعب المصرى كله ، وسمى فيما بعد بالحاكم بأمر الله .

**أما فى العصر الحديث فان مصر كانت منذ أكثر من قرن سباقة الى الاستمساك بالوحدة الاسلامية والى تاييد الجامعة الاسلامية ، لان المصريين وجدوا فى تاييد الخلافة أعزازا للاسلام وللمسلمين وتجميعا للقوى ، وتوحيدا للصف ، واستجابة لما يأمر به الاسلام من اتحاد وتناصر وتعاون .**

**ولا شك أن الرئيس السادات حينما دعا الى انشاء الجامعة الاسلامية كان يعنى هذا كله ، وكان يبتغى الخير الأمة الاسلامية التى مزقتها الاهواء ، وفرقتها المطامع ، وأضعفتها الأحقاد ، حتى عميت عن نور الهدى .**

**نريد جامعة اسلامية متحررة من سيطرة الحكومات ، ومتحررة من الصراع المذهبى ع فلا سنى ولا شيعى ولا شافعى ولا حنفى ، ولا عربى ولا عجمى .**

**نريد جامعة اسلامية شعبية ، يختار اعضاؤها من ذوى التدين والسماحة والشجاعة والعفة والأمانة والاخلاص والعلم والمقدرة على التاثير فى الشعوب بالعمل والقدوة والاخلاص لله وللاسلام .**

# العالم الإسلامي

# أنباء

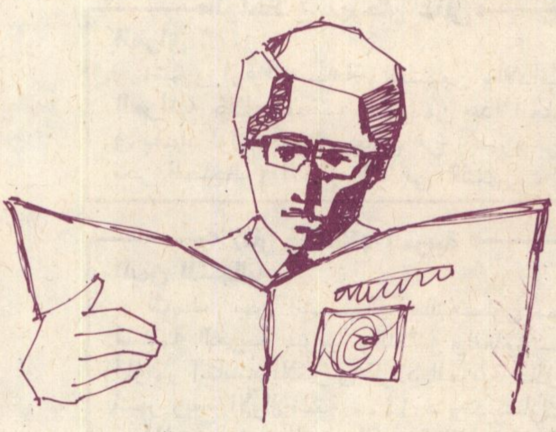

# و

# آراء

## مصر العربية

**القـاهرة :**

**خضعت الامانة العامة لرابطة العـالم الاسلامى لضغوط قوى الرفض واتخـذت قـرارا شـاذا غريبا تمثـل فى الغـاء دعوتها السابقة للدكتور عبد المنعم النمر وزير الاوقاف للاشتراك فى مؤتمـر وزراء الاوقاف والشئون الاسـلامية بمكة وذلك قبل بدء المؤتمر بـ ٢٤ سـاعة بدعـوى التأخير فى الرد على الرابطة ! .**

**وكان وزير الاوقاف قد تلقى الدعوة عن طـريق وزارة الخـارجية المصرية يـوم ٢٣ فبراير الماضى لحضور هذا المؤتمر ، وقد جاء فى البرقية أن الالغاء سببه التأخير فى الرد على الرابطة ولظروف تقدرونها ».**

**ولقد بعث الدكتور عبدالمنعم النمر برقية الى الشـيخ محمـد على الحركان أمين عام الرابطة جاء فيها : « جوابا عن برقيتكم رقم ٢٦٨٧ التى تلغى دعوتكم السابقة لنا لحضور المؤتمـر الثـانى لوزراء الاوقاف والشئون الاسلامية بحجة التأخير فى ردنا عليكم ، والتمسـك بقرارات المؤتمـرات الاسلامية الدولية السـابقة .**

**نفيد باننا بناء على برقيتكم الاولى أعددنا مذكرة اضافية عن موقف مصر من القدس وقضية فلسطين كطلبكم وأخبرناكم بموعد وصولنا ظهر الاربعاء ٥ مارس ، أى قبل انعقاد المؤتمر بثلاثة أيام ثم فوجئنا بالغاء الدعوة قبل السفر بأربع وعشرين سـاعة الامر الذى أثار دهشـتنا لوضع القضـايا الدينية والقومية فى مهب الرياح .**

**ولا نظن أنه قد غاب عنكم حين توجيـه الدعوة لنـا قرارات المؤتمرات السـابقة التى جعلتموها سببا فى الغـائها .. وانا لناسف أشد الاسف لهـذا التصرف الذى لا يخدم قضايانا الدينية والقومية ولا يخدم التعاون الذى نحرص عليه » .**

## القـاهرة :

اسست الجمعيـة الشرعيـة معهـدا للامامة والخطابة فى بولاق يدرس أصـول الاسلام واللغة العربية وأصول الخطابة. صرح بذلك عبـد الحميد مغـازى وكيـل المعهد .

## دليل المؤسسات العلمية

**أسـبانيا :**

سيصدر المعهد الاسبانى العربى للثقافة بمدريد دليـلا عن المؤسـسـات التعليمية والعلميـة المتصـلة بالعالم الاسـلامى والعربى فى مجالات الدراسـات اللغوية والأدبية والتاريخية والفنية والاجتمـاعية والاقتصادية والفقهية .

وقد أعد المعهد اسـتمارة لارسالها الى المؤسسات المختصة لاسـتيفاء المعلومات الخاصة بها .

## مؤتمر الدعوة والتعليم

**الهنـد :**

أقامت الجامعة السلفية ببنارس مؤتمرا للدعوة والتعليم فى شهر فبراير سنة ١٩٨٠ بحثت فيه موضـوع الدعوة الاسـلامية ووسائل نشرها فى العصر الحاضر ، كمـا تم بحث ومناقشة القضايا التعليميـة التى تواجه المدارس الاسلامية فى الهند .

## الجاحظ فى مهرجان عالمى

**العراق :**

تقيم وزارة الثقـافة والفنـون والآداب العراقية خلال النصف الثانى من هذا العام فى بغداد أول مهرجان عالمى عن ( عمرو بن بحر الجاحظ ) الأديب العربى الشهير .

## الآثار فى البلاد العربية

**اليمن الشمالية :**

أقامت اليمن الشـمالية بالتعـاون مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم — المؤتمر التاسع للآثار فى البلاد العربية خلال شهر ربيع الأول سنة ١٤٠٠ هـ وقد شارك فى المؤتمر وفود الدول العربية الاسلامية وكان الموضـوع الرئيسى للمؤتمر « الآثار الاسلامية : وضعها — مستقبلها » .

## مؤتمر لرسم المصحف الكريم

**السعودية :**

يدرس مجلس هيئـة كبار العلمـاء فى المملكة العـربية السـعودية فى اجتماعات دورته الخامسة عشرة الاقتراح الخاص باقامة **مؤتمر لرسم المصحف الشريف وانشاء منظمة اسلامية عالمية لحماية القرآن الكريم وسلامة طباعته من التحريف والتبديل .**

## أكبر مركز اسلامى فى نيويورك

**امريكا :**

**قررت مجموعة من الدول الاسلامية بناء أكبر مركز اسلامى فى نيويورك وأكبر منشأة اسلامية فى الولايات المتحدة .**

ويضم هذا المركز مسجدا ومكتبة ومدرسة لتعليم القرآن الكريم وقاعة محاضرات وناديا رياضيا .

ويزين المركز مئذنة طولها ١٩٠ قدما ونافورات ولوحات من القيشانى والأرابسك وسجاجيد ثمينة محلاة بالزخارف الاسلامية التى تعتمد على وحدات جمالية .

**ويخدم المركز الجالية الاسلامية الموجودة فى نيويورك وضواحيها .**

**وسيحتفل بافتتاح هذا المركز فى أول العام الهجرى القادم .**

## الاسلام والسلام والمشكلات الانسانية

**قبرص :**

**عقد فى فماجوستا بالجزء التركى من جزيرة قبرص فى الفترة من ٢٣ الى ٢٧ من شهر مارس سنة ١٩٨٠ الاجتماع العالمى الثامن لمؤتمر العالم الاسلامى تحت شعار « الاسلام والسلام والمشكلات الانسانية » .**

وتم بحث عدد من القضايا التى تهم العالم الاسلامى ومنها :

١ — مشكلة عدم اعتراف الدول فيما بينها بحق كل شعب فى التساوى مع الأخرين فى الحياة باستقلال .

٢ — مشكلة التمايز فى المصالح الاقتصادية بين الشعوب الغنية والفقيرة .

٣ — مشكلة فقدان الايمان بوجوب العدالة بين الشعوب .

٤ — مشكلة أنانية الأنظمة السائدة فى العالم .

٥ — مشكلة أثر التربية فى ضياع الشباب

**وقد تم بحث تطوير أساليب الدعوة الى الله ودعم التعاون بين البلدان الاسلامية.**

## ندوة عالمية عن الاسلام والاقتصاد الدولى

**جنيف :**

عقدت فى جنيف الندوة العالمية الأولى التى نظمها صندوق التضامن الاسلامى بالاشتراك مع المعهد الدولى للدراسات الاجتماعية التابع للامم المتحدة .

**وقد اشترك فى الندوة نخبة من رجال الفكر الاسلامى وعلماء الاقتصاد والدراسات الاجتماعية وكان موضوع الندوة « الاسلام والنظام الاقتصادى الدولى » .**

## تطبيق الشريعة الاسلامية فى بنجلاديش

**بنجلاديش :**

**انتهت بنجلاديش من وضع دراسة متكاملة للبدء فى تنفيذ مشروع تطبيق أحكام الشريعة الاسلامية .**

وقد لقيت هذه الدراسة تأييد الشعب فى بنجلاديش وذلك فى الاستفتاء العام الذى أجرى من أجل ذلك ، وقد أظهر الشعب تجاوبا ورغبة أكيدة فى الاسراع فى تطبيق الشريعة الاسلامية فى البلاد .

**وتعكف الحكومة على دراسة امكانية تطبيق الشريعة الاسلامية على كافة مظاهر الحياة ، والعمل على اتخاذ القرآن الكريم دستورا للبلاد .**

## الصحف المعادية للاسلام فى الغرب

**بريطانيا :**

**قرر اتحاد الصحافة الاسلامية مراقبة الصحف الغربية والتعرف عليها ومعرفة أهدافها** وحصر الصحف التى تقف من الاسلام موقفا معاديا وذلك عن طريق تشويه حقائقه وترويج الدعايات المناهضة له .

**وارسال قائمة باسماء تلك الصحف الى وزارات الاعلام والجهات المعنية فى العالم الاسلامى بهدف وقف تعاملها مع هذه الصحف ، والرد عليها بنشر حقائق الاسلام واضحة جلية ووضعها أمام الغرب فى صورتها الصحيحة .**

# قصة الأوقاف في مجلس الشعب

**منذ** فترة وضع فضيلة الأستاذ الدكتور عبد المنعم النمر وزير الأوقاف كتابا سماه « قصة الأوقاف » تناول فيه فضيلته بالأرقام الفعلية ما آلت اليه الوزارة بعد اغتصاب أراضيها ومدارسها ومستشفياتها بقوانين أصدرها العهد الماضي سنة ٥٧ ، ١٩٦٢ .

وأخذ فضيلته يطالب باستعادة ما لم يملك من هذه الأراضي لنص القانون الذى أصدره الرئيس السادات سنة ١٩٧٣ مع الأموال الباقية للوزارة لتواصل رسالتها فى تدعيم الايمان ونشر الدعوة الاسلامية فى مصر والخارج قياما بدور مصر الاسلامى فى العالم .

ولأن مجلس الشعب هو الهيئة التشريعية التى تقوم بدور التشريع والرقابة على الوزارات والمؤسسات فقد رأى فضيلته أن يستعين بالمجلس وباعضائه الذين كان يعرف فيهم الغيرة على الدعوة وعلى مؤسسات الدعوة خاصة الأوقاف ، فرأى توزيع كتاب « قصة الأوقاف » على الأعضاء وعلى المسئولين جميعا ليكشف نوايا بعض المسئولين فى الماضى تجاه الاسلام ومؤسساته وليعرف الغيورون السبب فيما يرونه من بعض القصور فى المهمة التى يحبون أن تؤديها وزارة الأوقاف .

وكانت المفاجأة ان قدم **فضيلة الشيخ صلاح أبو اسماعيل والدكتور ابراهيم عوارة** — استجوابين الى الحكومة عن الأراضى التى اغتصبت ولماذا لا تقوم وزارة الأوقاف بالمطالبة ... الخ .

وقد وضعت لجنة الشئون الدينية والاجتماعية والأوقاف فى مجلس الشعب تقريرا عن بعض أوضاع الأوقاف اتضح منه أن جملة الأراضى التى سلمت للاصلاح الزراعى هى مساحة ٢٢٩٧٨٦ فدان و ١١ قيراط و ٨½ سهم .

وابان التقرير أن مشروع خطة وزارة الأوقاف فى موازنة ١٩٨٠ م للنهوض بالدعوة الاسلامية يتكلف ١٤٫١٧٫٥٥٠ جنيها وهو الحد الأدنى المطلوب للخطة .

لكن الوزارة ازاء الاعتمادات المالية التى خصصت لها وعدم تمكنها من أموالها التى اغتصبت منها لا تستطيع أداء الخطة وفق هذا المشروع .

كما رأت اللجنة أن الحاجة ماسة بالفعل

الى ضرورة زيادة الاعتمادات المالية لميزانية الوزارة سنة ١٩٨٠ م حتى تستطيع مواجهة الحد الادنى الواجب من مسئوليتها وأعمال البر بمختلف صورها .

وأهاب تقرير اللجنة بالحكومة أن تتخذ الاجراءات اللازمة لانهاء النزاع القائم بين هيئة الأوقاف والهيئة العامة للاصلاح الزراعى حول الأراضى التى نص القانون رقم ٤٢ لسنة ١٩٧٣ م بردها الى وزارة الأوقاف وحث جميع الجهات الحكومية على رد كافة مستحقات وزارة الأوقاف من ريع وخلافه مقاصة .

**من المسئول : ؟**

**وقد عقب شيخ البرلمانيين العضو / سيد جلال على هذا التقرير بقوله ( الواقع اننى اعتقد أن العيب أو التقصير فى هذا الأمر لا يقع على كاهل الحكومة الحالية ، ولا ذنب للدكتور عبد المنعم النمر فيه ايضا ، انما الذى ادى الى ذلك هو الجبن والخوف اللذان كانا يسيطران على المسئولين وقت ان اغتصبت أموال الأوقاف واملاكها جملة وتفصيلا .**

لقد سبق لنا أن أثرت هذا الموضوع فى العهد البائد ومن تحت هذه القبة ، وطالبنا برد أموال وأملاك الأوقاف حينذاك ، ولم يعترض على هذا الاغتصاب سوى أربعة أعضاء ، ولم يكن مصيرنا الا السجن الحربى .

**ان الأوقاف شريعة الله ، ومخالفة ارادة الواقف جريمة ، حيث ان هذه الأموال موقوفة للانفاق فى اوجه الخير ولبيوت الله ، ومن ثم يجب ألا تصرف الا فى الأوجه المحددة لها .**

**كيف نطهر خزانة الدولة :**

**ولقد تغيرت الظروف ــ وبخاصة بعد قيام ثورة ١٥ مايو ــ وكل ما نرجوه من المسئولين فى هذه الحكومة ، ونلح فى الرجاء ، أن يامر السيد رئيس الجمهورية ، وهو الرجل الظاهر المؤمن ، الصالح ، برد أموال الأوقاف واملاكها .**

حتى تتمكن وزارة الأوقاف من بناء المساجد ، واستغلال الأراضى الفضاء ، وتسديد متأخراتها من الضرائب لوزارة المالية .

أعود فأكرر : لن تتطهر خزانة الدولة الا برد أموال الأوقاف .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

**وتحدث السيد / محمود أبو زيد فقال ( أوجه كل الشكر للسيد صاحب الفضيلة الدكتور عبد المنعم النمر ، لأن هذا التقرير وليد الصيحة المؤمنة التى اطلقها فى كتيبه (( قصة الأوقاف )) .**

**ومن هنا ، فان الذى يجب أن يشكر هو السيد الوزير ، ذلك الرجل المؤمن الذى يعالج هذه القضية بامانة واخلاص ، حتى يستطيع المجلس الموقر أن يعيد الحق الى أصحابه ، وأن تعاد ارض الأوقاف بالكامل ، السهم قبل القيراط ، والقيراط قبل الفدان .**

ان الحكومة ليست عاجزة عن أن ترد هذه الأموال ، وهذه الأراضى لوزارة الأوقاف ، حتى لا تخرب بيوت الله بيتا بعد بيت ، وحتى لا تصل قاهرة المعز ، قاهرة الألف مسجد ، الى حالة لا يجدى معها الاصلاح .

**ثم دعا الدكتور صوفى أبو طالب رئيس المجلس فضيلة الشيخ صلاح أبو اسماعيل لشرح استجوابه الى السيد الأستاذ الدكتور رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية لوقوع العدوان على أوقاف المسلمين من عدد من الوزارات ولذلك فاننى أظاهر أستاذنا الكبير الدكتور وزير الأوقاف ولا أستجوبه .**

**مساءلة للوزارات :**

**وقال فضيلة الشيخ صلاح** ( كيف سرقت هذه المئات من الملايين حتى ينبه المواطنون بدافع أو بآخر نبأ هذه الأراضى المغتصبة واذا كنت قد حملت على وزارة الاصلاح الزراعى فاننى أسائل وزارة الصحة عن المستشفيات التى أخذتها من وزارة الأوقاف ظلما واغتصابا دون أن تدفع ثمنها ودون أن تدفع ايجارها واستباحت لنفسها أن تتصرف فى شروط الواقفين وأن تغير وتبدل فى حكم الله .

وأسائل وزارة التربية والتعليم واقول لها : كيف اغتصبت مدارس وهيمنت عليها دون ان تدفع ثمنها ودون ان تدفع ايجارها ؟ كما أسائل وزارة الحكم المحلى لأنها اغتصبت الأراضى .. فكيف استباحت لنفسها بالفتونة أن تغتصب أراضى الأوقاف وأن تجعل أمر توزيعها للمجالس المحلية ؟ هذا عجب وهذه بلطجة فى دنيا القوانين

وهذه استباحة لأساليب الفتونة وقطع الطرق برغم وجود الحجج ورغم وجود القوانين .

وقال الشيخ صلاح انه كلما جاء وزير وفهم الأوقاف خرج منها ولذلك أتشبث ببقاء الدكتور النمر وزيرا ما دام كتب قصة الأوقاف .

**ثم أعطيت الفرصة للدكتور ابراهيم عوارة** لشرح استجوابه فى الموضوع نفسه فعرض تفاصيل كثيره لأوقاف اغتصبت من مدارس ومستشفيات وأراضى ثم قال : ( لقد انهارت المساجد ، وأنهارت رسالتها ، وانهارت الدعوة الاسلامية معها ، وانتهى البر بالفقراء واليتامى والمساكين وأهدرت شروط الواقفين ، وألغيت الوصايا الشرعية ، وأنهارت رسالة الوزارة أليس فى كل ذلك مخالفة للدستور والشريعة والقانون ؟

أمر واحد أقوله هو اننى تقدمت بهذا الاستجواب حسبة لوجه الله تعالى وأقول للمجلس انه اذا لم يتم اخذ قرار بعودة هذه الأوقاف الضائعة فانه يحق لأى انسان أن يقيم هذه الدعوى ولو كان عابر سبيل ، ولو لم يكن له مصلحة فى الدعوى طالما أنها فى سبيل الله ، وقد الجأ الى القضاء اذا لم يتم تسليم أموال الله أو تعود اليه .

## قال الشيخ صلاح أبو اسماعيل :

ــ وأنا معك ..

ثم رفعت الجلسة وعادت الى الانعقاد يوم الثلاثاء ٣ من ربيع الأول ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠/٢/١٩م حيث رد الدكتور عبد المنعم النمر وزير الأوقاف على الاستجوابين **ردا مفصلا ترى «المنبر الاسلام» أن تضعه أمام القارىء للتاريخ وليكون شاهدا أمام الله والأجيال على حرص الحكومة ووزارة الأوقاف وحرص الدكتور عبد المنعم النمر على أوقاف المسلمين .**

## رد السيد الدكتور وزير الأوقاف :

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**احمد الله تبارك وتعالى ، واصلى واسلم على سيدنا ومولانا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله وأصحابه التابعين ، وبعد .**

فاننى أشعر فى داخلى بشعورين ربما كانا مختلفين . شعور بالامتنان والشكر لكل من أولى موضوع الأوقاف عناية وعطفا خاصا ، ولكل اخوانى الذين قدروا خطواتى فى بعث هذه العناية ، وفى مقدمتهم الأخوان الفاضلان اللذان قدما الاستجواب ، فقد تلقيت منهما من الشكر والتقدير على موقفى ودورى ما جعلنى أخجل من الثناء والتقدير اللذين أضفاهما على ، فأشكرهما على هذا الذى أشعرانى به فى كل مرة وجلسة تقابلنا فيها كاخوة يقدروننى وأقدرهم ، كما أشكركم كذلك على عنايتكم بالأوقاف صلب الدعوة الاسلامية ، وهذا ليس بغريب ، فان هذا واجبنا جميعا نحو أمر يخصنا فى أهم شئوننا وهو ديننا .

## تناقض أحد المستجوبين :

أما الشعور الآخر ، فهو خاص بما سمعته فى الجلسة أمس من أحد اللذين قدما الاستجواب من اتهامه لى ، بأننى بددت الأوقاف وأهملت فى شئونها ، وكان ذلك على العكس مما أبداه لى خارج الجلسة وأقسم عليه الايمان ، وفى لجنة الشئون الدينية والاجتماعية والأوقاف وفى غيرها ، وكنت أحب أن يكون الانسان صادقا مع نفسه داخل الجلسة وخارجها .

حتى تكون صفحته ، صفحة مستوية أمامى كما قدرت ، ولكنى فوجئت بما سمعته بالأمس مما أسفت له أشد الأسف من رجل أعززته ، وأكرمته ، وبادلته الود والاحترام والتقدير لموقفه الذى قدر فيه موقفى ، وايمانه التى أقسمها على تقديره وشكره لموقفى فى الحفاظ على أموال الأوقاف ، أسفت حينما يتحول داخل الجلسة الى اخ يهاجمنى ويتهمنى بأننى بددت ، ويعلم الله انه ما كان لـ ٩٩٫٩٪ أن يعلموا بما جرى للأوقاف من مذبحة فى العهد الماضى ، وكنت ــ أنا من هذه النسبة ــ لا أعلم هذه المذبحة وهذه المأساة التى لفت الأوقاف فى لفائفها السوء ، لم أكن أعلم ، لأن القانون قد صدر وأنا فى الهند ، ما كنت أعلم ، وكنت ألوم وزارة الأوقاف ، واقف مثل موقفكم جميعا ، حين كنت أراكم تلوموننى ، وتلومون الوزراء على تقصيرهم ، وأنتم لم تقفوا على حقيقة ما جرى بالأوقاف ، فأحببت أن أجهر بالحالة التى آلت اليها الأوقاف ، وأوقفكم على ما جرى ، حتى نتصرف جميعا على أساس هذه الحقائق . وأعمل ، وتعملون معى فى النهوض بوزارة الأوقاف ، والنهوض برسالة الأوقاف .

هذا ما اردته حين قدمت هذه البيانات ، وربما كنت فى غنى عن تقديمها ، وعن ايقافكم على هذه الحقائق ، وكان يمكن أن الوذ بالصمت كما لاذ غيرى ، ولكننى كمهدى بنفسى وعهدى مع الله

أحب دائما أن أجابه الحقائق ، وأن أعمل فى ضوئها ولا أتهرب منها .

**مذبحة الاوقاف فى العهد الماضى :**

نعم أيها الاخوة ، انها مذبحة حدثت للأوقاف فى العهد الماضى حينما صدر القانون رقم ١٥٢ لسنة ١٩٥٧ ، لكى يستبدل أراضى الأوقاف ويضمها للاصلاح الزراعى لتوزيعها على الفلاحين ، كانت خطة مدبرة لكسر العمود الفقرى للاسلام ، وللدعوة الاسلامية ، وماذا كان سيبقى للاسلام وللدعوة الاسلامية بعد أن تهدر أملاك الناس الطيبين الخيرين الذين وقفوا أملاكهم على بيوت الله وعلى الفقراء والمحتاجين ؟ ماذا كان يتبقى انها خطة مدبرة لاعجاز المساجد عن أداء رسالتها ولتخريبها شيئا فشيئا .

**لماذا كانت هذه المذبحة ؟**

انها خطة مدبرة للسير بالبلاد الى الشيوعية ، كان الاتجاه هكذا والظواهر تدلنا على هذا ، ورأينا الأزهر أيضا يصاب بمثل ما أصيبت به الأوقاف ، ودبر بليل القانون الذى سمى بقانون تطوير الأزهر .

**وزير أوقاف يسارى ؟**

وهكذا عمل العهد الماضى على تخريب كل ما يعمل على تقوية الاسلام فى هذا البلد : الأزهر، والأوقاف ، حتى جاء وقت من الأوقات ، كان وزير الأوقاف وشئون الأزهر يساريا متطرفا ، وكان هذا الوزير هو الأمين على الدعوة الاسلامية ، وعلى الأزهر الشريف !!

كان ذلك أيها الأخوة هو التدبير الخبيث للسير بالبلاد والانحدار بها نحو الشيوعية ، ويعلم الله أن الأمور كادت أن تبلغ نهايتها ، وأن البلاد بما أحكم عليها من قيود ، ومن اضطهاد ، ومن تخويف ، ومن تعذيب ، كان العهد الماضى يسير الى هذه النهاية السيئة ، وكان يريد بالدين وبمصر زعيمة العالم الاسلامى هذا المصير الأسود والسىء ، وكلنا يعرف ماذا أصاب الغيارى على الدين فى هذا البلد فى تلك الحقبة السوداء من تاريخ مصر ، كلنا يعلم كيف اضطهدت كلمة الله ، حتى اننا رأينا بعد نكسة سنة ١٩٦٧ أن خطباء المساجد أخذوا يذكرون الناس بالله ، ويقولون لهم ان ما أصابنا ، انما كان بسبب بعدنا عن الله وعن تقواه فصدرت الأوامر وقتها لخطباء المساجد أن يبتعدوا عن هذه النغمة ، لأنها أثرت فى الناس وأرجعتهم فعلا الى دينهم فصدرت الأوامر بالكف عن هذه النغمة لأنهم رأوا فيها تأثيرا على الناس، وعودة لهم الى دين الله ، الى هذا الحد كانت الأمور تجرى فى الماضى حتى جاءت ثورة التصحيح ، وجاء الرئيس المؤمن النظيف ..

**الذى ان تكلمت عنه فانا لا أتكلم من فراغ ، ولا أتكلم عنه من خلال معرفتى به فى الحكم ، ولكننى أتكلم عن ايمانه ووطنيته ، وروحه من خلال السجن والزنزانة التى عشنا فيها معا .**

**السادات من عمق المعرفة :**

**عرفته شابا فى الثانية والعشرين من عمره تخلى عن كل شىء ، عن أبهة الضباط ، ومرتب الضباط، وكنت أراه يستغرق فى قراءته للقرآن الكريم ويحفظ الكثير منه وكنت أراه وهو شاب فى ريعان الشباب يطيل فى صلاته حتى كنت أغار منه ،ومن خلال معرفتى هذه ،ومن خلال معرفتى له بعد ذلك ، معرفة فى الشارع ، ومعرفة فى المقهى : ومعرفة فى خضم الحياة وغمارها ، عرفت عنه ما جعلنى ، كنت أتمنى أن يكون هو الذى أول من يحكم بعد قيام الثورة حتى كان يجنب مصر الويلات التى حلت بها .**

**وحينما تولى الحكم بهذه الروح استبشرت خيرا ، وقلت لقد تسلم السفينة ربانها ، وأرجو أن يوفقه الله ، وأن يستمر على ما كان عليه ، ولم يكن لدى شك فى هذا ، فمن شب على شىء شاب عليه ، ولم يمكث السيد الرئيس طويلا ، أو شهورا كثيرة فى الحكم حتى أنقذ ما أمكن انقاذه من الأوقاف ، وأصدر القانون رقم ٨٠ لسنة ١٩٧١ بتأليف هيئة الأوقاف تتولى ادارة واستثمار ما بقى للاوقاف ، وفى سنة ١٩٧٣ أصدر القانون رقم ٤٢ الذى أعطى للاوقاف وهيئة الأوقاف الشخصية الاعتبارية الكاملة لادارة هذه الأوقاف .**

نعم ، هذا هو انصاف العهد الحاضر للاوقاف ولأموال الأوقاف ، ولقد ذكرت هذا فى قصتى للأوقاف ، فالقانون رقم ٨٠ لسنة ١٩٧١ ، والقانون رقم ٤٢ لسنة ١٩٧٣ ، قد صدر برد ما لم يملك من أملاك الأوقاف الى وزارة الأوقاف.

نعم ، ان القوانين التى صدرت فى العهد الماضى نقلت ٢٢٩ الف فدان الى الاصلاح الزراعى لاستبدالها ، ومرت السنوات ، واستلمها الاصلاح الزراعى وأخذ يوزع منها ما يوزع ، ويملك منها ما يملك ، فلما أصدر الرئيس محمد

انور السادات القانونين رقمى ٨٠ لسنة ١٩٧١ ، ٤٢ لسنة ١٩٧٣ ، ونص فيهما على رد ما لم يملك من املاك الأوقاف الى وزارة الأوقاف ، وكان هذا بدءا لعمل كبير قامت به هيئة الأوقاف ووزارة الأوقاف مع هيئة الاصلاح الزراعى حيث ردت بعض الأوقاف القليلة ، وظهر ان الاصلاح الزراعى ، قد ملك أطيانا بقرارات تمليك صحيحة صادرة من ادارة الاصلاح الزراعى ، وهناك اوقاف جرى عليها الخلاف بين الأوقاف وبين الاصلاح الزراعى .

## كيف نجى الله ما بقى من الاوقاف ؟

حضرات السادة : ما كنا نتصور أن تغتال أملاك الأوقاف بسهولة كما اغتيلت ، ولولا ثورة التصحيح ولولا الرئيس محمد أنور السادات لأغتيلت كل أموال الأوقاف وكل أملاك الأوقاف ، فلقد انقذ لنا وللاوقاف ما امكن انقاذه وهذا مذكور لديكم فى بيانى ، وفى كتيبى عما جرى على الأوقاف من تغيرات .

لقد لاحظت بالأمس فى كلام الأخوين الفاضلين انهما قد عمما فى كلامهما ، وقالا نتهم الدولة بمصادرة أموال الأوقاف ، وكان الأجدر بهما أن ينصفا ، ويذكرا على وجه النص والتصريح الحقيقة القائمة بالقوانين وبتواريخها ، لأن كلمة الدولة حينما نسمعها ونقرؤها ، نعلم ، أو نفهم ، أنها أيضا الدولة القائمة ، ونتهم العهد الحاضر بأنه اغتال ، مع أنه هو الذى رد ، وانا أعرف أن الانصاف واجب على كل انسان ، وفى مقدمة الانسان اخواننا المثقفون المتعلقون بالمثل العليا الفاضلة .

... كنت أود أن يذكروا صراحة وأن يحددوا المعتدين على أملاك الأوقاف ويحددوا صاحب الفضل فى رد ما تبقى وانقاذ ما أمكن انقاذه من أعيان الأوقاف . ومن الجائز أن السرعة فى الكلام وهيبة الموقف حالتا بينهم وبين التفصيل الواجب والتفرقة الواجبة بين عهد اغتال ، وعهد رد ما تبقى من هذا الاغتيال ، ومن واجبنا أيها الأخوة أن نشكر صاحب الفضل وأن نشجع الناس بهذا على أن يكونوا أصحاب فضل ، والحديث القدسى يقول : « عبدى لم تشكرنى اذا لم تشكر من أجريت النعمة لك على يديه » ، ولهذا فاننى اذا كنت قد أسهمت بجهد ضئيل وعمل قليل لم يتعد أننى بينت هذه الحقيقة ووضعتها أمامكم لتشتركوا معى فى الحفاظ على ما تبقى للأوقاف من أموال وأملاك فان صاحب الفضل فى الأوقاف التى تديرها وزارة الأوقاف الآن هو أنور السادات ...

**ولهذا أحب أيها الأخوة وقد رأيتم موقفى وحرصى ، بل تبرع اخوانى وقالوا شجاعتى وجراتى فاذا كنت قد وقفت هذا الموقف وقدره اخوانى واذا كان الرئيس السادات قد فعل هذا من أول سنة تولى فيها الحكم فاننى اطلب منكم الآن أن تسجلوا شكركم لما فعله السيد الرئيس من رد ما تبقى لوزارة الأوقاف .**

## كيف تصرف ابليس فى الأوقاف ؟

لا أظن مطلقا وما كنتم تظنون أيضا أن الشياطين الذين اعتدوا على أموال الأوقاف واصدروا القوانين باغتيالها وابليس له نفوذ وله خطط وله تدابير ما كان يغيب عمن يوسوسون لهم أن يغلفوا اغتيالهم لأموال الأوقاف بالشكل الشرعى الذى يخرج القانون فى شكله شرعيا ، وبشكل الاستبدال وبالثمن المقدر فى ذلك الوقت لكل أرض وهو سبعون مثل الضريبة فقرروا فى القانون أن تستبدل أملاك وزارة الأوقاف للاصلاح الزراعى لتوزيعها على الفلاحين بسبعين مثل الضريبة ، وهذا الثمن كان مقررا فى ذلك العهد والذى كانت تجرى عليه المعاملة بين الناس وبعضهم وبين الحكومة وبين الناس ، وحيث كان الايجار سبعة أمثال الضريبة والثمن سبعون مثل الضريبة ، فغلفوا القانون الذى صدر بهذا الغلاف وهو الاستبدال ، والاستبدال جائز شرعا وقرره الفقهاء وتسير عليه المحاكم الشرعية أيام أن كانت موجودة ، وتسير عليه لجنة شئون الأوقاف بعد أن تسلمت مهمة المحاكم الشرعية بعد الغائها ، والاستبدال جائز عند جميع الفقهاء ، جائز وقيدوه بقيود مثلا وجود مصلحة أو غير ذلك ، وقد رؤيت المصلحة فى هذا الوقت فى ذهن الذين قدروها ، وان كنا نخالفهم فى هذا لكنى أقول انهم غلفوا تصرفاتهم الشيطانية بالغلاف الشرعى ، حيث قاموا بالاستبدال الذى هو مقرر — كما قلت فى معاملة الناس بعضهم وبعض وفى معاملة الحكومة للناس حين تأخذ منهم الأرض وهى سبعون مثل الضريبة هذا الغلاف بالاستبدال لا يخرج عن الشريعة اذا بحثنا أقوال الفقهاء من حيث الشكل ، والشياطين كما قلت حرصوا على أن يغلفوا اغتيال أموال الأوقاف بهذا الغلاف الشرعى وقد صدرت القوانين بذلك، وعمل بها وتملك الفلاحون بعقود ما تملكوه وما كان لأحد ممن يريد أن يدعى الشجاعة الآن أن يقف فى وجه تلك القوانين فى ذلك الوقت ، والقوانين حينما تصدر — كما تعلمون — لابد أن يعمل بها فى الدولة ، حتى القاضى الذى لا يقتنع بالقانون ملزم بالعمل به ما دام القانون قائما فاذا اراد شيئا غير القانون فليعمل على تعديله وليقترح تبديله ، لكن مادام يعمل فى ظل قانون صادر تمتع بالدستورية وبالشرعية فلابد

أن يعمل بذلك القانون . وعلى هذا الأساس تصرف السابقون من اخوانى تحت سلطان القانون وسلطان الارهاب فى العهد الماضى ، وقد رأينا ما حدث لشيخ البرلمانيين العم سيد جلال حينما وقف أمامكم بجلسة الأمس وقال انه حدث له كذا. وكذا . وكذا . وما كان لأحد أن يخرج على القانون لا سيما فى عهد الارهاب ، ولما جاء عهد الحرية وانفتح الباب الذى من داخله نتكلم بحرية والعم سيد جلال قال أنه سيق الى السجن الحربى ونحن نقول هنا الآن الكثير ونعارض ، ومع ذلك نتمتع بالأمان فشكرا لمن أعطانا الحرية والأمان، وجعلنا نتصرف كما يتصرف الحر الانسان .

**اننى استعنت بالله ثم بكم للحفاظ على ما تبقى لنا من أملاك الأوقاف ، وعلى أن تعملوا معى لتمويل وزارة الأوقاف بما يعينها على اداء رسالتها ، واننى أذكر اننى بعد أن اديت اليمين الدستورية أمام السيد الرئيس فى استراحة القناطر الخيرية فى ١٩٧٩/٢/٣ استبقانى السيد رئيس الجمهورية وجلست معه ، ومع السيد النائب ، ومع السيد رئيس الحكومة واخذ يحدثنى سيادته ويحثنى حتى ابذل الجهد المضاعف للارتفاع بمستوى الدعوة وذكر لى الكثير مما يعرفه وأمور البلد ليست خافية عليه ، وذكرت له أيضا الكثير مما أعرفه وأن الأمر فى حاجة الى مال ودعم ، ووعدنى بالمال والدعم وأوصى رئيس الحكومة بالمال والدعم ، وقدمت الخطة وهى خطة طموح ، أملى على واجبى أن أقدمها ليسير العمل عليها سواء كنت موجودا أو يسير عليها من يأتى من بعدى ، كخطة شاملة كاملة للارتفاع بمستوى الأداء فى وزارة الأوقاف وفى الدعوة الاسلامية ،**

ثم قدمت الخطة لكم وهى تتكلف بعد بالمراحل التى جعلت عليها ما يمكن مرحلته نحو ١٤ مليونا ، قدمت الخطة لكى أرتفع بمستوى الأداء ، وذكرت تكاليفها ولكننا جميعا نعلم الظروف التى تمر بها ميزانيتنا .

## ميزانية الاوقاف بالنسبة للعام الماضى :

ومع ذلك اقول لكم أن وزارة الأوقاف زادت موازنتها هذا العام بما يساوى خمسة أو ستة أو سبعة أمثال موازنة العام الماضى أو الذى قبله ، واجتهد وزيرا المالية والتخطيط فى ان ينفذا قدر استطاعتهم واستطاعة الميزانية هذه التوصية التى أوصى بها السيد الرئيس والسيد النائب ، واعطونا ما أمكن اعطاؤه ، واقول لكم انه لم يحصل مثل هذا فى تاريخ وزارة الأوقاف فى السبعينات أو ما قبلها ، حينما كانت الأوقاف مسلوبة منها أو حينما كان الريع القليل القليل يأتى اليها وهذا شىء اذكره لكم ، لا على أنه يمثل آمالى وآمالكم ولكنه يمثل خطوة على الطريق ، وخطوة فسيحة أعتقد أنه ستتلوها خطوات أكثر وأفسح بعد أن رأيت منكم ومن اخوانى الوزراء ، ومن السيد الدكتور رئيس الوزراء الحرص على تنفيذ توصيات السيد الرئيس والسيد النائب وتحقيق آمالنا نحو الدعوة الاسلامية ، واعتقد أنها ستكون أحسن بفضل جهودكم وبفضل مواقفكم معنا فى مساندة الحكومة بما قدمته اليها من خطط ومن اعتمادات . استطرد فأقول ان بعض الاخوة يذكر أو ذكر فى استجوابه معلومات عن أوقاف قيل انها تهاونت فيها الهيئة أو بددتها ، وأنا أقول له ربما كان يعلم أن هذه الأوقاف التى ذكرها لم تسكت الهيئة عنها ، بل ان للهيئة فى ذلك تحركا واسعا لأداء واجبها ، سواء كان بلجان المصالحات أو لجان البحث أو كان عن طريق القضاء ، وكل ما ذكره الأخ عواره من بيانات هو محل نظر المحاكم الآن أو بين اللجان ، وننتظر حكم القضاء فيها .

## الدكتور عوارة يستقى معلوماته من بيانات اللجان والمحاكم :

وعلى سبيل المثال ما حدث فى نادى الزمالك حينما باعت له الهيئة جزءا من أرضها ، ثم رأت أنه زحف على جزء آخر لم تبعه له ، فقد رفعت الأمر الى القضاء ، وحكم فيه ابتدائيا واستئنافيا لصالح النادى ، ومع ذلك فقد رفع الأمر الى محكمة النقض ، ولم تقف الهيئة عند حكم الاستئناف بل انها تواصل وتدعم وجهة نظرها أمام محكمة النقض ، ولو كانت الهيئة تكتفى بشىء من العمل ولا تخاف الله ، لسكتت عند حكم الاستئناف ، ولكنها لحرصها على أموال الأوقاف ، رفعت الأمر لمحكمة النقض .

وبالنسبة لموقف سيدى كرير ، فأيضا توجد قضايا مرفوعة بشأنه ، واننى أشكر السيد العضو الدكتور ابراهيم عواره على أنه أتى ببعض الأشياء وهى موجودة لدى هيئة الأوقاف ألا وهى المستندات ، وأرجو أن يقدم لنا أيضا ما لديه من مستندات ، فهذه حسبة لوجه الله بالنسبة لمال الأوقاف ، وأقول له ليس هذا وحده ، بل لا أقول له وحده ، ولكن أقول لكم جميعا انكم حراس على أملاك الله وعلى أملاك بيوت الله فى أى وقت وفى أى مكان تجدون فيه شيئا لله ، لأرض الله ، يحاول بعض الناس أن يغتصبها ، أرجو منكم جميعا أن تساعدوا وتجندوا أنفسكم للحفاظ على أملاك بيوت الله ، فهذا شىء يجزيكم الله عنه خير الجزاء .

وكذلك وقف العطارين ، وكل الأوقاف التى ذكرت ، انما هى أوقاف تعمل الهيئة على استردادها ، اما بواسطة اللجان كما قلت ، أو بواسطة القضاء ، وكل هذه المعلومات ، ربما

أخذها السيد العضو الدكتور ابراهيم عوارة من ملفات القضاء ، أو من ملفات اللجان ، فالهيئة لم تقصر فى شىء من هذه الأشياء التى تحدث عنها السيد العضو ، وأنا أشكره على هذا حينما ذكر هذه الأشياء التى قد تنبهنا لها من قبل ، وأرجو أن ينبهنا الى شىء جديد ليس فى حسباننا ، يشكره الله ، ونشكره كذلك ، لكن المهم — أيها الاخوة — ونحن نعمل لله ، الا نعمل لله فى ضجة، والا نعمل له فى « زفة » ، أريد منكم أن تعاونونى ..

ان الله هو الهادى .. الله هو الهادى ، وانى أمد يدى لكل من أتلمس فيه خيطا من الخير ، لا أرده ، ولكننى أمد يدى الى هذا الخيط لعله يكبر ، ويكبر ، وقد علمنى دينى هذا الأدب ، وارجو أن أكون ملتزما به ، ولهذا فاننى لا أضمر لأحد أساء الى شخصى شيئا ، ولكن على العكس اذا أساء الى مثلى ، والى قيمى فاننى اغضب ولا ارحم اذا استطعت اليه سبيلا .

بالنسبة للمستشفيات والمدارس التى كانت للأوقاف ، فقد ذكرت بعضها ، على سبيل المثال ، فى كتابى « قصة الأوقاف » وذكر السيد العضو الدكتور ابراهيم عبد السلام عواره — مشكورا — جزءا منها ، وان شاء الله ، أرجو ان يوالى البحث فى هذه وفى غيرها ، لأننا الآن فى سبيل العمل على استرداد ثمن هذه الأوقاف التى ذكرناها ، والتى يذكرها بعضكم ، لا نتأخر ، بل ان عندنا نهم للوقوف على أملاك الله التى غفل عنها من غفل ، لنردها الى حيازة الله .. لتكون فى خدمة دعوة الله .

وبالنسبة للأوقاف الموجودة بدولة اليونان ، والتى ذكرها السيد العضو الدكتور ابراهيم عبد السلام عواره ، فقد حدث بشأنها مفاوضات متعددة ، اشتركت فيها وزارة الاقتصاد والتجارة الخارجية والتعاون الاقتصادى ، وفى هذا الشهر تتهيأ لجنة من وزارات الأوقاف والاقتصاد والتجارة الخارجية والتعاون الاقتصادى للمفاوضة الأخيرة، وأرجو أن تكون مفاوضة أخيرة تنتهى الى نتيجة فى حفظ أموال الأوقاف الموجودة بدولة اليونان .

أما عن أراضى الأوقاف الأخرى ، التى أشار اليها السيد العضو ابراهيم عبد السلام عواره ، فهى أراض بعضها استرجعناه ، كوقف المنتزه الموجود بمحافظة الاسكندرية ، ونعمل بكل ما أوتينا من قوة ، ومن عين بصيرة متفتحة للحفاظ على أملاك الأوقاف . أما وقف سيدى كرير ، فكلكم تعلمون قصته منذ سنين ، والوزارة لم تتخل عنه ، وتدور بينى وبين السيد المهندس توفيق كرارة وزير استصلاح الأراضى مفاوضات على انهاء النزاع بين وزارتى الأوقاف واستصلاح الأراضى ، بالصورة التى يجب أن يختم بها هذا النزاع ، وأرجو أن ننتهى منها قريبا .

أيضا ، الديون التى لوزارة الأوقاف ، فهذا هو الأمر الذى أطلب معاونتكم فيه ، وانى شخصيا وزملائى الوزراء نعمل من أجله ، فالحكم المحلى مدين لوزارة الاوقاف بنحو ٧ ملايين من الجنيهات ، ووزارة المالية بالاشتراك مع الاصلاح الزراعى مدينة لوزارة الأوقاف بنحو ٨ ملايين من الجنيهات ، ان اللجان مشكلة منذ مدة من أجل رد هذه الديون ، وقد وضعت بذلك الحقائق أمامكم ، والواقع أن زملائى الوزراء لا يتأخرون .

.. بل وعدونى بالعمل الجدى ، وارجو أن يتابع المجلس معى هذا الجهد ، حتى تسترد الأوقاف من ١٥ الى ٢٠ مليون جنيه يمكن أن تستثمرها لخير المساجد ، كما أنه بين وزارة الأوقاف والاصلاح الزراعى كذلك نحو ٦٧ ألف فدان غير مقطوع بها حتى الآن ، فوزارة الأوقاف تقول انها لم تملك ، والاصلاح الزراعى يقول انها وزعت على الفلاحين ، ولقد شكلت لجان لبحث هذا الأمر ، وقد نزلت هذه اللجان الى المناطق ، منطقة المرج ، منطقة القليوبية ، لتبحث عن الأوراق الصادرة بشأن هذه الأراضى، هل صدرت قرارات بتمليكها حتى ينفذ عليها القانونان اللذان صدرا سنة ١٩٧١ ، وسنة ١٩٧٣ . ان الوزارة تبحث وتعمل ، واللجان لا تتوقف عن العمل ، وأرجو أن يتحقق وعد اخوانى الوزراء لى ، وأن يساعدنى المجلس أيضا فى هذه الناحية ، وأن يكون لكم — كما هو لكم أيضا — الاشراف على ما ينفذ من هذه الخطوات ، حتى يمكن أن تضمنوا لوزارة الأوقاف نشاطها وأعمالها .

السيد الدكتور رئيس المجلس ، السادة الأعضاء :

**سأفتح المساجد المغلقة :**

اننى بهذا الجهد القليل — كما قلت لكم بالأمس — أحاول أن أتحرك بوزارة الأوقاف فى رسالتها ، وقد وضعت خطة طموح أعمل من خلالها ، ومن هنا فان الاعتمادات القليلة التى وردت لوزارة الأوقاف ، وردت ولدى خطة موضوعة ، ومن ثم فقد تم وضعها فى الحال موضع التنفيذ ، فكما ذكرت لكم بالأمس ، ورد لوزارة الأوقاف مبلغ ٢٫٦٠٠٫٠٠٠ مليون جنيه للمساجد الرسمية ، وباذن الله سوف أبدأ فى صيانتها وترميمها ، وافتتاح المساجد المغلقة

بسبب دورات المياه أو لخلل فيها ، ولا تحتاج الى تكاليف كثيرة فى اصلاحها ، وارجو من الله ان ننتهى من ذلك هذا العام ، كما ورد ايضا الى وزارة الأوقاف مبلغ ٠٠٠ر٦٠٠ر٢ مليون جنيه من اعتماد قدره خمسة ملايين من الجنيهات ، اعتمده السيد الدكتور وزير التخطيط لوزارة الأوقاف — جزاه الله خيرا — وسأبدأ بهذا المبلغ فى تنفيذ خطةاصلاح وبناء جديد — حسب الأولوية للمساجد — وأرجو — ان شاء الله — ان نستطيع فى نهاية هذا العام — بفضل جهودكم ومعاونتكم — الانتهاء من تنفيذ هذه الخطة ، وقد بدأت الوزارة فى اجراء حصر المساجد التى هى فى حاجة الى ترميم واصلاح ، والتى قد تتكلف من ١٥ الى ٢٠ الف جنيه ، وستقوم الوزارة بارسال المبالغ اللازمة لترميم واصلاح هذه المساجد للمحليات فى المحافظات .

**ومن هنا فانى أرجو أن تضعوا أيديكم — كل مجموعة منكم فى محافظتها ، والسادة المحافظين معنا لتنفيذ هذا الاصلاح حتى يمكن أن نحقق معا هذا الوعد ونفتح بيوت الله . ولقد أرسل السيد وزير شئون مجلس الوزراء ووزير الدولة للحكم المحلى — جزاه الله خيرا — الى المحافظين بأن يعتنوا بالمساجد ، وأن يقوموا على اصلاحها ، ان وزارة الأوقاف متعاونة مع السادة المحافظين — بتلك الاعتمادات التى تم توفيرها — سوف تفتح — بمشيئة الله — الكثير من المساجد التى لا تحتاج الى اصلاح ، كما وعدتكم بالأمس ،مادام اعادة افتتاحها لا يكلف كثيرا .**

الشىء الآخر الذى تشكون منه ، ونشكو منه جميعا ، هو تبدد الكلمة على المنابر ، أو تشتتها وحدوث شىء من الفوضى والتوجيه السيىء فيها ، ولقد قلت وعرفتم أنه يتبع وزارة الأوقاف ٥٦٠٠ مسجد ، وأن هناك — حسب آخر احصاء — ٣٢ الف مسجد تابع للأهالى وللجمعيات الاسلامية ، وفى هذه المساجد يكون التوجيه فيها بحسب اتجاه الجمعية التى يتبعها المسجد ، أو بحسب ميول الخطيب ، كل وعلمه .. كل ومستواه .. كل وغرضه ، والكثيرون يشكون من هذه المساجد الأهلية ، ولا يجدون من يلصقون به العيب الا وزارة الأوقاف باعتبار أنها صاحبة المساجد انهم يعلمون هذه الحقيقة ، وهى أن هناك٣٢ الف مسجد غيرتابعة لوزارة الأوقاف .

ان المسلمين — جزاهم الله خيرا — يجتهدون فى بناء المسجد ، بهدف رفع كلمة الله ودعوة الله فى المساجد ، لكنهم بعد أن يقيموا المسجد، لا يعتنون بالانسان الذى توجه منه الكلمة الطيبة ، ومن أجل هذا كنت قد وضعت خطة لضم ١٠٠٠ مسجد كل عام ، ولكن الاعتمادات المدرجة لوزارة الأوقاف لم تسمح بضم هذا العدد هذا العام ، ومن ثم فقد وضعت النظام البديل الذى يمكن به أن نحافظ على مستوى الكلمة فى هذه المساجد ، ان بعض السادة أعضاء المجلس يأتون الى ويقولون لى ان لديهم مسجدا أهليا فى أسوان أو فى المنزلة أو فى المطرية ، أو فى دمياط .. فى حاجة الى خطيب ، ان وزارة الأوقاف ليس لديها خطباء يكفون لتلبية حاجة المساجد الرسمية ، ولذلك نستعين — عن طريق الندب — باخواننا العلماء ، لهذا وضعت خطة ، وهو أن نندب القادرين على الخطابة — سواء كانوا من علماء الأزهر أو من غيرهم — بعد دراسة أحوالهم ، للعمل فى المسجد ، وأن يؤدوا الخطبة فى المسجد ، وأن يؤدوا الدروس كذلك اذا استطاعوا — فى المسجد ، وتم رصد مكافأة مجزية لكل خطيب عن كل خطبة ، هذا بالاضافة الى أن وزارة الأوقاف تعطى للمسجد معونة تسمى معونة الشعائر لتساعد قارىء السورة والمؤذن والخدم فى رفع مستواه ، والذين يتعهدون باعطائهم شيئا ، سأساعدهم ايضا من ناحيتى على أن أعطيهم شيئا ، وبهذا يمكن أن يتوافر للمسجد الهدف الذى منه نضم المسجد وهو الخطيب الذى نعتمده ونطمئن اليه وندفع مكافأته ، وهذه المعونة أيضا تمنح لخادمى المسجد .

## اختيار الخطيب :

وارجو من حضراتكم جميعا — قبل أن تأتوا الى — أن تكونوا قد عرفتم من هو الخطيب الذى ترضونه للمسجد ، والذى تريدون أن يكون منارا للدعوة فعلا ، علما بأنه ليس فى نية الوزارة هذا العام ضم اى من المساجد ولكنى بحمد الله وعونه وجدت النظام البديل ، فمن يريد من حضراتكم أن يحسن الخطابة والأداء فى المسجد فعليه أن يختار خطيبا مؤهلا للخطابة سواء أكان من الأزهر أو من دار العلوم ، أو مثقفا ثقافة دينية من غير الأزهر ودار العلوم ، أو كان حاصلا على شهادة الكفاءة القديمة الالزامية ، حيث انه من الضرورى أن يكون مثقفا ثقافة دينية نعرفه ونطمئن اليه ونتندبه للعمل فى المسجد بمكافأة مجزية عن كل خطبة وايضا اذا قام بالقاء الدروس فسنعطيه كذلك مكافأة عن هذه الدروس ، وبهذا نستطيع سويا كل واحد فى مكانه أن يرتفع بمستوى الأداء فى المساجد وهذا هو جهد المقل ، لكن لا يمكن بأى حال من الأحوال أن نكف عن العمل وفى يدنا طاقة ولو قليلة لهذا العمل .

فانني أرجو من حضراتكم أيضا أن يكون الخطيب من البلد حتى لا يحتاج الى سفر ولا مؤنة ، وانني على استعداد تام تعيينه فى الحال بعد الاطمئنان لثقافته الدينية .

## دورة لدراسة اللغات :

الواقع أننى أريد أن انطلق كذلك بأسلوب الآداء وبالعمل فى وزارة الأوقاف ، فقد ترد الينا طلبات كثيرة من الخارج يريدون دعاة ويريدون مدرسين وائمة فى الخارج ولم يوجد عندنا المؤهلون للقيام بهذه الرسالة ، ومن أجل ذلك بدات العمل لاقامة دورة تدريبية للأئمة لاتقان اللغة الانجليزية، وان شاء الله سنبدأ فى أول مارس فى كلية اللغات والترجمة بالأزهر الشريف ، وتستغرق الدراسة عاما واحدا دراسة مكثفة حتي يمكن فى آخر العام أن نجد دعاة يتقنون اللغة الانجليزية ليذهبوا الى البلاد التى تطلب دعاة ومدرسين باللغة الانجليزية وسيتلوها ان شاء الله دورة أخرى لتعليم اللغة الفرنسية ، ثم دورة لتعليم اللغة الاردية فى البلاد التى تسود فيها الاردية ، وبذلك نعمل من الآن على أن نسد العجز الموجود ونرسل الى البلاد حاجاتها من الدعاة والمدرسين بما يحقق رسالتنا كأمة فيها الأزهر ولها مركزها الاسلامى والثقافى فى العالم ، وان شاء الله سنجد الميزانية التى تمكننا من تنفيذ هذا البرنامج

## ترجمة معانى القرآن .. هدية :

شىء آخر أبشركم به وقد أعاننى الكثيرون عليه وهو أن مصر حتى الآن لم تطبع ترجمة معتمدة لمعانى القرآن الكريم .

ولذلك شرعت بحمدالله، وعون الله، ثم بعون بعض اخوانى الوزراء وبعض السادة المسئولين فى وزارة المالية على طبع ترجمة لمعانى القرآن للعالم والمفسر والمترجم الهندى مولانا عبد الله يوسف علما ، وقد طبعتها السعودية وليبيا ، فانى أطبع ان شاء الله عشرات الآلاف من هذه الترجمة لأرسلها الى المحتاجين لها والذين نحتاج الى أن نعرفهم بالاسلام من منبعه الأصلى وستمنح نسخة من هذه الترجمة من يرغب دون الحصول على مقابل كهدية ، وأرجو الله سبحانه وتعالى أن يعيننى على أداء هذه المهمة وبالقدر الذى فى يدى والتوفيق من الله سبحانه وتعالى ومنه العون ، وكما قلت لحضراتكم بابى مفتوح لكل من تقع عينيه أو يقع علمه على خطأ نصححه معا ، وأيضا لكل انسان يتقدم حبا لوجه الله يدلنا على مال للأوقاف أو يدلنا على طريقة أحسن لاستثمار أموال الأوقاف ، فكلنا يعمل فى ميدان الله ، وكلنا يعمل لله سبحانه وتعالى ، وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ، والسلام عليكم ورحمة الله . .

ثم تحدث مرة أخرى الشيخ صلاح ابو اسماعيل والدكتور ابراهيم عوارة واعطيت الكلمة لبعض أعضاء المجلس فتحدث الدكتور ابراهيم شكرى رئيس حزب العمل فقال :

## الكل قام بواجبه :

ومن الملاحظ فى هذا الأمر أن الأمر قد اختلط ، فلقد استند الذين تقدموا بالاستجواب الى معلومات والى أسس والى صرخة تقدم بها السيد وزير الأوقاف غيرة منه على هذه القضية — ولا شك ان هذا واجبه — ولقد قام المستجوبون أيضا بواجبهم عندما تبين ان الأمر يستوجب لفت النظر بصورة أو بأخرى الى تصرفات لا يمكن الا أن يكون فيها نوع من المساءلة .

والواقع أنه من استعراض كل ما سمعناه نجد أن هذه المساءلة ليست موجهة بالتحديد الى وزير الأوقاف وانما هى ، فى الواقع ، مساءلة موجهة الى بعض الوزراء الذين شاركوا فى هذه التعديات عن طريق وزاراتهم وربما أيضا عن تصرفات تمت فى وزارات سابقة ، بل فى عهود سابقة .

ولا شك أنه عندما نستعرض الأمر يتبين لنا أن هناك أمورا يجب معالجتها ، وأن ليس المقصود هنا أن نثبت على السيد الوزير أنه قد أهمل أو تقاعس عن معالجة أمر ، بقدر ما أن الأمر الذى نتحدث فيه تجب معالجته .. وأن معالجته يجب أن تكون بواقعية وموضوعية، لا أن تكون معالجات تتمسك بمبدأ معين بحيث لا نستطيع الوصول الى نتيجة .

وعقب الدكتور رئيس المجلس على كلمة السيد ابراهيم شكرى بأن ما ذكره كلام موضوعى تماما.

وبعد أن تناول بعض الأعضاء الموضوع بتحقيق أقفلت المناقشة بالموافقة على تقرير لجنة الشئون الدينية والاجتماعية والأوقاف ( الذى أشرنا اليه ) عن هذا الموضوع والانتقال لجدول الأعمال ..

(( التحرير ))

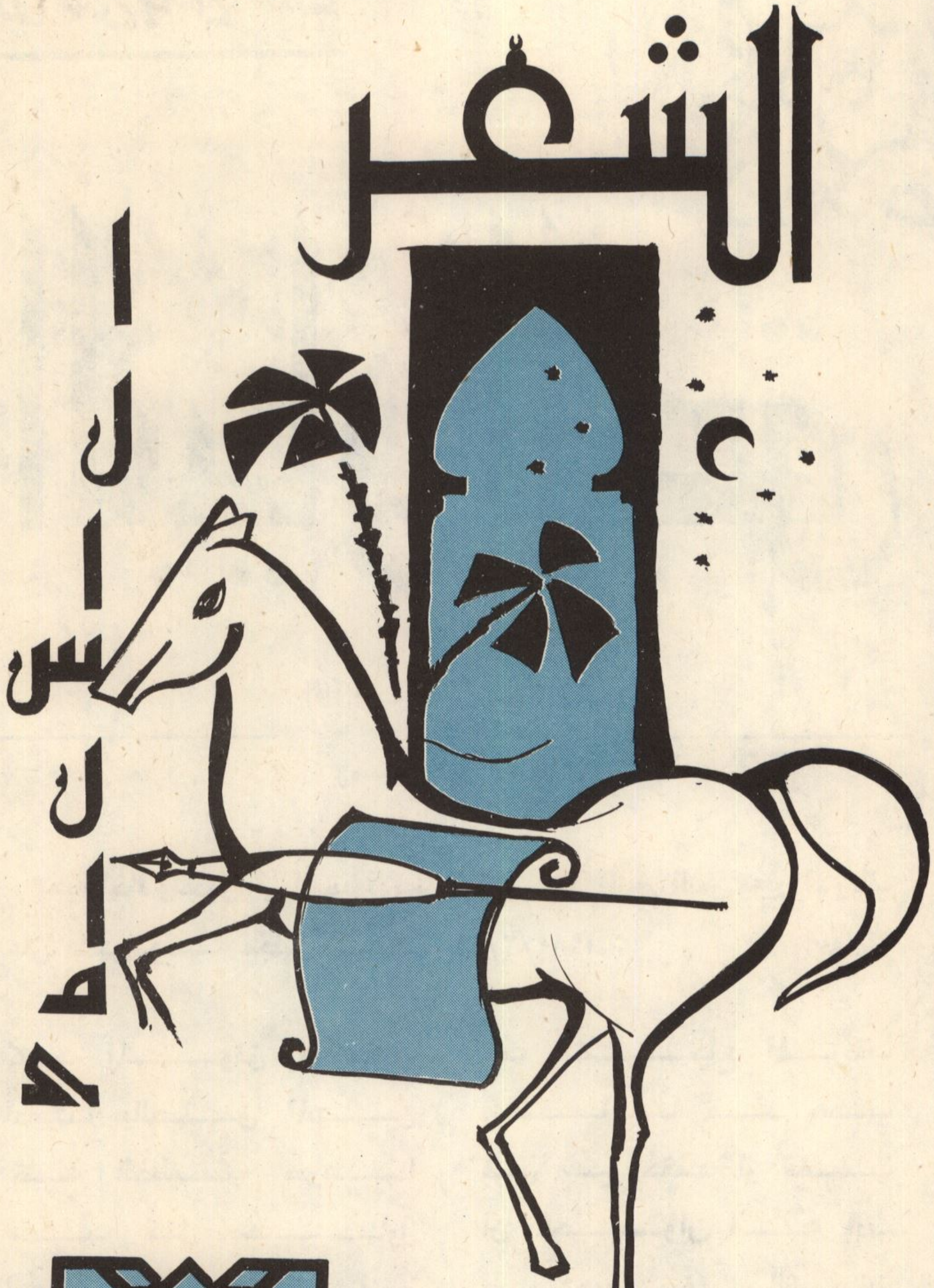
الشعر
الاسلامي

## على هامش مجلس الشعب

# البيان الحق

الأستاذ زكريا خورشيد

مستشار بوزارة الرى

تحية اخاء وتقدير الى السيد الأستاذ الدكتور عبد المنعم النمر وزير الاوقاف على هامش جلسة مجلس الشعب ٢٠/٢/١٩٨٠ :

كنت الموفق لاعجب ... كنت الشجاع المرتقب
أدليت بالحق المبين ... موضحا ما قد حجب
كنت الخطيب مفوها ... فى غير حقد أو غضب
علمت كل محاور ... أن الحوار له أدب
أفحمت كل معارض ... مستجوب يبغى الشغب
سر فى طريقك واثقا ... لا تلق بالا للصخب
والله ينصر جنده ... والله يخزى من كذب
أنت الذى علمتنا ... أن الريادة بالدأب
أد الرسالة جاهدا ... نجح الرسالة فى النصب
فالنمر مرموق الجهاد ... له صحائف من عجب

# فى دروب النور

الأستاذ حامد الجوجرى

يا رسول الهدى ونبع السلام ... يا بشيرا بالحب بين الأنام
كم لقيت الأذى فكنت عفوا ... قدوة للورى مدى الأيام
لست أنساك والصحارى لهيب ... ورمال الصحراء وقد ضرام
وخطاك الطهور ترسم بالنـ ... ـور خطوطا فى جبهة الأيام
بخطاك التاريخ نشوان يشدو ... للغد الحر غنوة الاسلام
رحلة قادت البرية للخير ... وشادت للكون ركن السلام
لك نفسى وأنت فى البيد تسعى ... فى شعاب الوديان والآكام
وجنود الشيطان خلفك جدوا ... كالوحوش الجياع فى الآجام
جمعوا جمعهم وقلبك بالايـ ... ـمان أقوى من زحف جيش لهام
قلت يا رب أنت ثالثنا اليوم ... فترد الجموع فرخ حمام
ليت شعرى وأنت فى موكب الفتـ ... ـح عزيز البنود والأعلام
وتهاوت نفوسهم صاغرات ... وتدانت أنوفهم فى الرغام
الطغاة العتاة صاروا غثاء ... اقض فينا ما شئت عدل انتقام
فاذا أنت أنت بر رحيم ... رغم أوزارهم ولد الخصام
قلت انى رسول بر وخير ... لا رسول العداء أو الانتقام
اذهبوا من قصاصنا طلقاء ... انما العفو من سمات الكرام

## بعين بصيرتي

# أبصرت ربي

الأستاذ المهدي محمود عبد الله

بعين بصيرتي أبصرت ربى
تبارك دون أستار وحجب

فأبصرت الضياء ينير قلبى
ويرشدنى لأسلك خير دربى

وشاهدت الرواء وقد تجلى
به الرحمن حتى شف قلبى

ومذ أبصرت لم ينبض فؤادى
بغير صبابتى فى ذات ربى

فلم يخفق بغير هواه مهما
تكبد فيه من محن وصعب

لذاك وجيبه فى كل وقت
وجيب مدله وهيام صب

فما من نبضة فى القلب الا
توجد مهجة فى خير حب

يردد ذكره فى كل آن
كم الترديد يحلو للمحب

قد اعتاد اللسان عليه اذ ما
رأى شغف الفؤاد بحب ربى

ويهفو كل آونة اليه
ويأمل أن يراه بكل دربى

ويرغب عن سواه وكل شىء
نهى عنه الحبيب بغير ريب

وذا دأب المحب يذوب وجدا
ويفنى فى الهوى والوجد يصبى

وان شف الفؤاد فكل شىء
يضاعف من صبابته ويسبى

فيا مولاى هبنى منك نورا
يزيد النفس أشواقا وحسبى

لتحيا فى ظلال الحب نشوى
وكى يحظى به فى خير قرب

# شخصيات

# إسلامية

# دراسة فى فكر الحكيم الترمذى

## فكرة الأنوار -٢-

الدكتور محمد ابراهيم الجيوشى

نتابع فى هذه الحلقة دراستنا لفكرة الأنوار عند الحكيم الترمذى وقد راينا فى المقال السابق انه يرى ان النور الالهى فى قلب المؤمن له مدائن وللمدائن أبواب يقول :

ولكل مدينة باب ولكل باب مفتاح ، وعلى كل باب ستر ، وبين كل باب وآخر حائط ، ومن وراء كل حائط خندق وكل باب من الأبواب ينبع من نور صفة من صفات الله سبحانه : فباب الفؤاد من نور الرحمة ، وباب الضمير من نور الرأفة ، وباب الغلاف من نور الجود ، وباب القلب من نور المجد ، وباب الشغاف من نور العطاء ، وباب المحبة من نور الألوهية ، وباب اللب من نور العطف ، ثم تتسلسل الأنوار فنور العطف من نور القربة ونور القربة من نور الشفقة ، ونور الشفقة من نور الارادة ، ونور الارادة من نور الارادة ، وهو من نور المحبة، ونور المحبة من نور المنة ثم يعقب على هذا التسلسل بقوله : وهو علم دقيق لا يمكن فحصه ، وهذه الأبواب التى ذكرها عليها ستور ، لكل باب ستر خاص وتلك الستور تمثل كل منها هى الأخرى صفة من صفات الله سبحانه وتعالى هى :

### الستور :

الجمال ستر باب الفؤاد ، والجلال ستر باب الضمير ، والسلطان ستر باب الغلاف ، والهيبة ستر باب القلب ، والقدرة ستر باب الشغاف والعظمة ستر باب المحبة ، والحياء ستر باب اللب ، والحياء ستر من ستر(١) الملك .

### المفاتيح :

ولكل باب من هذه الأبواب مفتاح هو فى الحقيقة صفة من صفات العبد تهيىء له هذه المفاتيح أو بالأحرى تلك الصفات ولوج الأبواب ثم دخول المدائن : فالاقرار مفتاح باب الفؤاد ، والتوحيد مفتاح باب الضمير ، والايمان مفتاح باب الغلاف ، والاسلام مفتاح باب القلب والاخلاص مفتاح باب الشغاف والصدق مفتاح باب المحبة والمعرفة مفتاح باب اللباب(٢) .

والصدر محيط بالفؤاد كالربض بالمدينة ، وهو مساحة عظيمة ، والصدر مصدر الأمور ، ومعدن المشورة والقضاء ، ومجلس الملك والعقل

(١) المصادر السابقة .

(٢) راجع غور الأمور ورقات ٢ ، ٣ والاعضاء والنفس ورقات ١٣٣ ، ١٣٤ .

وللمدينة التى هى الفؤاد أول مدائن النور أربعة أبواب شارعة الى الصدر وهو بمثابة ميدان عظيم ومجلس بهى فيه قناديل الرحمة ومصابيح النور تزهر فيه من النور الذى فى القلب وشموع لواحة تبرق بضوئها ونورها ، وفيه معادن ودرجات وفيه ساحة لسماطى الملك ومعسكره وموضع قضائه وتزيين الأعمال ومحشد الجيوش ومحث الجنود ، وستور الرحمة وله سبعة حيطان وسبعة خنادق(١) .

وهذه التفصيلات التى عرضها الحكيم لم تصوره موجودا فى ساحة الصدر والصورة التى أوردها للارتباط بين الصدر والفؤاد والقلب انما استمدها من فهمه للآية الكريمة :

« **مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية ..** » وقوله تعالى : « **أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه ..** » وقوله تعالى : « **وحصل ما فى الصدور** » وهو يؤيد فهمه للآيات الكريمة بما روى عن ابن عباس وأبى بن كعب فى تفسير آية النور : المصباح النور والزجاجة القلب ، والمشكاة الصدر وكذلك ما روى عن السدى : كما دخل هذا المصباح فى الزجاجة فأضاء ، فكذلك أضاء الصدر ثم نزل الضوء من الكوة وهى المشكاة فأضاء البيت وكذلك نزل النور من الصدر فأضاء الجوف كله وهو النفس .

ويتابع الحكيم تصوره لمدائن النور وما يحيط بها من ساحة وخنادق وحيطان تحميها من غارات العدو وهذه الخنادق والحيطان هى بمثابة استحكامات حول مدائن النور او خطوط دفاع تجعل اقتحام العدو لها صعبا عسيرا وهى سبعة حيطان يفصل بين كل اثنين منهما خندق ولكل حائط وخندق مخصوص ويستند فى هذه التسمية الى آيات القرآن الكريم ومنهجه أن يأتى باسم الحائط والخندق لأنه يرى أن لكل حائط خندقا ، ويورد من آيات القرآن الكريم الآية التى تشهد له ، ويلاحظ أن الحيطان والخنادق يستمد كل منها من صفة من صفات العبد التى تعبر عن مدى التزامه بآداب الدين ومثله وهى :

## الحيطان :

الحائط الأول وهو الذى يبين الصدر والنفس وهو من الاستعاذة .

(١) راجع غور الامور ورقات ٢ ، ٣ والاعضاء والنفس ورقات ١٣٣ ، ١٣٤ .

الحائط الثانى من الذكر ، والحائط الثالث من الاستنصار ، الحائط الرابع من الاستعانة ، الحائط الخامس من المجاهدة ، الحائط السادس من التوكل الحائط السابع من التسليم(٢) .

## الخنادق :

هناك أيضا سبعة خنادق هى الظفر والذكر والعون والنصر والهداية والخشية والنجاة ، ولكل حائط خندق وفى نسبة الخنادق الى الحيطان يستند الى آيات القرآن الكريم ، ويحسن بنا أن نأتى بما قاله الحكيم فى هذا الصدد .

١ ــ الظفر وهو خندق الاستعاذة من قوله عز وجل « فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم » وقوله « انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون » فوعد على الاستعاذة سلب سلطان العدو وسمى المستعيذ مؤمنا حيث قال : « انه ليس له سلطان على الذين آمنوا » وسمى المؤمن متوكلا حيث قال « انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون » .

٢ ــ الذكر وهو خندق الذكر من قوله تعالى « فاذكرونى أذكركم » فوعد على ذكرك له ذكرك لك ثم قال « ولذكر الله أكبر » جل ذكره وعظمته من أن يناله أحد كما هو له أهل وقيل فى الحكمة : ذكر العبد بين ذكر الرب ، يذكر الرب بالرحمة فيذكره العبد من ذكره له بالثناء والحمد والعبودة فيذكره الرب بالتوبة والشكر والمغفرة والقبول فذكر الله حرز وثيق وحصن حصين .

٣ ــ العون وهو التوفيق وهو خندق الاستعانة اذ أمر بذلك فى أم الكتاب والسبع المثانى والقرآن العظيم وشرط العبد على نفسه أن نصفه له ونصفه لعبده وان لعبده ما سأل ، فقال : قل « اياك نعبد واياك نستعين » ثم قال « واستعينوا بالصبر والصلاة » فشهد لمن استعان به بالخشوع واليقين بلقائه والرجوع اليه عند البعث فقال : « وانها لكبيرة الا على الخاشعين الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون » فالهداية لمن استعان به اذ قال « واولئك هم المهتدون » .

٤ ــ النصر وهو خندق الاستنصار من قوله عز وجل « ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح » أى أن تستنصروا فقد جاءكم النصر فوجد النصر على

(٢) راجع غور الامور ورقات ٢ ، ٣ ، والأعضاء والنفس ورقات ١٣٣ ، ١٣٤ .

حد الاستنصار حيث قال : فقد جاءكم النصر ، ثم قال : « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم » .

٥ ـ الهداية : وهى خندق الجهاد من قوله تعالى « وجاهدوا فى الله حق جهاده » .. فأمر بالجهاد حق الجهاد ثم بين لهم منزلتهم عنده وخصوصيتهم فقال مبرزا المنة عليهم طالبا لشكره منهم ( هو اجتباكم ) فأنتم أهل جبايتى جبيتكم من بين خلقى فأنتم عبادى المجتبون ثم ابرزهم والطفهم واظهر لهم العذر وبين لهم الحجج فانه لم يأمرهم ولم يحملهم ما لا يطيقون فقال : « وما جعل عليكم فى الدين من حرج » ثم نسب ملتهم الى ملة ابراهيم » خليله يحرضهم عليها فقال « ملة أبيكم ابراهيم » وشهد لهم بالنبوة لابراهيم ملة ابيكم اى كأنه اراهم من نفسه انى بكرامة الاباء الحق بهم الأولاد واحفظ لهم واتعاهدهم من ذلك قوله « والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم » ومن قوله : «وكان أبوهما صالحا» أى انما حفظت كنزهم تحت ذلك الجدار وعنيت خليلى الخضر باقامته لسبب صلاح أبيهم ثم قال « رحمة من ربك » فان رحمتى قريب من المحسنين ثم قال « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين » فوعد على الجهاد الهداية لسبيله لا لسبيل واحد ثم شهد له بالاحسان ونصره ، رجعنا الى ما كنا فيه فقال « هو سماكم المسلمين «فشهد لهم بالاسلام ونسب تلك التسمية الى خليله ابراهيم اى انه ابوكم ومن احق بتسمية الأولاد من الاباء يودد خليله وملته اليهم ثم قال : « وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس » حيث تجحد الأمم تبليغ رسل الله اليهم الحجج وكتب الله ثم ذكر فى آخره : « واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير » فمدح نفسه بالمولى والنصر حيث يتولى أموركم الكافر والمسلم وينصركم اذا استنصرتموه ويرضى باليسير ويشكر الكثير ويكرم المطيع ويرحم العاصى ويقبل التوبة والحسنة ويضاعفها ويحط السيئة أو يبدلها ويرفع الدرجة ويقيل العثرة .

٦ ـ الخشية وهى خندق التوكل من قوله: «ومن يتوكل على الله فهو حسبه » ومن قوله : «فعليه فتوكلوا ان كنتم مسلمين » فشهد على المؤمن بالتوكل .

٧ ـ والنجاة وهى خندق التسليم حيث ذكر من شأن ابراهيم وابنه : فلما أسلما وتله للجبين وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا » ثم قال وفديناه بذبح عظيم» ونجيناه من الغم ثم وعد من فعل فعله أن يعامله معاملته فقال وكذلك ننجى المؤمنين ، ثم شهد له بالايمان وسماه عبده فقال : «أنه من عبادنا المؤمنين» ثم قال : «انا كذلك نجزى المحسنين » والاحسان ها هنا الاخلاص اى اختلص نفسه من نفسه ووفا لربه بما أمره وتوكل عليه(١) .

## اسس الحيطان :

وتقوم الحيطان السبعة التى أشار اليها الحكيم على اسس ثابتة تضمن استمرارها قوية صامدة وهذه الأسس هى : الشكر ، الرضا ، الصبر، الاخلاص النية ، القبول ، والاقرار .

وعلى الرغم من تعدد هذه التحصينات التى تصورها الحكيم لحماية مدائن النور من أن يقتحمها العدو فان هناك احتمالا ؟ ان ينام الحراس ويغفل القائمون على شؤونها أو يفتر العسكر لأمر من الأمور فتتسلل اهواء النفس وشهواتها الى ساحة القلب وتحاول أن تنال من الحيطان أو تحدث بها ضعفا او ثلما أو نقبا بسبب آفة من الآفات حينئذ كان لابد أن يكون هناك جهاز خاص بالصيانة والترميم وتعاهد المناطق الضعيفة بالتقوية والاصلاح والتقويم حتى لا تنهار ، ويتمثل هذا الجهاز فى ثمانية أعضاء هى : التهليل ، التحميد ، التكبير ، التمجيد ، الاستسلام ، التسبيح ، الاستغفار ، الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم .

وتكون هذه الثمانية بمثابة منابع للقوى تغذى القلب وتجدد نشاطه ، وتعينه على بث شعاعه فى كل منطقة من مناطق نفوذه فلا يدنو منها اى خاطر مظلم من خواطر النفس وهواجسها .

واستكمالا للصورة كما رسمها الحكيم وكما تؤخذ من كتاباته نقول : انه يرى ان الصدر الذى يعتبر ساحة وربضا للفؤاد يؤدى اليه اربعة أبواب شارعة من الفؤاد الذى هو اول مدائن النور وفى الجانب الآخر من الصدر بابان مؤديان الى النفس يفد منهما شهواتها واهواؤها ورغباتها التى تحاول ان تحتل ساحة الصدر ، وتسعى للتغلب على نور القلب حتى يظل ضعيفا لا يقوى على مقاومة عدوانها ولا يستطيع التقدم الى الصدر والاستيلاء عليه وطرد أهواء النفس ورغباتها من ساحته .

ولعل صورة هذا الصراع الذى يتخذ من الصدر ساحة له يلقى ضوءا أكثر على ما تصوره الحكيم من وجود الحيطان والخنادق والأسوار

(١) غور الامور ورقة ٤ ، ٥ ، والاعضاء والنفس ورقة ١٣٤ ، ١٣٥ .

محيطة بأولى مدائن النور وهى الفؤاد ، وكذلك يفسر لنا جانبا من تصور الحكيم للصراع الدائم فى داخل الكيان الانسانى الذى دعاه الى اضافة جهاز للصيانة والحفظ والتجديد ليكفل الحماية الدائمة لمدائن النور من غارات الأهواء والشهوات التى تتخذ من دائرة النفس مركزا لها توجه منه هجماتها وتعد خططها .

ويمضى الحكيم فى تصوره فيسمى هذه الابواب بأسماء خاصةلها ـ البسة ـ وستور ـ وطراس وبالنسبة للبابين الموصلين بين الصدر والنفس يقول :

**أبواب النفس :**

ان للصدر بابين شارعين الى النفس هما : باب الأمر وباب النهى ، ولهما بوابان موكلان بهما هما المشيئة والقدرة . وعليهما ستران من الجبروت والملكوت .

وعلى البوابين لباسان من نور الوحدانية ونور الألوهية ، حشوهما الرأفة ، واللطف ، والعطف ، والرحمة .

ونسيجهما من نور السلطان ونور العظمة ، ونور الهيبة ، ونور الكبرياء . ولا يستطيع الباحث وهو يتابع الحكيم الترمذى فى تصوره لهذا الصراع الدائر فى جوانح النفس الانسانية الذى يقوم على اعتبار النور النابع من القلب مصدر الهداية والنور الى جانب اعتبار النفس أساس الشرور التى تتمثل فى أهوائها وشهواتها نقول لا يستطيع الباحث أن يدفع عن خاطره فكرة النور والظلمة التى تقول بها الزرادشتية والديانات الفارسية القديمة التى كانت سائدة فى منطقة ما وراء النهر قبل الاسلام ، وامكانية تسلل هذه الفكرة بوعى أو بدون وعى الى احساس الحكيم ووجدانه وتلونها فيه تلون فكره وتوجه تصوره للخير والشر والسلوك الانسانى فى مظاهره المختلفة ومجالاته المتعددة ، وقد يكون الحاح الحكيم الدائب وتركيزه على فكرة نور القلب وظلمة الشهوات داعيا الى الأخذ بعين الاعتبار شيئا مثل هذا وقد يكون ذلك سببا من الأسباب التى دعت بعض الباحثين الغربيين وتابعهم عليها الدكتور عبد المحسن الحسينى فى كتابه نظرية المعرفة عند الحكيم الترمذى الى القول بأن الحكيم كان ينحو فى تفكيره منحى الغنوميين أو يتابع خطاهم ، الا ان الانصاف يقتضينا أن نوضح ان مثل هذا التأثير بعيد كل البعد عن فكر الرجل ومنهجه لأن شيئا مثل ذلك لم يبد من قريب أو من بعيد فى كتاباته ومناقشاته على الرغم من ان شيئا مثل ذلك يظهر عادة فى كتابات المفكرين ، ولكن الخط الظاهر الواضح ان فكر الحكيم وتصوره ونظرياته قائمة أولا وأخيرا على فهمه لكتاب الله سبحانه ودراسته العميقة المتأملة أيضا وفهمه لحياة النبى صلى الله عليه وسلم ومتابعة خطاه، ولعلنا حينما نستحضر فى أذهاننا فكرة الاسلام وغيره من الديانات السماوية عن النفس والشيطان لا نجد ترددا فى رفض فكرة التأثير بالديانات الفارسية القديمة خاصة وان الوحى للأنبياء والرسل كان سابقا على هذه الديانات وان دعاتها ربما يكونون قد تأثروا بفكرة الوحى الأولى وحوروها الى ثنائية النور والظلمة واله الخير والشر .

**كلمة :**

■ **الدنيا كبيرة ، والناس كثيرون .**

**[ وما يملأ العين متنوع ، وما يملأ الرأس لا حدود له .. ]**

**[ وما يوقظ الوجدان ، يتجدد يوماً بعد يوم .. ]**

**« أنور السادات »**

# مَعْرُوف الكَرخِي

فضيلة الشيخ محمد على الطعمى

من

رحمة الله على عباده ، ان طريق المعرفة اليه مفتوح الى يوم القيامة، وليس فيه معوقات تمنع السالكين من الوصول الى رضاه ، ما دام السالك عرف الطريق المستقيم ، والتزم بضوابط الشريعة التى جاءت بموازين العدالة من السماء .

والوحدانية هى الحق الذى لا يحتمل الجدل ، ومن غيرها لا تكون معرفة ، ولا ينجح سالك فى سلوكه ، ولا يطمئن القلب المتشكك الحيران ، لأنها اللمحة الربانية التى تعطى العطاء اللا محدود ، فيسعد بها ناس لم يكونوا سعداء .

وبالاخلاص لله فى الوحدانية ، نال رجال أعلى الدرجات العلمية والأخلاقية ، فهرع اليهم الطلاب من كل فج ، ليلتمسوا منهم القيم والمثل والخلق البناء ، وليأخذوا عنهم ألوانا شتى من العلم ، جعلتهم فيما بعد من جهابذة الهداة الذين يصقلون العقول ، ويكونون الشخصية ، ويلقون الضوء على القابعين فى الظلام .

ومعروف الكرخى ، من هؤلاء السادة المتفوقين ، الذين اطمأنت قلوبهم بالوحدانية من أول وهلة أراد فيها المسيرة الى الله ، فأشرق كل شىء فيه بالحق ، وأخذ يسمو فى عالم الاشراق شيئا فشيئا ، حتى لمس بقلبه الصفاء الروحى ، الذى هو مطلب الصوفية الخلصاء .

## نسب معروف ورده على من اتخذ مع الله شريكا:

ومعروف الكرخى فارس الأصل ابا واما ، واسم ابيه فيروز أو الفيرزان ، وقد ولد فى قرية نهر بان من اعمال واسط بالعراق ، فلما ترعرع عوده ارسله والداه وكانا نصرانيين الى راهب المدينة ، ليعلمه شئون دينهم ، فقال له الراهب : قل الأب والابن وروح القدس : فقال معروف : بل الله واحد : فضربه الراهب وشدد عليه فى الضرب فلم يزدجر معروف ، فضاعف له الراهب العقوبة ، فهرب معروف من وجهه ولم يعد اليه ولا الى أبويه ... وساح فى الأرض ، فلما علمت أمه بالحقيقة حزنت عليه وبكت من اجله بكاءا مرا ، وقالت : لئن رد الله على معروفا لأتبعنه على أى دين كان : ثم ظلت تترقب وصوله ، فرجع اليها بعد سنين طويلة ، فقالت له : يا بنى على أى دين أنت ؟ قال : على دين الاسلام ، قالت : اشهد أن لا اله الا الله ، واشهد أن محمدا رسول الله : وهدى الله بقية الأسرة ، فأسلمت لله رب العالمين .

أما الى اين ذهب معروف عندما هرب من الراهب ؟ فالمؤرخون يقولون انه هام فى دنيا الله، وأخذ يتنقل من مكان الى مكان حتى ورمت قدماه وتمزقت ثيابه ، حتى وصل الى الكوفة ودخل مسجدها ، فوجد حلقة واسعة من الناس يلتفون حول رجل أشهب ، فى وجهه اشراقة يشوبه حزن عميق ، فسمعه يقول « من أعرض عن الله بكليته أعرض الله عنه جملة ، ومن أقبل على الله بقلبه ، أقبل الله عليه برحمته » فوقع هذا الكلام فى قلب معروف واتجه الى الله أن يهديه الى سبيل الرشاد ، وهنا قطع الشيخ كلامه ، وقال فى صوت عذب جميل : أين الفتى الذى دخل علينا الآن ؟ فامتدت الأيدى الى معروف وحملته اليه ، فمسح الشيخ على رأسه ، وقال : أهلا بالهارب الى مولاه ، أهلا بمن تحبوه عناية الله ، أهلا بمن طلق دنياه واستقبل أخراه : ثم سأله ما شأنه ؟ فذكر له معروف انه ذهب الى راهب ليتعلم عنده ، فشط فى العقيدة وعدد الاله ، فقال الشيخ : ادع للراهب بالهدى ، فانك مجاب الدعوة ، فدعا له معروف ، فأسلم الراهب بعد حين .. وقال الشيخ : هيا بنا يا معروف « قال : من انت يا سيدى ؟ والى أين تذهب بى ؟ قال الشيخ : أنا ابو العباس ابن السماك ، وسأذهب بك الى سيدى على الرضا ، أستاذ الدنيا وأعلم العلماء وأتقى الأتقياء فى زمانه .

ووقف الاثنان ، ابن السماك ، ومعروف ، بين يدى على الرضا ، بن موسى الكاظم ، بن جعفر الصادق ، بن زين العابدين ، وبعد حوار قصير أسلم معروف ، ولزم ـ الرضا ـ وعاش مع ابنائه ، واخذ يغترف من مواهب آل البيت ، فنال علما غزيرا ، وادبا جما فشملته بركاتهم ، فصار حجة فى الفقه والتفسير والحديث وعلم الكلام ، فانتهت اليه الزعامة العلمية فى عصره ، واصبح المفتى الذى لا يبارى فى فتياه ، والمجتهد الذى وصل الى مرتبة الاجتهاد ، وقد اعترف له العلماء بأنه مجدد القرن الثانى للهجرة ، وكان يلقب بينهم بامام بغداد .

## أعلام الحديث الذين اخذ عنهم معروف :

ومن شيوخ معروف الذين أخذ عنهم علم الحديث ، بكر بن خنيس ، والربيع بن صبيح وغيرهما ، ومن تلاميذه الذين اخذوا عنه الحديث ، خلف بن همام ابزار ، وزكريا بن يحيى المروزى ، ويحيى بن ابى طالب ، ثم انه عاصر هارون الرشيد وصاحب داود الطائى ، وتتلمذ عليه السرى السقطى ، واخذ عنه الطريقة الصوفية الجنيد البغدادى الذى له باع طويل فى هذا المضمار ...

ولمعروف لقاءات كثيرة بجهابذة العلماء برز فيها فضله ، وظهر علمه ، ثم توج لقاءه معهم بالمنطق والدليل ، فلفت اليه انظار الفقهاء والمحدثين ، وفى لقاء له مع احمد بن حنبل ، قال له : ما علامة رضا الله سبحانه وتعالى ؟ قال معروف : اذا أراد الله بعبد خيرا ، فتح عليه باب العمل ، واغلق عنه باب الجدل ، واذا أراد الله بعبد شرا ، أغلق عنه باب العمل ، وفتح عليه باب الجدل : قال ابن حنبل : حسبى وحسبك اليوم هذه الكلمات فهى جماع الهدى .

والجدل مكروه فى كل شىء ، وقد يكون حراما اذا دار فى حلقة مفرغة ، ولم تعرف له بداية من نهاية ، ومن هنا اشاد معروف بالعمل ورآه خيرا مطلقا ، كما انه كره الجدل ورآه شرا مطلقا .

ويكفى معروف فخرا ان احمد بن حنبل ، شهد له بأنه من الراسخين فى العلم ، قال ابن منصور ، سمعت جدى يقول ، كنت عند أحمد بن حنبل ، فذكر الحاضرون معروفا الكرخى ، فقال رجل منهم ، انه قصير العلم ، فقال ابن حنبل ، امسك ـ عافاك الله ـ وهل يراد من العلم الا ما وصل اليه معروف .

اذن كان معروف عالما من الطراز الأول ، له مكانته المرموقة بين العلماء ، وله حجته البالغة فى الفتيا ، ثم انه كان واعظا لبيبا ، يعرف كيف يعظ ؟ ومتى يعظ ؟ وأين يعظ ؟ ويعرف كيف يسكت حين يحمد السكوت ؟ ولقد أدى دورا بارزا فى حياة الناس ، فعقد بينهم مجالس العلم ،

وحذرهم فيها من عاقبة الهوى والانزلاق وراء الشيطان ، وفى الوقت نفسه دعاهم الى التوبة من ذنوبهم ، وفتح لهم باب الأمل والقبول ، فاهتدى على يديه عشرات الألوف من المنحرفين ، واستجابوا لله والرسول .

## مواعظ معروف :

**ولم تقف مواعظ معروف على المساجد ودور العلم والمجتمعات العامة ، بل طرق أبواب الخلفاء والوزراء والحكام ، وأخذ يحضهم على العدل بين الناس ويدعوهم للشفقة على الرعية ، ويوجههم الى سعادة بنى الانسان .**

**وهذه لمحة من وصايا معروف طلبها منه سائل فقال « توكل على الله حتى يكون جليسك وأنيسك وموضع شكواك ، وأكثر من ذكر الموت حتى لا يكون لك جليس غيره ، واعلم أن الناس لا ينفعونك ولا يضرونك ، ولا يعطونك ولا يمنعونك » .**

وهذه موعظة تشرق بها النفس الجامحة فى هواها ، الموغلة فى رزائل الخطيئة ، ولو أن هذه الموعظة قرعت قلبا غفلا ، لتفتحت مغاليقه ، واستجاب لنداء الله ، فلتكن الموعظة على هذا النمط ، والا كانت زعاقا يطرب الآذان ، ولا يطرب القلوب .

حكيم معروف الكرخى أى حكيم ، وداعية الى الله بالقول والعمل ، ثم هو مخلص فيما يقول ويعمل ، متخذا من ربه رقيبا عليه ، استمع اليه يقول « ما أكثر الصالحين .. وأقل الصادقين فيهم » ؟ ثم يقول « لولا اخراج حب الدنيا من قلوب العارفين ، ما قدروا على فعل الطاعات ، ولو كان احب الدنيا ذرة فى قلوبهم لما صحت منهم سجدة واحدة » .

وبصراحة .. تلك لفتة روحية من معروف ، لا يخاطب بها الناس كل الناس ، وانما يخاطب بها ذوى المذاقات الربانية الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ، وتتلاقى قلوبهم على هتافات الصدق مع الخالق فى حركاتهم وسكناتهم ، فلا يكون للدنيا عليهم سلطان أو مشغلة ، حتى لا تفتنهم عن موقعهم المحمود ، وهذه سمات العارفين الذين ذاقوا وعرفوا ووصلوا ..

والعارفون بالله لا تزحزحهم الجبال الرواسخ عن المعرفة ، ولو ابتلوا بنقص فى الأموال والأنفس والثمرات ، لأن الدنيا بما فيها وما عليها لا تساوى عندهم جناح بعوضة ، ولو كانوا غير ذلك لما صحت منهم السجدات .

## رأى معروف فى العلماء ونصائحه :

**ومن حكم معروف قوله « اذا عمل العالم بعلمه استوت له قلوب المؤمنين ، فلا يكرهه الا من فى قلبه مرض » وهذه حقائق علمية واضحة ، لأن العالم اذا عمل بما علم ، حبب الله فيه قلوب العباد ، فهفت اليه وصفت له واستجابت لما يقول ولا يشذ عن ذلك الا مريض بالنفاق ، واذا لم يعمل العالم بعلمه ، كان مصيبة على نفسه أولا ، ومصيبة على المسلمين ثانيا ، فيبغضه الناس ، ولا يوضع له القبول فى الأرض، ولو كان فصيح اللسان قوى الجنان .**

ولكيلا ننسى ينبغى أن نقول ، ان معروفا الكرخى ، كان صوفيا ماهرا ، له مدرسته وله منهجه ، وله تلاميذه ، وفى اجتماعاته بهم ومحاضراته لهم ، كان يلقى عليهم النصائح والتوجيه ، وطالما حذرهم فيها من مفاتن الدنيا والركون اليها ، وكثيرا ما دعاهم الى الاعتماد على النفس ، وزهدهم مما فى أيدى الناس ، ومن ذلك قوله « التصوف الاخذ بالحقائق واليأس مما فى أيدى الخلائق » .

وليس هنالك شك فى أن التصوف دعامة اسلامية بالغة ، قوامها الكتاب والسنة ، وملاكها الزهد والعمل ، ولو لم يكن كذلك ، لكان هزلا فى صورة جد ، وتهريجا من غير حق ، وكان رجلا فاضحا ، وضلالة هدامة ، وكل ضلالة فى النار ..

ومن نصائح معروف قوله « ان الولى لا يكون وليا الا اذا قام بواجبه حيال الأمة الاسلامية ، مصلحا لأمورها ، مفرجا لكروبها ، راحما لأفرادها » .. وهل للولى مفهوم غير هذا المفهوم الجميل ؟ الذى يدعو كل ولى الى القيام بواجبه نحو المسلمين ، من خدمات اجتماعية ، تصقل أخلاقهم وتزكى نفوسهم ، وتبث فيهم روح الاخاء والتصالح والتسامح ، ليعيشوا سعداء فى مجتمع سعيد ، يعرف ما له من حقوق ، وما عليه من واجبات ، ذلك لأن الولى لا يقنع أن يكون مهديا فى نفسه ، بل عليه أن يحث الآخرين على الهداية ، وينقلها اليهم فى اطار محبب كريم ، ولئن لم يفعل ، كان أنانيا وفرديا ومعزولا عن فعل الخير ، وكان أيضا من الذين يهدمون ولا يبنون .

**عظيم معروف الكرخى .. انه يحب الأسرة الانسانية ككل ، لا يفرق بين أحد من أبنائها ، لأنهم من جنس واحد ، وان اختلفوا لغة وشكلا ودينا ، ومن حبه لهذه الأسرة الكريمة ، كان يدعو العصاة منها بالتوبة ، ويدعو الطائعين بزيادة الطاعة ، قال ابراهيم الأطروش : كنا جلوسا على نهر دجلة ببغداد ، فرأينا شبانا مخمورين فى زورق ، وهم يطبلون ويزمرون ، فقلنا أما تنظر الى هؤلاء يا معروف ؟ انهم يعصون الله فى الماء .. ادع عليهم : فقال اللهم فرحهم فى الآخرة :**

**فقلنا كيف تدعو لهم ونحن نقول لك ادع عليهم ؟ قال اذا فرحهم فى الآخرة تاب عليهم فى الدنيا ، وهذا لا يضركم فى شىء ..**

وليس هنالك غضاضة على معروف اذا أحب العصاة ودعا لهم بالتوبة ، ما دامت رحمة الله تسع الخطائين وغير الخطائين ، وكيف يلام معروف على هذا الدعاء ، وهو يرجو الخير لغيره كما يرجوه لنفسه ، انظر اليه يقول « ليس بمسلم من اهتدى فى نفسه ، وقنع بذلك ، ولم يجاهد لينقل هداه الى كل انسان » وهذا جهاد شاق وصعب ، ولا يستطيعه الا قادر تحدوه عناية الله .

ومع أن معروفا كان مشغولا بالمجتمع الذى يعيش فيه ، والمجتمع مشغول به ، الا انه لم ينس القيام بواجبه مع الله ، فقد قالوا عنه ، انه كان اذا جن عليه الليل يذكر ربه ويطيل فى الذكر ، ويستغفره ويطيل فى الاستغفار ، ثم يبكى ويعاتب نفسه ويضربها ويقول : يا مسكين !! كم تبكى وتندب اخلص وتخلص ؟؟ وذكر اصحابه ، انه كان اذا جلس معهم يتفكر طويلا فى خلق السموات والأرض ، ثم يفزع ويقول .. واغوثاه بالله ، **وعن أبى بكر بن أبى طالب ، قال دخلت مسجد معروف ، وكان فى منزله فخرج الينا ، ونحن فى جماعة ننتظر الصلاة ، فقال السلام عليكم ورحمة الله ، فرددنا عليه السلام ، فقال : حياكم الله بالسلام ، ونعمنا واياكم فى الدنيا بالاحسان ، ثم تهيأ للأذان ، فلما شرع فيه ارتعد واضطرب وانحنى حتى خفنا عليه ألا يتم الأذان .**

**واجمل ما فى معروف ، انه كان مخلصا فى عبادته ، لا يرائى فيها ولا يحب أن يتحدث عنها ، علما انه كان يتحرك للعبادة من صدر الليل الى صلاة الفجر ، غير عابىء بالسهر الطويل الذى يقضيه فى طاعة الله تعالى ، وكان يحلو له ان يردد هذين البيتين بين آونة وأخرى ..**

**أى شىء تريد منى الذنوب**
**شغفت بى فليس عنى تغيب ؟**
**ما يضر الذنوب لو اعتقتنى**
**رحمة لى فقد علانى المشيب ؟**

**ادعية معروف :**

**ولمعروف الكرخى ادعية حافلة بالآهات والزفرات ، وهى تقف بالمسلم موقفا وسطا ، تجعله بين الرجاء والخوف ، ونحن نذكر منها هذا الدعاء « اللهم لا تجعلنا بثناء الناس مغرورين، ولا بالستر منك مفتونين ، اللهم اجعلنا ممن يؤمن بلقائك ويرضى بقضائك ويقنع بعطائك ، ويخشاك حق خشيتك ، اللهم اوف ظنون المسلمين فينا ، ووفقنا لوفاء ظنونهم ، واجعلنا خيرا مما يظنون ، ولا تؤاخذنا بما يقولون ، انت تعلم وهم لا يعلمون .. » ..**

ومعروف فى هذا الدعاء يحذر من الغرور والزهو وثناء الناس ، فكان يدعو الله أن يتقبل منه العمل ، ولا يجعله مفتونا بالمديح وكثرة الاطراء ، ولا يجعله من القانطين ، ومن هنا زاد احترام الناس لمعروف وبجلوه وهابوه ، وكان اذا نزل بهم ضر هرعوا اليه ليدعو لهم ، فقد كان مباركا ومستجاب الدعاء ، ويدعو للمؤمنين والمؤمنات من غير استثناء .

وقد ظل معروف يعمل فى حقل الحياة ويحرص على هداية الناس ، وينصح لهم ، ولا يألو جهدا فى مقاومة نزعاتهم واصلاح شئونهم حتى قال من قال « ما رايت انصح للمسلمين من معروف » !! ومن كثرة الاجهاد مرض معروف ولم يستطع القيام بواجبه الدينى ، فلما اشتد عليه المرض ، قيل له بماذا توصى ؟ فقال اذا مت فتصدقوا بقميصى هذا ، فانى أحب ان اخرج من الدنيا عريانا ، كما دخلت اليها عريانا .

**وفاة معروف :**

**ولقى معروف حتفه فى بغداد سنة ٢٠٠ هـ — ٨١٦ م ، ودفن فى مقبرة الدير بالكرخ ، وقد أقيم على قبره ضريح فخم ، ثم شيد حول الضريح مسجد عظيم ، لا ينفك عنه الزوار للصلوات والعبادات والتباريك .**

**ومن عجيب الصدف ، أن — معروفا الكرخى وأبا نواس — ماتا فى يوم واحد ، وشيعت جنازتهما فى لحظة واحدة ، فخرج الناس جميعا وراء جنازة معروف ، ولم يخرج وراء نعش ابى نواس الا رجل واحد ، فلما رجع المشيعون من جنازة معروف وراوا نعش أبى نواس لم يلتفتوا اليه ، فقال رجل منهم : أيها الناس ، لقد جمعنا الاسلام مع أبى نواس ، ولعل باطنه كان خيرا من ظاهره ، فلا تقنطوه من رحمة الله ، فرجع الناس وصلوا عليه وشيعوه الى مثواه الأخير .**

وسكن معروف المقابر ، بعد ان أدى دوره البناء مع المسلمين ، حيث كافح الرذيلة واخمد المعصية ونشر العلم ، وأصلح بين ذوى الخصومات وانار الطريق للمدلجين ، فأكرمه الله تعالى بالنظر الى وجهه الكريم .

**قال السرى السقطى رايت « ابا محفوظ » معروفا الكرخى فى النوم ، كانه تحت العرش والبارى جلت قدرته يقول لملائكته : من هذا ؟ وهم يقولون : انت — يا ربنا — أعلم به منا ، فقال سبحانه : هذا معروف الكرخى سكر من حبى فلا يفيق الا بلقائى .**

**هنيئا لأستاذ السالكين ومربى العارفين — معروف الكرخى — هنيئا له بما أعده الله له من مثوبة كبرى فى جنات النعيم ، جزاء علمه وعمله وتصوفه وزهده ، والله ذو الفضل العظيم .**

# شخصية فى سطور

# ابن سينا

## أشهر الحكماء والأطباء

إعداد مسعد محمد الديب

- هو ابو على الحسين بن عبد الله بن الحسين بن على بن سينا .. ابوه من اهل « بلخ » وتزوج من قرية « أفشنة » بالقرب من « خرمتين » فولد له ابن سينا عام ٦٨٠ م ومات والده وعمره ٢٣ سنة .

- تقلب فى العديد من المناصب فى « بخارى » ، وعمل قاضيا فى « كوركانج » ، وشفى الله على يديه شمس الدولة سلطان « همذان » فعينه قائدا لجيشه ، ثم عينه وزيرا له ، ثم عزله من الوزارة ، ولما عاوده المرض مرة أخرى عالجه ابن سينا فشفاه الله على يديه هذه المرة أيضا ، فعينه وزيرا للمرة الثانية . وظل فى الوزارة الى وفاة شمس الدولة .

- وفى « همذان » تعرف ابن سينا على « الجرجانى » وتتلمذ عليه .

- بعد موت شمس الدولة وتولى ابنه على السلطة رفض ابن سينا الاستمرار فى الوزارة ، واختفى فى منزل أحد أصدقائه أربعين يوما ، راسل خلالها السلطان علاء الدين سلطان « أصفهان » سرا ، عرض عليه باللجوء اليه وحمايته ، فلما علم بذلك سلطان « همذان » سارع بالقبض عليه وأودعه السجن ، وبعد أربعين يوما خرج من سجنه أثر حملة للسلطان علاء الدين الى « همذان » .

- رحل ابن سينا بعد خروجه من السجن الى « أصفهان » وبقى فيها تحت رعاية سلطانها الى آخر أيام حياته ، وهذه الفترة من أعظم فترات حياته العلمية ، وكان يقضى سحابة يومه بصحبة السلطان وسواد ليله فى الاطلاع . وكان السلطان يخص حلقاته العلمية كل يوم جمعة بالحضور والاشراف عليها .

- وفى آخر حياته انتابه مغص معوى ، فاستدعى أحد الأطباء ، وطلب اليه أن يركب له دواء بطريقة معينة وصفها له ولكن الطبيب أخطأ فى تركيب الدواء ، فكانت منيه وعمره ثلاث وخمسون سنة .. بعد أن ترك لنا تراثا علميا ضخما ، ظل حتى اليوم مرجع الباحثين فى جميع أنحاء الأرض ..ومن أهم كتبه :
١ ـ الشفاء ٢ ـ النجاة ٣ ـ الاشارات ٤ ـ حكمة العروض ( أو المجموع )
٥ ـ حكمة العلائى ٦ ـ الهداية فى الحكمة ٧ ـ عيون الحكمة .. عدا غيرها من المؤلفات الثمينة التى ما زالت حتى اليوم أهم مراجع للباحثين والدارسين .

# نادى

# القصة والمسرحية

# يوسف الصديق

## تمثيلية فى حلقات :

### «الجزء الثانى من الحلقة» ٩

الأستاذ بهاء الدين القبانى

**ملخص ما نشر**

يوسف الصديق يمضى غاضبا ويقول سأقول لسيدى العزيز على كل مالاحظته هنا .

اصفون : تخر راكعة على قدميه وتستغيث بيوسف لا تقل لسيدك وتخرج زليخا لتطيب نفس يوسف وتقول له سامح اصفون من أجلى وتقول له : لن تعود ، لن تعود .

وتتوعد زليخا بان تبرز آخر اسلحتها وهو السلاح الذى تبرزه المرأة بعد اليأس والقنوط .

ويجلسون جميعا لتناول الطعام ويطلب العزيز من يوسف أن يتصدر المائدة .
ويسأل العزيز يوسف : عن أى يوم هذا ؟ فيجيب يوسف : تقصد اليوم الذى اشتريتنى فيه ، والعزيز يندهش من قوة ذاكرة يوسف ، ويلتفت الى زليخا ويقول : انا لا استطيع حضور مجلس الديوان للمناقشة الا اذا كان معى يوسف ، أى مشكلة يهمس لى بحلها ثم ينطق بها لسانى .

ويسأل يوسف العزيز أين الالهة ؟ فلا يجيب ثم يقول له يا سيدى لماذا تعبد مالا ينفع ولا يضر ولا يغنى عنك شيئا ؟ ويجيب العزيز ان اباؤنا وأجدادنا كانوا يعبدونها ويتقربون اليها . يوسف : كانوا على خطأ فكيف تخطىء مثلهم ؟

وينعقد الاجتماع ويتحدث الكثير وعندما يتحدث يوسف برجاحة عقل يتعجب الحاضرون .

**زليخا :** هذه مظاهر السطح يا يوسف .. ولا احد يدرى ماذا يجرى فى الأعماق .. هيا .. هيا يا يوسف نلقى بأنفسنا فى أعماق القلب !.

**يوسف :** ( لنفسه ) يريدنى الناس فى كل مكان ان القى فى الأعماق .. ولكن اعماق البئر عندى اهون بكثير من هذه الأعماق ..

**زليخا :** بم تغمغم يا يوسف ؟ تكلم ! . لماذا سكت ؟.

**يوسف :** لا شيء يا سيدتى .. فأنا اقف الآن على حافة أعماق قد لا أخرج منها حيا ابدا ؟؟.

**زليخا :** مالك يا يوسف ؟ الرمز والاشارة والحيل! والتقرب والتزلف اليك .. كل هذا لا يجد قبولا لديك .. ( فى حنان ) اليس لك قلب ؟ الا تحس مثل كل الناس .. ان جميع القادة وأصحاب المراكز فى مصر يتمنون أن القى عليهم مجرد نظرة واحدة .. ولا يجرؤ احدهم ان يقترب منى على الاطلاق .. انهم مفتونون بجمالى .. وجهى .. وعيونى .. شعرى .. رقبتى . جسمى .. وساقى ! . لو اننى اشرت

على اى منهم بأن يقتل نفسه فى سبيلى لما تردد لحظة واحدة .. ان صدورهم جميعا فى يأس شديد من أن تنال منى شيئا .. فأنا كالنجوم .. بل انا ابعد .. لم يحدث على طول الأزمان أن تهاوت النجوم ! . ولكن المستحيل .. المستحيل قد تحقق بين يديك انت يا يوسف ! . وأنت ترفض ؟ . اى قلب تحمله أنت ؟. اى قلب !. يايوسف .. ارحمنى .. ارحمنى يا يوسف .. فأنا احبك ! .. احبك يا يوسف ! .

**يوسف :** وكيف استطيع يا سيدتى ؟ والله يرانا الآن .. كيف اخون سيدى العزيز الذى اكرمنى وأنزلنى منه منزلة الابن ؟ كيف افعل الشر وأظلم نفسى واظلمك واظلم سيدى العزيز ؟ كيف ؟ كيف ؟ دعينى يا سيدتى .. دعينى بربك .. فلست أقوى على ماتريدين! ( زليخا تمسك عضديه بقبضتيها ) ( تهزهما فى عنف ) .

**زليخا :** لا .. لا استطيع الصبر اكثر من هذا .. أنت نور يا يوسف .. نور لم اره من قبل .. وانا اريد أن يلمسنى هذا النور ! . اريد أن يعمنى النور ! . يوسف .. انى احبك .. احبك .. انك هنا تملأ كل جزء من

اجزاء جسمى وعينى وقلبى وفكرى .. اريد ان يمتزج نورك بدمى .. اريد ان تجرى فى دمى قطرة منك .. لن اطمع الا فى قطرة واحدة فقط .. لم اقل انى اريد ان يتحول ما يجرى فى عروقى كله الى قطرات منك كلها ! . فهذا فوق الطاقة ! . يوسف .. انا لا أستطيع أن أكون زليخا فقط ؟ .. انا اود أن اكون زليخا يوسف ! . أو يوسف زليخا ! . ( تبكى ) دعنى أقبل يديك .. أليس لى حق لديك ؟ . أليس لى حق لديك؟ مالك تقف هكذا صامتا ؟ هيا .. رد لى بعض حقى ! . الست سيدتك ؟ لم اسهر على راحتك ؟ الم يكن لى فضل اى فضل عليك ؟ الم اهبك حنانى وعطفى ؟ هات .. هات حقى ! . كيف تحجزه عنى .. وأنا أعلم أنك لا تظلم احدا وانك تعطى الحق لأصحابه ! . كيف تظلم سيدتك التى أحبتك .. وأكرمتك ثلاث سنوات ، كيف تقابل كرمى بالبخل الشديد ؟ .. دعنى أقبل قدميك ! . اقبل نعليك ! . اننى أصل الى أقصى درجة فى كبريائى عندما اقبل الأرض التى تسير عليها ! . دعنى اشم رائحتك !. رائحتك الحلوة التى لم تشعر بها أنفى طوال عمرى .. ( تضع يدها من خلال فتحة ثوبه وتدلك صدره فيبعد يدها عنه فتنزل على قدميه تقبيلا )

**يوسف :** أستغفر الله ! . أستغفر الله ! .

( يركز بصره فى احدى زوايا الحجرة ) ( لنفسه )

وماذا بعد ؟ ( يرفع وجهه الى السماء ) أيتها السماء انقذينى مما أنا فيه .. ( يرتد بصره الى زليخا الراكعة تحت اقدامه ) هذه سيدتى التى آوتنى وأكرمتنى تبكى بحرقة .. تتعذب فى لهيب النار !. فهل أنا ولد عاق ؟ هل تنظر الى سيدتى على أننى كنت نباتا طافيا فوق سطح الماء ثم جرفه التيار الى هذا القصر ؟ اتتهمنى بأننى غير أصيل ؟ ناكر للمعروف ؟ . أيتها السماء .. عزيز على أن أرى سيدتى فى هذا الموقف الضيق الرهيب ثم لا أهب لنجدتها ؟ طوقت عنقى بأفضال لا تحصى .. هل أرد اليها شيئا من اعتبارها الذى تمرغ من تحت اقدامى وانسكب على بساط الغرفة حيث غاب ثم اختلط بما قد يكون تحت البساط من التراب ؟؟ ..

هل أنا فى حلم ؟ زليخا المرأة التى تضع أنفها فى السماء تصل بها درجات الضعف الى هذا الحد ؟ هذه المرأة التى

أوتيت جمالا صارخا وحظا كبيرا من الملك تغدو كالطفلة الصغيرة التى تركع تحت قدمى أبيها ليشترى لها صندوقا من الحلوى وهو لا يملك ثمنه .. ماذا تفعل هى الآن ؟ .. تهز ساقى بعنف وتحتضنهما باكية صارخة مسترحمة .. وكأنها توقظ من استطال نومه العميق الى بضع سنين !.

( يحاول أن يجعلها تقوم من عند أقدامه )

كان بودى يا سيدتى أن لا أراك على هذه الحال المؤسفة ! . كان بودى أن أرضيك وأطيب خاطرك فى شىء غير الذى تطلبينه منى الآن .. قومى .. ياسيدتى .. ان بكاءك يمزق قلبى .. قومى ..

( يوسف يسمع صوتا أتيا من احدى زوايا الحجرة )

**صوت :** يوسف !. يوسف !.

**يوسف :** من ينادينى ؟ كأننى أسمع صوتا .. انه .. انه صوت ليس غريبا على مسامعى .. لقد سمعته من قبل ! . سمعته من قبل ..

**زليخا :** ليس هناك صوت يا يوسف غير صوت قلبى الذى يناديك .. لقد صرخ قلبى بصوت مسموع بعد طول صمت .. أنت جعلته يصرخ يا يوسف ..

**يوسف :** كلا .. كلا .. أبعدى أيديك عنى ! .

**زليخا :** ما لوجهك قد تغير يا يوسف ؟ ومالك تثبت بصرك فى هذه الزاوية من الحجرة ، ولا تريد أن تبعد بصرك عنها ؟ ما الذى تراه يا يوسف ؟
( زليخا تنظر مذهولة ولا تسمع شيئا )

**صوت :** يوسف .. يوسف ..

**يوسف :** لبيك يا رسول السماء .. هل جئت لتوقيع الجزاء ؟ .

**صوت :** يوسف .. لقد اطلع الله العلى على شفافيتك وحساسيتك .. فأرسلنى اليك لأخيرك بين أحد أمرين : اما أن تقبل أن يمنحك الله معجزة تأويل الرؤيا .. وتأويل الأحاديث وهى هبة من الله اليك .. واما أن تقبل الانزلاق مع زليخا ؟؟ ..

**يوسف :** نعم .. أقبل .. ولا أقبل أيها الرسول.. أيها الرسول ؟ ماذا ؟ .. ماذا ؟ .. أيها الرسول ؟ ماذا ؟ .. ماذا .. هذا عالم واسع جدا أمامى أراه الآن .. الحمد لله ! . الحمد لله .. ( يسكت الصوت )
( يوسف يتجه مسرعا نحو الباب )

**زليخا :** يوسف الى اين ؟ أنت مجنون .. مجنون .. ناكر للفضل ! لا تستحق الترحيب ولا الاحسان ! لن تخرج من هنا الا اذا فعلت ما أمرتك به .. لن تخرج .. أيها الشقى .. لن تخرج ! .
( ينازعها )

**يوسف :** اتركينى ! . اتركينى !.

( ينفلت من يديها ويجرى نحو الباب )

( تجرى وراءه فى جنون وتشد قميصه من الخلف فيتمزق )

( يوسف يعالج الباب وهى تمنعه )

( يوسف يفتح الباب واذ بالعزيز من الخارج يعالج فتح الباب فى نفس اللحظة )

**العزيز :** (مدهوشا) ماذا ؟ ماذا حدث ؟ .. ماهذا الذى أراه ؟؟..

والى العدد القادم ان شاء الله ..

# ليلة المولد

الأستاذ رستم كيلانى

الأضواء سواطع فى كل جانب من الميدان الفسيح الذى يغوص فيه الناس الوافدون من كل بلد ..

وتحيط بالميدان المقاهى المملوءة بالرواد والسرادقات التى تموج بألوان الفنون الشعبية ..

وتنبعث من هنا وهناك أصوات المداحين ، ويخترق كل هؤلاء صوت ينبعث من المسجد الكبير الذى يعج بالناس ، صوت مقرىء معروف يتلو بعض آيات من ذكر الله ..

وفى خلال أيام مولد الامام الحسين كان المعلم ( حسن ) الشهير بـ ( سحس ) ذو الوجه الصبوح ، والابتسامة المشرقة ، والذى يتسم بخفة الحركة ، وسرعة الخاطر ، يواصل ليله بنهاره فى نقل الوفود محاسيب الحسين من حى السيدة زينب على عربته الكبيرة المزركشة بألوان زاهية ، والتى يجرها حصانه ( عنتر ) البنى اللون ..

وكان الركاب يلجأون اليه فى توصيلهم لتساهله ، وعدم تغاليه فيما كان يطلبه من أجر لقاء ما يقدمه من خدمات .

ولقد أثار هذا الرواج الذى خص المعلم ( سحس ) وحده دهشة زملائه ، خاصة المعلم ( حنفى ) الذى تشاجر معه بسبب تساهله الكبير ومخالفته للأسعار التى اتفقوا عليها جميعا فيما بينهم ..

وأوضح المعلم ( سحس ) موقفه منهم ، انه يرضى بما قسم الله له من أجر بسيط ، انه انسان له حساسية خاصة ، يشفق على رجل هدته الأيام ، وعلى امرأة تنوء بحمل صغارها ، أما الأطفال فهو أب أيضا يشفق عليهم ويرد اليهم قروشهم ، ويركبهم العربة بلا مقابل فهم أحباب الله ، ويذهب بهم الى سيدنا الحسين ..

عاد المعلم ( سحس ) بعد آخر ( نقلة ) لسيدنا الحسين فى طريقه الى السيدة زينب و ( الموقف )، وتراقصت أمام عينيه الحلية الذهبية التى سيشتريها لزوجته ( أم كامل ) ، والحقيبة الجلد لحفظ كتب ( كامل ) ولده الوحيد الذى يريد أن يربيه تربية محترمة على حد قوله .. والشرابة الحمراء لحصانه ( عنتر ) ما أجمله عندما يعلقها فى رقبته ويتبختر بها ، مادام الله قد فرجها عليه هذا الفرج الكبير ..

وبينما هو يسير ، و ( عنتر ) يخترق الهواء فى خفة ، ودلال ، وعلى حين فجأة انقضت عليه وعلى العربة سيارة عامة كبيرة ، كأنما هوت عليه من السماء ..

وفى لحظات سريعة انقلبت العربة ، وطار من فوقها المعلم ( سحس ) ليفترش الأرض ..

ولم يدر بعد ذلك على وجه التحديد ، ماذاحدث له لأنه كان أقرب الى كابوس مروع منه الى حقيقة مؤلمة ..

**ولم يشعر بما حدث من اجراءات ، ولكنه أحس فقط بأنه فقد حصانه ( عنتر ) الى الأبد ..**

وجلس المعلم ( سحس ) يبكيه ، يبكى رفيق عمره ، وجالب رزقه ، يبكيه بحرارة الأب وهو يودع فلذة كبده، لقد فقد ( عنتر ) الحصان الجميل، **ثم كيف يربى بعد ذلك ولده ( كامل ) .. كيف ؟ أيعمل من جديد صبيا عند أحد المعلمين ، لقد شقى ، وذاق الأمرين ، وجاع ، وعمل ، وواصل ليله بنهاره حتى تحققت أمنيته .. وكان يقول فى حسرة بصوت مخنوق بالبكاء :**

**ـ « حسدوك يا عنتر .. يا خسارة .. حسدوك .. يا .. »**

وتجمع الناس من حوله يواسونه ، مرددين :

**ـ « سليمه احمد ربنا انها جت فى الحصان » ..**

ولم يكونوا يدرون انه يود لو فدى ( عنتر ) بحياته ، فما فائدة حياته دون ( عنتر ) ؟ ..

وبدأ الجمع ينفض من حوله ، كما بدأ هو « يعدل » العربة تجاه الحصان الملقى على الأرض فاقد الحياة ، وتعاون معه بعض الناس على رفع ( عنتر ) فوقها ، وأراح بيديه المرتعشتين رأسه المملوء بالدماء ، الذى مال على احدى جانبى العربة ..

**وجر العربة حاملا فوقها رفيق عمره ، وآثار الدم على الطريق تشهد على فاجعة المعلم (سحس)، وسار فى تؤدة بخطوات قصار ، ناكس الرأس ، شاردا ، مذهولا ، ودموعه تسابق قدميه ..**

وصل المعلم ( سحس ) مدخل الحارة والحزن باد عليه ، كان يرى بعين خياله شماتة المعلم ( حنفى ) والمعلمين كلهم بعد أن نفذت عيونهم الحاسدة فأصابت ( عنتر ) ..

وعندما مر بالموقف ، نهضوا كلهم من جلساتهم ، وجروا نحوه سائلين عما حدث ..

وبينما هو يقص عليهم الخبر ، شعر أن المعلم ( حنفى ) وزملاءه على عكس ما كان يتوقع منهم، يشاركونه حزنه العميق ، يواسونه على فقيده ، وقد ألم بهم من الحزن مقدار ما ألم به ..

**وبعد صلاة الفجر ..**

**عاد المعلم ( سحس ) من مسجد مولانا الامام الحسين الى منزله ، ووجد مظروفا أعطته له زوجته ، فتحسسه ووجد به نقودا جمعها له زملاؤه لعلها تعوضه عما فقده ، علها تسهم فى شراء ( عنتر ) جديد ..**

**ورفع رأسه الى السماء ، وتساقطت دمعات حزينة من عينيه ، وأسلم رأسه لوسادته ، ثم راح فى اغفاءة ..**

# التعريف بأمهات المؤمنين

# سودة بنت زمعة

الدكتورة نعمات محمد على

**زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم هن أمهات المؤمنين بنص القرآن الكريم .. ولهن على المسلمين حق الاحترام والتقدير . وانزالهن المنزلة اللائقة التى ارتضاها الله لهن بقوله تعالى : « يا نساء النبى لستن كأحد من النساء » وقال سبحانه خطابا لهن « ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين واعتدنا لها رزقا كريما » .. وفى اطار هذه الحقائق المتصلة بواجب المسلمين والمسلمات ازاء أمهات المؤمنين ، ألقى الضوء على واحدة منهن هى سودة بنت زمعة رضى الله عنهن أجمعين ..**

## ١ ـ نسب السيدة سودة :

تنتسب أم المؤمنين سودة لأبوين عربيين صريحين فأبوها زمعة بن قيس بن عبد شمس العامرى القرشى .

وأمها الشموس بنت قيس بن يزيد الأنصارية من بنى عدى ابن النجار .

ويلتقى نسبها من جهة أبيها برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث تجتمع مع الرسول فى « لؤى بن غالب » . ومن جهة أمها لها قرابة كذلك برسول الله فأمها بنت أخ لسلمى والدة عبد المطلب جد رسول الله من الأب والأم .

فهى بذلك عريقة النسب . كريمة الأصل . عالية المقام . قرشية أنصارية . وفوق ذلك ومعه ارتباطها برسول الله زوجة له وأما للمؤمنين من بعده صلى الله عليه وسلم .

## ٢ ـ حياتها قبل دخول الرسول بها :

تزوجت قبل الاسلام بأحد ابناء عمومتها وهو السكران بن عمرو بن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ، ولما بعث محمد صلى الله عليه وسلم . ونادى فى الناس بدين الله كانت سودة وزوجها من السابقين الى الاسلام على كره من قومهما . ولذلك تعرضا للاضطهاد والعنت فصبرا حتى أذن لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة الى الحبشة مع من هاجر اليها الهجرة الأولى . وهناك أنجبت ابنها عبد الرحمن . ولم يستمر بها المقام فى الحبشة بعد ما مات زوجها . الأمر الذى حتم عليها ضرورة العودة بوليدها الى ديار قومها وأهل زوجها ،

وبرغم عدم اسلامهم واضطهادهم لكل من أسلم عادت اليهم لتربى ولدها . وتعيش فى كنف العشيرة وحمايتهم . هكذا كانت تتصور . لكن القدر كان يخبىء لها مفاجأة أعظم من كل ما تصورت، وحقيقة تعوضها عن عنائها ومتاعبها ، وهى أن تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم جزاء وفاقا على ما قدمت من تضحيات قصدت بها وجه الله تعالى .

## ٣ — زواجها برسول الله :

حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم لوفاة خديجة رضى الله عنها . ولزم بيته وأقل من الخروج حتى خشى عليه أصحابه . بعد أن علموا أن الرسول أطلق على العام «عام الحزن» لوفاة زوجته وعمه فيه . لكن رحمة الله ورعايته كانت محيطة به . فتمت رحلة الاسراء والمعراج . وكان زواجه من سودة بنت زمعة رضى الله عنها ولم يكن بسودة جمال ، ولم يكن لها مال، وكل ما تتصف به أنها عجوز جاوزت الخمسين عاما قدمت لله ولرسوله شيئا اذ سبقت الى الاسلام . وهاجرت مع زوجها الى الحبشة . وثكلت بموت زوجها فى مهجرهما ، وهاهى أرملة تربى ولدها على الحق بين قوم كافرين .

**وزواج الرسول صلى الله عليه وسلم من سودة هو برهان واضح على أن رسول الله لم يقصد المرأة فى حد ذاتها من زواجه . وانما يقصد معنى كريما . وهو تكريم من ضحى فى سبيل الله . فسودة امرأة عجوز لاحظ لها من الرجل ، وقد حدث أن تنازلت عن يومها لعائشة ، وهو علم الله وحكمته الذى جعل سودة هى الزوجة الثانية لرسول الله بعد خديجة ليخجل كل مدع يتهم رسول الله بما ليس فيه .**

تروى أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قصة زواج الرسول من سودة فتقول : لما ماتت خديجة رضى الله عنها جاءت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله الا تتزوج ؟

**قال : ومن ؟**

**قالت : ان شئت بكرا ، وان شئت ثيبا .**

**قال : من البكر ومن الثيب ؟**

**قالت : أما البكر فابنة أحب خلق الله اليك . عائشة بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وأما الثيب فسودة بنت زمعة قد آمنت بك واتبعتك على ما أنت عليه .**

**قال : فاذهبى فاذكريهما على .**

**تقول خولة فذكرت ذلك لأبى بكر وذهبت لسودة وقلت لها : ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة ؟**

**قالت : وماذاك ؟**

**قالت : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلنى اليك لأخطبك عليه .**

**قالت : وددت ذلك . ولكن ادخلى على أبى . فاذكرى له ذلك .**

**تقول خولة : وكان أبوها شيخا كبيرا فدخلت عليه وحيته بتحية الجاهلية أنعم صباحا . فقال: من أنت ؟**

**قالت : خولة بنت حكيم .**

**قال: وما شاء الله أن يقول .**

**فقالت له : ان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب يذكر ابنتك .**

**قال : هو كفء كريم . فما تقول صاحبتك ؟**

**قالت له : تحب ذلك .**

**قال : فقولى له فليأت .**

فجاء صلى الله عليه وسلم فتزوجها . وكان أخوها عبد الله فى سفر فلما عاد ووجد أخته قد تزوجت محمدا فحثا التراب على رأسه ، فلما أسلم كان يجد فى نفسه من ذلك شيئا . ويقول : انى لسفيه يوم أحثو التراب على راسى ان تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أختى .

وهنا يظهر سؤال عن التى تزوجها الرسول أولا هل هى سودة أو هى عائشة ؟

يجمع العلماء وكتاب السيرة على أن زواج الرسول من سودة كان بعد موت خديجة . أما كونها قبل عائشة أو بعدها فهو محل خلاف . اذ يرى قتادة وابن قتيبة . وابن سيد الناس وجمع من الحفاظ أن رسول الله تزوج بسودة قبل عائشة . ويرى آخرون أن الزواج بها كان بعد عائشة لما فى صحيح مسلم عن عائشة انها قالت : سودة أول امرأة تزوجها بعدى .

ويجمع محمد بن طولون فى كتابه « مرشد المختار الى خصائص المختار » بين هذين الرأيين فيقول: المراد بأن سودة كانت قبل عائشة أى فى الدخول بها . والمراد بسبق عائشة أى فى العقد ، ومن المعلوم أن دخول الرسول بسودة كان قبل الهجرة ودخوله بعائشة كان بعد الهجرة وكان العقد قبلها ، وبهذا يبطل التعارض ويكون القول بأولية كل منهما صحيحا .

## ٤ — حياتها مع رسول الله :

سعدت سودة بزواجها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت تدرك برسول الله ورحمته. ونظرا لكبر سنها فقد رضيت أن تأخذ عائشة المكانة الأولى فى بيت رسول الله ، وجهدت فى خدمة أبناء الرسول من خديجة .

واشتهرت سودة بين أمهات المؤمنين بسلامة الطوية وحب المرح . وكانت أمهات المؤمنين جميعا يتعاونون فى مودة وصفاء وبشر . ولذلك لما طعن السن بسودة وخافت من أعراض النبى صلى الله عليه وسلم عنها قالت : يا رسول الله مابى حب الرجال . ولكنى أحب أن أبعث فى أزواجك يارسول الله وهبت يومى الذى يصيبنى لعائشة. وهكذا لم تلعب بها طبيعة المرأة وغيرة النساء . وانما كانت فاهمة صريحة متعاونة فى بيت رسول الله مع أمهات المؤمنين .

**وكانت أمهات المؤمنين فى تعاون ومرح وبساطة، فعن خلية جارية حفصة ان عائشة وحفصة رضى الله عنهما كانتا جالستين تتحدثان فأقبلت سودة زوج النبى صلى الله عليه وسلم. فقالت احداهما للأخرى : أما ترى سودة ؟! ما احسن حالها ؟!** لنفسدن عليها .

**— وكانت من أحسنهن حالا ومرحا — فلما دنت منهما قالتا لها : ياسودة اما شعرت ؟**

**قالت : وماذاك .**

**قالا : خرج الأعور الدجال .**

**ففزعت . وخرجت حتى دخلت خيمة لهن يوقدون فيها . فاقبل النبى صلى الله عليه وسلم فلما رآه ضحكتا . وجعلتا لا تستطيعان أن تكلماه . حتى أومأت احداهما اليه فذهب حتى قام على باب الخيمة .**

**فقالت سودة : يا رسول الله . هل خرج الدجال الأعور ؟**

**قال : لا . فخرجت وجعلت تنفض عنها نسج العنكبوت .**

**وذلك لون من المرح بين أمهات المؤمنين كن يقضين به فراغهن .**

**وكانت رضى الله عنها شديدة الالتزام بارشاد رسول الله وتوجيهه من ذلك أنه صلى الله عليه وسلم حج بجميع زوجاته عام حجة الوداع وقال لهن : هذه ثم ظهور الحصو . فكن كلهن يحججن ويتأولن المراد بالحصى الا زينب بنت جحش . وسودة بنت زمعة فكانتا تقولان لاتحركنا دابة بعد أن سمعنا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم .**

**وأخرج ابن المنذر قيل لسودة رضى الله عنها ، مالك لا تحجين ولا تعتمرين كما يفعل أخواتك . فقالت : قد حججت واعتمرت وأمرنى الله تعالى أن أقر فى بيتى فوالله لا أخرج من بيتى حتى أموت. يقول ابن المنذر فوالله ماخرجت من بيتها حتى أخرجت جنازتها .**

**وكانت رضى الله عنها كثيرة الصدقة توزع كل مايأتيها .**

## ٥ — وفاتها رضى الله عنها :

عاشت سودة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مدة طويلة وتوفيت فى أخريات عهد عمر بن الخطاب عام ثلاث وعشرين على الأرجح، ودفنت بالبقيع رضى الله عنها ، ونفعنا بها .

## ٦ — دروس من حياة سودة :

**تشير حياة سودة رضى الله عنها الى مجموعة من العبر والعظات يجب الاستفادة بها فى الحياة الاسلامية فعلى المسلم والمسلمة أن يقدما لله ورسوله مخلصين صادقين ولن يضيع الله أجر من احسن عملا .**

**وعلى المسلمين وغيرهم أن يحسنوا الظن برسول الله صلى الله عليه وسلم ويبتعدوا عن تهم أعداء الاسلام الذين يحاولون النيل من دين الله تعالى بالنيل من رسوله وعلمائه ..**

**وعليهم أن يقتدوا بأمهات المؤمنين فى التعاون وبساطة الحياة واتباع الله ورسوله .**

**وعليهم أن يعلموا أن الدنيا وان طالت فهى الى زوال وفناء والآخرة خير وابقى .**

**والله الموفق ...**

# أنت تسأل والمفتى يجيب

فضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق
مفتى جمهورية مصر العربية

**س ١ : سألت احدى الفتيات :**

**نود اذا تفضلت سيادتك ووافيتنا بأجابة هذا السؤال :**

**ما هى الجنابة عند السيدات ــ وكيفية التطهر منها ــ وهل معنى نزول سائل عند الآنسات أو السيدات أنها أصبحت جنبا عند ملامسة أو حتى التفكير فى الجنس الآخر ؟**

**وما هو الحكم اذا أرادت هذه الفتاة الصلاة أو الصوم أو قراءة القرآن ؟**

**الجواب :**

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده .

الجنابة على وجه الاجمال تحصل بأحد أمرين أحدهما ــ التقاء عضوى الذكورة والأنوثة واختلاطهما من بالغين دون حائل ولو لم يتم أنزال . والأمر الآخر نزول المنى من رجل أو امرأة سواء كان بسبب الاحتلام أو الملاعبة أو النظر المثير للجنس أو الفكر كذلك أو المس أو التقبيل أو العناق .

ويجب على الجنب سيدة أو آنسة أو رجلا الاغتسال متى خرج المنى من عضو التناسل فيما عدا ما يخرج بسبب المرض أو بسبب الضرب الشديد على الظهر فان هذا لا يوجب الغسل .

أما خروج سائل خفيف أصفر وهو المسمى مذيا فلا يوجب الغسل ولو كان خروجه بلذة ، وكذلك السائل المسمى وديا وهو أبيض سميك عن المذى ولكنه غير المنى وغالبا ما ينزل من المرأة الحامل قبل الولادة .

ويحرم على الجنب مباشرة الصلاة ، قبل الاغتسال وكذلك مس المصحف ودخول المسجد لغير ضرورة .

**وقد اتفق فقهاء المذاهب على ان التطهر من الجنابة بغسل الجسد كله بالماء فرض وانه يجب أيصال الماء الى كل أجزاء الجسم الظاهرة وما يمكن غسله من الأجزاء الباطنة كالسرة الغائرة وباطن الأنف والفم ومع ازالة أى حائل يمنع وصول الماء الى ذات الجسد كالشمع ووجوب وصول الماء**

الى جلد الرأس وتفريق الشعر بالأصابع ليتخلله الماء كما يرى الأئمة الثلاثة غير مالك الذى يقول بوجوب تحريك الشعر حتى يصل الماء الى جلد الرأس ، والحنفية يرون صحة غسل المرأة وشعرها مضفور ما دام الماء قد وصل الى جذوره ، والشافعية يرون ضرورة نقض الشعر المضفور اذا لم يصل ماء الغسل الى جلد الرأس ، وباطن الشعر ، ويزيد المالكية وجوب التدليك فى الغسل .

ومما تقدم يتضح أنه لا تجوز صلاة آنسة أو سيدة صارت جنبا بالمعيار السابق الا بعد الاغتسال كما يحرم عليها مس المصحف ودخول المسجد الا لضرورة .

أما الصوم فاذا كانت قد نوت الصوم ليلا قبل الفجر ثم أصبحت جنبا فيصح الصوم والأفضل المبادرة بالاغتسال حتى لا تفوت عليها الصلوات فى مواقيتها ، أما اذا حدثت الجنابة نهارا فى اليقظة بأى من أسبابها المتقدمة فانها تكون مفسدة للصوم فرضا أو نفلا . وهل تجب الكفارة أم لا .؟ ذلك موضع آخر .

والله أعلم .

س ٢

سأل المواطن ع. ع. أ. من القليوبية :

أولا : شخص توضأ مرة واحدة فى اليوم وصلى بهذا الوضوء فروض اليوم الخمس .

ثانيا : شاب خطب فتاة وعقد قرانه عليها ولكنه لم يدخل بها ، وأحيانا يقبلها ويضمها فى أحضانه ويراها عارية الجسد ويفعل معها فعل الزوج دون اختلاط جنسى .

## الجواب

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده .

### عن السؤال الأول :

للمتوضىء أن يصلى بوضوئه ما شاء من الفرائض والنوافل ما دام لم يحدث منه ما ينقض الوضوء وتكره الصلاة مع مدافعة الحدث ( البول أو الغائط أو الريح ) .

### عن السؤال الثانى :

متى تم عقد الزواج صحيحا شرعا حل للزوجين الخلوة وحدهما وكل ما يكون بين الزوج وزوجه .

والله سبحانه وتعالى أعلم .

س ٣ :

من مواطن مسلم :

١ ــ هل التعمق فى الدين ، وفى أحكام الدين يسبب ما يعرف بسحب العقل أو هذا خرافة ؟

٢ ــ ما هو الفرق بين التعمق فى الدين والتزهد فى الدين ؟

## الجواب

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده .

### عن السؤال الأول :

فى حديث للرسول صلى الله عليه وسلم ( **أن الدين يسر فأوغلوا فيه برفق ولن يشاد الدين أحد الا غلبه** ) وفى حديث آخر ( **خير العبادة أدومها وان قل** ) .

وامتثالا لتوجيهات صاحب الرسالة فى هذه الأحاديث وفى غيرها يجب على المسلم أن يعرف من الدين وشريعته ما يقيم به عبادته ويصحح عقيدته على قدر جهده فى العلم والمعرفة ، ولا يتعرض لبحث ما هو فوق طاقته لأنه ان فعل هذا ضل الطريق ولقد علمنا الله سبحانه فى القرآن أن نسأل عما يجدى نفعا ففى سورة البقرة فى الآية ١٨٩ :

( يسألونك عن الأهلة ، قل هى مواقيت للناس والحج .. ) **وروى أن سيدنا عمر بن الخطاب** كان يتلو آية ( **وفاكهة وأبا** ) من سورة عبس آية رقم ٣١ ثم توقف عند كلمة أبا ورغب سؤال غيره من الصحابة عن معناها ثم عدل عن السؤال وقال : نؤمن بها ولا نسأل فيها وهو العربى الذى ينزل القرآن بلغته .

**وبهذا أنصح الأخ المسلم السائل الا يسترسل فى بحث أمور قد يزل فيها الفكر وتجره الى ما لا تحمده عقباه عند الله ، نسأله سبحانه العصمة من الزيغ فى العقيدة والرشد فى الدين ..**

### عن السؤال الثانى :

أن التعمق فى الدين ــ كما هو واضح من الاجابة على السؤال الأول هو التعرض لبحث أمور العقيدة والشريعة بما لا يستطيعه عقل المسلم وشأن المتعمق فى البحث دون استعداد عقلى وثبات عقيدة وايمان ودون زاد علمى يميز

به الخبيث من الطيب شأن من ينزل فى البحر وهو لا يحسن العوم فمآله لا شك الى الغرق ، اما التزهد فى الدين فهو الأعراض عنه ونعوذ بالله سبحانه من الزهد فى الدين وندعوه أن يرزقنا قوة اليقين والتمسك بحبله المتين .

والله سبحانه وتعالى أعلم .

**س ٤ :**

**سأل المواطن / يحيى محمود عتريس محمد الحوى بما يلى :**

**س ١ : ما حكم الاسلام فى الحالات الآتيــة :**

**( أ ) عطف على رجل قادر على العمل ولكن طلب حسنة . فما حكم الاسلام فى هذا الرجل هل يستحق أم لا ؟**

**(ب) وأنا أصلى دائما الوسوسة فى بالى ولم أقدر أتغلب عليها بمعنى آخر لم أقدر أتغلب على الشيطان . فما حكم الاسلام فى هذه الصلاة . هل هى باطلة أم نافعة وصالحة ؟**

**س ٢ : الانسان مخير أم مسير ؟**

**أيهما فى الاثنين ؟**

**س ٣ : الاشتراك فى كل من شهادات الاستثمار بأنواعهــا أ ، ب ، ج ذات المجموعات الثلاث ؟**

**والتامين على الحيـاة وأنواع أخرى فى التـأمين .**

**والاشتراك فى المسابقات بأنواعها .**

## الجــواب

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعــده .

### عن السؤال الأول :

**( أ ) روى البخارى ومسلم عن حكيم بن حزام قال : سألت النبى ــ صلى الله عليه وسلم فاعطانى ثم سألته فاعطانى ثم سألته فاعطانى ثم قال لى يا حكيم : ان هذا المـال خضرة حلوة فمن أخذه بطيب نفسه بورك له فيه ومن أخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذى ياكل ولا يشبع ، واليد العليا خير من اليد السفلى .**

من هذا الحديث الشريف نرى كيف أن السؤال مذلة كما تدل عبارة « واليد العليا خير من اليد السفلى » ونرى أن الرسول صلى الله عليه وسلم أعطى حكيم بن حزام حين سأله ثلاث مرات ثم نصحه بهذه النصيحة البليغة الرشيدة ، وبذلك نعلم أن السائل القادر على الكسب نعطيه اذا كان فى حاجة ماسة وننصحه ونرشده الى التكسب ولتكن النصيحة بالحسنى وبهذا الأسلوب الحكيم اقتداء برسول الله عليه الصلاة والسلام .

(ب) ابدأ صلاتك وقبل تلاوة سورة الفاتحة بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم وأسمع نفسك بالقراءة ليتنبه قلبك واستحضر فى ذهنك دائما أنك فى الصلاة تناجى ربك وجاهد النفس والشيطان واعصهما وكما قال الله سبحانه ( فاتقوا الله ما استطعتم ) .

### عن السؤال الثانى :

الصحيح فى عقائد الاسلام أن للانسان اختيار وهذا هو واقع الحياة ، وها نحن نرى الانسان المستقيم والانسان الضال مع علمه بأنه يفعل فعلا ضارا مخالفــا للدين ومن أجل هــذا كان الثواب والعقاب ، وعلى المسلم أن يبتعد عن بحوث الفلاسفة اذا لم يكن لديه أساس عقائدى سليم لا سيما اذا لم يكن كذلك ممن مارس اقوال هؤلاء ودرسها دراسة علمية متأنية .

### عن السؤال الثالث :

شهادات الاستثمار ذات الفائدة المحددة سنويا تأخذ وصف القرض بفائدة وبهذا تدخل فائدتهــا فى باب ربا الزيادة المحرم شرعا بنص السنة الشريفة الصحيحة وباجماع المسلمين ، اما شهادات الاستثمار ذات الجوائز فليس فيهــا فائدة محددة مقدما والجائزة التى يحصل عليهــا الفائز تكون من باب الوعد بجائزة التى أجازها بعض الفقهــاء .

والتأمين بوضعه التعاقدى الجارى يدخل فى عقود الغرر المحرمة شرعا والمسابقات العلمية من باب الوعد بجائزة يحل الاشتراك فيها وأخذ جوائزها ما دامت فى موضوعات مباحة شرعا ويجرى اختيار الفائزين فيها وفق قواعد مستقرة عادلة لا غرر فيها ولا تغرير .

والله سبحانه وتعالى أعلم .

# مع القرّاء

يحرره
فؤاد هيبة

## الأداء الصادق نصرة للحق

عزيزى القارىء ...

سيظل كل منا مطالب بالأداء الصادق لتبرئة ساحته من متطلبات الغير .. سواء أكانت هذه المتطلبات شخصية أو عامة فكل منها يمثل جانبا من مسئوليتنا فى هذه الحياة التى أرادنا الله لعمارتها واثراء جوانبها ، ولن يكون ذلك حقا الا بتنحية الأنانية جانبا وافساح المجال لحقوق الغير حتى تأخذ طريقها الى أصحابها ..

وهو أمر قد يتراءى للكثير أنه سهل ومقدور عليه بل ان البعض يتشدق بأنه لا شغل له سوى اعطاء الحقوق وأن مسئولية الأمانة ينوء بها كاهله وأن سعيه من أجل اسعاد الغير واسباغ الخير عليه ..

والحق أن الذى دفعه الى هذا هو محاولة منه الى ستر عوراته وبتر سيئاته التى تكمن فى اصراره على انجاز مصالحه الشخصية وهؤلاء هم الذين يراءون ويمنعون الماعون ..

ومن هنا انفرط عقد الثقة بين الأخ وأخيه والحاكم وحاشيته والرئيس ومرءوسيه : وأصبح الجميع لا هم لهم سوى تحصيل ما يرنو لهم وما يحلو لغيرهم ..

فكأن الصراع بدل الوئام وكان الحقد بدلا من الحب والفشل هو خاتمة المطاف « وكان أمره فرطا » .

وما يسود الأمة الاسلامية اليوم من تناحر وغزو وتفكك وفرقة وشتات انما هى محصلة صادقة لهذا الجشع الرهيب الذى سيطر على النفوس فسحق بأنيابه صرخات الضعفاء وأباد بحمقه صوت الحق .

وأحال العلاقات الانسانية الى أسلوب من أساليب الكسب الرخيص .

انها كلمة حق أبعث بها الى كل ذى فطنة وألقى السمع وهو شهيد ..

واذا كان الصراع بين الخير والشر هو سنة الله فى خلقه فان سبيلنا الى انتصار الحق هو الأخذ بأسبابه وتطبيق آياته وأحكامه وصدق رسول الله صلوات الله وسلامه عليه اذ يقول « تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا ، كتاب الله وسنتى » .

رسالة الشهر :

## غذاء الروح والبدن

من الأخ وحيد عبد السلام ـ كفر الشيخ سيدى سالم ـ منشاة عباس .

الانسان مكون أساسا من شقين هما البدن (( الجسم )) والروح .. ولنأخذ الشق الأول لكى نتعرف على أساسه . فمما خلق الجسم أساسا ؟ أساس الجسم كما أخبرنا مولانا جلت قدرته (( ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين )) صدق الله العظيم وعلى ذلك فان الجسم من الأرض وعندما ندقق النظر فى عظمة خلق الله وقدرته نرى أن غذاء الجسم من الأرض أيضا فمثلا يحتاج الجسم الى مأكل ومشرب وملبس ومسكن وغيرها فكل هذه الأشياء من الأرض . وعندما يموت الانسان برجع الجسم الى صورته الأولى وهى التراب وذلك من الدلائل العظيمة والدقيقة على قدرة الله العظيم المدبر الذى جعل الجسم أساسه الأرض وغذاؤه من الأرض ومرجعه الى الأرض .. ولنعد الى الشق الثانى وهو الروح . فما هو أساس الروح ؟ . قال تعالى (( ونفخنا فيه من روحنا )) وبذلك نستدل على أن الروح من السماء وكذلك غذاء الروح من السماء . كيف ذلك ؟ فكر معى قليلا بقلبك أليست الصلاة غذاء للروح ؟ أليس الصيام غذاء للروح ؟ أليس الذكر غذاء للروح ؟ قال تعالى (( الا بذكر الله تطمئن القلوب )) ولنكمل الرحلة مع الروح . عندما يأتى أجل الانسان وتطوى صحيفته أين تذهب الروح ؟ . تصعد الى بارئها اذا فان الروح من السماء وغذاؤها من السماء ومرجعها الى السماء ، وهاتان حقيقتان ودلالتان على عظمة الخالق عز وجل ودقة تدبيره ، ونتعرض الآن لحكم الانسان بين غذاء الجسم وغذاء الروح هل يعدل بينهما أم يعطى الأهم أكثر ؟ فما هو الأهم ؟ .. الشىء الباقى أهم من الفانى . هذه حقيقة ، فاذا عمل الانسان للروح فأكثر من الصلاة والصيام والزكاة وغيرها أم اذا أعطى لجسمه كل متطلباته من أكل وشرب وملبس وغيرها ؟ جاوب على هذه الأسئلة بقلبك وعقلك اللذان بهما تختار الأمور . ثم أختر الطريق المستقيم واكثر من الزاد فان الرحلة صعبة والطريق شاق واكثر من عمل الخير حتى يظلك يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم .

## تقدير من السنبلاوين

● من الصديق الطالب النبوى عبد القادر السيد ـ من أتميد الحجر ـ السنبلاوين محافظة الدقهلية .

(( اننى عندما اقر مجلة (( منبر الاسلام )) اشعر بنظرة الاسلام القوية ، واتاكد من ثبات العقيدة الراسخة فى قلبى ، ولكن لن يعرف هذه العقيدة الثابتة الصافية الا الذى يقرأ مجلة (( منبر الاسلام )) ويفهمها وأرجو أن تقبلونى صديقا لهذه المجلة ، وأكون شاكرا لكم )) .

منبر الاسلام :

ـ شكرا لهذا التقدير ، ونرجو أن نكون عند حسن ظن قرائنا الأعزاء ، ونرحب بك أيها الأخ العزيز صديقا جديدا لمجلتنا ، مرحبين بك بما ترسله من آراء ومقترحات .

## معهد اعداد الدعاة

● جاءنا من المؤتمر العام للجمعيات والهيئات الاسلامية نشرة تفصيلية عن معهد اعداد الدعاة ٣٢٩ شارع بور سعيد ـ القاهرة ، وقد جاء فى هذه النشرة .

ـ ان هذا المعهد أول معهد أهلى لاعداد دعاة على أسس علمية وتربوية للمساهمة فى نشر الدعوة الاسلامية الصحيحة ، البعيدة عن التعصب المذهبى .

ـ مدة الدراسة : أربعة فصول .

ـ مدة الفصل : خمسة شهور .

ـ أقسام الدراسة : منتظم ـ مستمع ـ منتسب .

ـ الغرض من المعهد اعداد دعاة مجردين عن الأهواء ، مخلصين لوجه الله ، يدعون الى الله على بصيرة .

ـ كافة التفاصيل بالمعهد من بعد صلاة العصر .

ـ يقبل المعهد الأخوات الملتزمات بالزى الاسلامى ، للدراسة به .

ـ بدأت الدراسة فى أول مارس ١٩٨٠ .

**ومنبر الاسلام :**

تتمنى لهذا المعهد كل تقدم ونجاح ، وترجو أن يوفقه الله فى تحقيق الغاية النبيلة التى انشىء من أجلها ، وأن يجازى القائمين عليه خيرا ، ويعم النفع به .. آمين .

## اقتراح لصالح أفغانستان

● من الصديق سمير محمود محمد شاهين ـ كلية الآداب ـ جامعة الاسكندرية (( اقترح ترك عدة صفحات فى مجلتكم العظيمة تخصص للشباب المسلم ، لابداء رأيه فيما يراه واجبا على المسلمين أن يفعلوه تجاه افغانستان المسلمة .. )) .

منبر الاسلام :

ـ شكرا لصديقنا العزيز على هذه الغيرة الاسلامية المخلصة ، ونعدك أن يكون اقتراحك موضع النظر والدراسة باذن الله تعالى .

## اكتتاب عام لمساندة أفغانستان

● **من الصديق محمد عبد الفتاح محمود — محافظة المنيا — منشية شاهين ش معاوية ٧**

**« ان الشيوعية — وهى العدو الأول للاسلام — تريد أن تقضى على المسلمين والاسلام ، واننى أرى التحمس فى نفوس كل المسلمين الذين يدينون التدخل السوفيتى ، واننا لا نريد الكلام ولكن نريد العمل .. أى التطوع بالدم والنفس والمال ، وكل شىء يهون فى سبيل رفعة الدين الاسلامى ..**

اننى أقترح عمل اكتتاب عام لجميع المسلمين لمساندة الشعب الاسلامى الكبير فى أفغانستان ، وأقترح اقامة ندوات دينية للتنديد بالشيوعية وحفلات دينية يخصص دخلها لصالح شعب أفغانستان ، وأن يفتح باب التطوع للشباب الاسلامى »

**منبر الاسلام تقول :**

— حقا ، ما أحوج حركة النضال الاسلامى المسلح ضد الشيوعية والالحاد الى مثل هذه الاقتراحات البناءة الهادفة .. ونحن ندعو معك أيها الصديق الى اقامة مثل هذا الاكتتاب ..

## صديق من السودان

● **من الصديق بكرى الحسن محيى الدين — السودان . بورتسودان .**

**« كلى أمل فى أن تتخذونى صديقا لمجلتكم الرائدة « منبر الاسلام » هذه المجلة التى جذبتنى لأول وهلة بما تحويه من أبواب متنوعة ، ومعان رقيقة ، وموضوعات دسمة » .**

**منبر الاسلام :**

**— نرحب بك أيها الصديق العزيز بين أصدقائنا الدائمين — شكرا لك .**

## الفتاة المحجبة

● من الأخت مرفت محمد أحمد سليم — الاسكندرية الطابية خط رشيد عزبة نشأت .

« .. كنت منذ أربعة شهور من الفتيات المتبرجات ، ولم يكن تبرجى مثل تبرج فتيات اليوم ، بل كان قريبا من التحشم ، وبارادة الله — عز وجل — أصبحت من الأخوات المحجبات ، وأنا الآن على أبواب الجامعة .. وأنا الآن أحفظ القرآن الكريم ، ولدى عزيمة قوية لاستكماله حفظا ، وأخذت أقرأ المجلات الاسلامية كلها ، وأصبحت مولعة بكل مايسطر فيها من مواقف دينية ، وأحاديث نبوية .. وخاصة فى مجلة منبر الاسلام .. فهل تقبلوننى صديقة لهذه المجلة .. ؟ »

## منبر الاسلام :

— نرحب بك كل الترحيب صديقة لمنبر الاسلام ، ونحيى فيك هذا الاتجاه الدينى ، ونرجو أن تهتمى بالجانب العملى للدين قدر اهتمامك بالجانب الشكلى ، فالمرأة المسلمة — كما تعلمين — تهتم كثيرا بالاسلام قولا وعملا ، شكلا وجوهرا ، نصا وروحا ، ومعنى هذا أن تهتمى بالباطن كما تهتمى بالظاهر تماما ، ومعنى الاهتمام بالباطن ، حجبه عن كل مايغضب الله تعالى من الكذب والنفاق والغش والفتنة .. الخ .. والى جانب هذا ، الاقبال على الله بالطاعة ، وتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه .. وما نظنك أيتها الأخت المسلمة — وكل أخت مسلمة — الا فاعلة لكل هذا .. مرة أخرى مرحبا بك صديقة لمنبر الاسلام ودعوة لك من الاعماق بكل توفيق وسداد .. والله معك .

## تلاوة القرآن الكريم

● **من الصديق بشير على غطاس**

**مدرسة ادكو الثانوية — بحيره**

**« القرآن الكريم ثلاثون جزءا ، والجزء يقسم الى حزبين ، والحزب مقسم الى أربعة أرباع . وعلى هذا تتم قراءة القرآن فى ٢٤٠ يوما ، لمن يقرأ كل يوم ربعا واحدا .**

وعن فضل القرآن الكريم يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » وقال أيضا : « من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول (ألم) حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » كما قال خير البرية « من استمع الى آية من كتاب الله كتب الله له حسنة مضاعفة ، ومن تلاها كانت له نورا يوم القيامة » .

**منبر الاسلام :**

يا شباب الاسلام عليكم بتلاوة القرآن الكريم ولكم الثواب بفضله .

## رسالة تونس

● الى الصديق نور الدين الساقى — مؤسسات الحاج حسن الفرفورى . شارع الشهداء — نعاقس — الجمهورية التونسية .

— المجلة تحييك أطيب تحية ، وترحب بكل ما ترسله من أبحاث ، كما يسعدنا أن نؤكد ماسبق أن نشرناه مرارا باستعدادنا التام لنشر أى انتاج صالح سيصلنا من السادة القراء .

# بريد التعارف

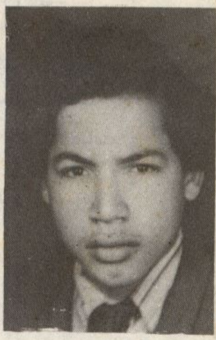

الاسم : شوقى أحمد عبد العال الغرباوى
البلد : ج٠م٠ع٠
السن : ١٩ سنة
المهنة : طالب دبلوم ثانوى تجارى
الهواية : المراسلة ــ قراءة القرآن والكتب الدينية ــ كرة القدم
العنوان : أنشاص الرمل شرقية عزبة الغرباوى

الاسم : محمد متولى على متولى
السن : ١٥ سنة
البلد : ج٠م٠ع٠
المهنة : طالب بالأزهر
الهواية : قراءة الكتب الاسلامية وجمع الطوابع
العنوان : ١٤ شارع السيد حسين ــ دير الملاك ــ حدائق القبة

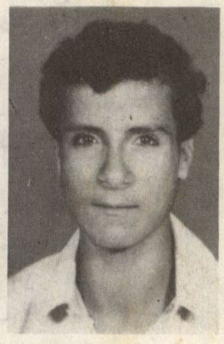

الاسم : رمضان أحمد محمود مرعى
السن : ٣٠ سنة
البلد : ج٠م٠ع٠
المهنة : شركة مصر صباغى البيضا ٣٩٢ ــ ٢ ــ مدرسة كفر الدوار الصناعية
الهواية : الاطلاع الدينى والمراسلة
العنوان : شركة مصر صباغى البيضا ٣٩٢ ــ ٢

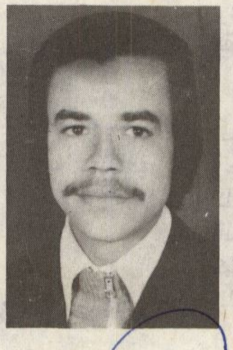

الاسم : صابر محمد عبد الكريم
السن : ٢٠ سنة
البلد : ج٠م٠ع٠
المهنة : موظف
الهواية : المراسلة وتبادل الآراء
العنوان : الوادى الجديد ــ الواحات الداخلة ــ الشئون الصحية بالداخلة ٠

الاسم : جمال كامل أحمد
السن : ١٩ سنة
البلد : ج٠م٠ع٠ ــ الاسكندرية
المهنة : خريج ثانوى صناعى ٧٩ قسم الكهرباء
الهواية : ممارسة جميع الصناعات ــ الاطلاع الدينى ــ التصوير
العنوان : ٥ ش ابن نصر ــ محطة الرمل الميرى ــ اسكندرية

الاسم : محمد سعيد الفادح
السن : ٣٣ سنة
البلد : ج٠م٠ع٠
المهنة : رئيس وحدة اجتماعية
الهواية : الاطلاع ــ الخطابة ــ تبادل المعلومات مع الشباب وخاصة الناطقون بالانجليزية
العنوان : ١ حارة حسين الحدق المتفرعة من شارع أمين الشاهد ــ عين شمس الشرقية ــ القاهرة

في هذا العدد


| الصفحة | الموضوع |
|---|---|
| | **● لقاء الشهر** |
| ٢ | كلمة فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر وزير الأوقاف فى افتتاح مسجد بدر بحى الشيخ زايد بمدينة الاسماعيلية . . |
| | **● مع القرآن الكريم** |
| | **تفسير سورة النساء** |
| ٨ | الأستاذ أحمد حسين . . . . . |
| | **الايحاء اللفظى فى القرآن الكريم** |
| ١٥ | الدكتور عبد الكريم دهينة . . . . |
| | **● مقام ومقال** |
| | **لهذا كانت الصحوة الاسلامية** |
| ١٨ | بقلم رئيس التحرير . . . . . |
| | **● الحياة فى ظلال التشريع** |
| | **مقارنة بين الشريعة الاسلامية والقانون الوضعى** |
| ٢٤ | الدكتور محمود نجيب حسنى . . |
| | **● من وحى السيرة** |
| | **طبقات النساء المحدثات** |
| ٣٠ | الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل . . . |
| | **مكانة السنة عند المسلمين** |
| ٣٥ | الدكتور محمد مبارك السيد . . . |
| | **● حضارة الاسلام** |
| | **تحول تيار الاخلاق الاجتماعية** |
| ٣٨ | الأستاذ عبد العظيم منصور |
| | **ضحايا الضيق والتضييق** |
| ٤١ | الدكتور محمد كمال جعفر . . . . |
| | **طريقة التوليد فى العربية ومنزلتها بين اللغات** |
| ٤٥ | الدكتور عبد الغفار حامد هلال . . . |
| | **النظرية الاجتماعية فى فكر الامام الغزالى** |
| ٥٠ | الدكتور طه الدسوقى . . . . . |
| | **الايمان بالله ووجوده مركوز فى الفطرة** |
| ٥٣ | الدكتور أبو العلا على أبو العلا . . |
| | **أصالة المفكر المسلم [ ابن باجة فى كتابه تدبير المتوحد ]** |
| ٥٩ | الدكتورة فوقية حسين محمود . . . |
| | **● الاعجاز الطبى فى القرآن** |
| ٦٤ | الدكتور السيد الجميلى . . . . |
| | **من اخلاق العلماء .. قوة الارادة** |
| ٦٦ | الدكتور محمد رجب البيومى |
| | **من معالم القضاء فى الاسلام** |
| ٦٩ | الأستاذ صلاح عزام . . . . |
| | **وأن ليس للانسان الا ما سعى** |
| ٧٣ | الدكتور زكى مشعل . . . . . |
| | **حديث هرقل ليس تاريخا قابلا للمناقشة** |
| ٧٥ | الدكتور ابراهيم هلال . . . . . |
| | **● التصوف والفلسفة الاسلامية** |
| | **محبة الموقنين** |
| ٨٠ | الأستاذ حسن كامل الملطاوى . . . . |

بسم الله الرحمن الرحيم

يسر

## المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

أن يقدم
للعالم الإسلامى

## المصحف المجوّد

" ١٢٠ اسطوانة "

لأول مرة يتم تسجيل القرآن الكريم
مجوّدا بأصوات كبار القراء
كل جزء من القرآن الكريم على أربعة
اسطوانات طويلة المدى تجويد القراء الأربعة سرعة ٣٣ ½ لفة
" مع كل اسطوانة غلاف فاخر "

أسطوانات

## القرآن المرتّل

" رواية حفص عن عاصم "

ملیم جنيه
٤٤ أسطوانة مع كتيب بالآيات القرآنية وغلاف فاخر ٢٣,٨٢٦
٤٤ أسطوانة مع غلاف عادى ... ١٩,٣٥٢

رواية ورش عن نافع ٦٨ اسطوانة
سرعة ⅓ ٣٣ لفة فى الدقيقة

## المصحف المعلم

٧٥ أسطوانة لتعليم القراءة والنطق
الصحيح لآيات القرآن الكريم
كل جزأين على ٥ أسطوانات

## المنتخب فى تفسير القرآن الكريم

## أبو الكلام آزاد

تأليف الدكتور عبد المنعم النمر

## الطبقات السنية فى تراجم الحنفيَّة

للمولى تقى الدين عبد القادر التميمى
الدارى الغزى المصرى الحنفى
المتوفى سنة ١٠٠٥هـ
تحقيق الأستاذ عبد الفتاح محمد الحلو

## اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا

لتقى الدين أحمد على المقريزى
تحقيق الدكتور محمد حلمى محمد أحمد والدكتور جمال الدين الشيال

## المنتخب من السنة النبوية الشريفة